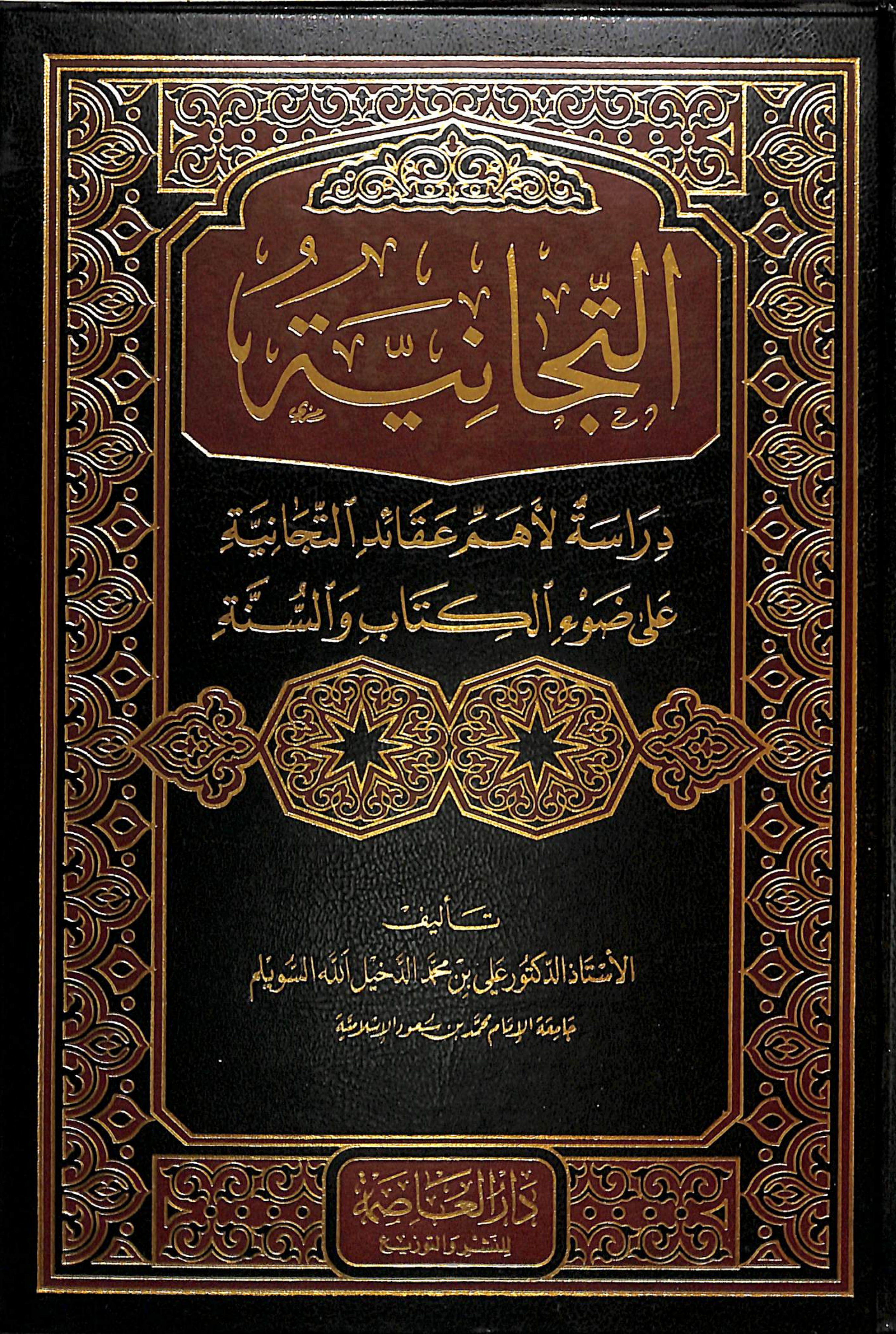


التجانية
دراسة لأهم عقائد التجانية
على ضوء الكتاب والسنة
تأليف
الأستاذ الدكتور علي بن محمد الدخيل الله السويلم
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
دار العاصمة
للنشر والتوزيع

التجانية

دراسة لأهم عقائد التجانية

على ضوء الكتاب والسنة

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
الدخيل الله، علي محمد
التجانية: دراسة لأهم عقائد التجانية على ضوء الكتاب والسنة . /
علي محمد الدخيل الله - ط٣ .- الرياض ، ١٤٣٢هـ
٣١٢ ص ، ١٧ x ٢٤ سم
ردمك ٥-٣١-٨٠٥٧-٦٠٣-٩٧٨
١- التجانية (طرق صوفية) ٢- التصوف الإسلامي
٣- الفرق الصوفية أ- العنوان
ديوي ٢٦٩ ١٤٣٢/٨١٠٢

رقم الإيداع: ١٤٣٢/٨١٠٢
ردمك: ٥-٣١-٨٠٥٧-٦٠٣-٩٧٨

الطبعة الثالثة
١٤٣٢هـ - ٢٠١١م

الصف والإخراج دار العاصمة للنشر والتوزيع

دار العاصمة
المملكة العربية السعودية
الرياض - ص.ب: ٤٢٥٠٧ - الرمز البريدي: ١١٥٥١
المركز الرئيسي: شارع السويدي العام
هاتف: ٤٤٩٧٢٢٤/ فاكس: ٤٤٩٧٢٢٥

التجانية

دراسة لأهم عقائد التجانية على ضوء الكتاب والسنة

تأليف

الأستاذ الدكتور علي بن محمد الدخيل الله السويلم
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

دار العاصمة
للنشر والتوزيع

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه، ونستغفره ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا. من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ﷺ.

أما بعد :

فقد بلغت الدولة الإسلامية في عصر الرسول ﷺ وخلفائه من بعده أوج عظمتها وقوتها، ثم ما لبثت أن دب الحسد في قلوب أعداء الإسلام فبدأوا بالكيد لها، فنشأت الحركات الباطنية التي كانت تهدف إلى تقويض دعائم الدولة الإسلامية الفتية، وكثرت الفرق والطوائف، وبدأ الشقاق والتناحر، فكان أن دخل في الصوفية أناس خرجوا بها عن طريق الاعتدال فلبسوا مسوح الرهبان، وهم في الحقيقة أعداء لله ولرسوله ﷺ.

ومن هنا تأتي أهمية دراسة الصوفية، فهؤلاء المنسوبون إلى الإسلام، والذين يعتقدون كثيراً من العقائد المنحرفة، يخدعون كثيراً من الجهلة والعامة؛ لأنهم يدّعون أنهم أولياء الله وأحباؤه، فيلقنونهم كثيراً من الخرافات والعقائد المنحرفة وهم يظنون أنهم بلغوا الغاية في الهداية، والله سبحانه وتعالى قد شنع على المنافقين الذين يعلنون الإسلام ويبطنون الكفر، وبيّن أنهم أشد عذاباً من اليهود والنصارى وسائر الكفار والمشركين، فقال تعالى: ﴿إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار﴾[1] فجعلهم سبحانه وتعالى في الدرك الأسفل من النار؛ لأنهم يخادعون الناس، وأما اليهود والنصارى والمشركون فقد أعلنوا كفرهم أمام أعين

---

(١) سورة النساء آية: ١٤٥.

الناس فلم يدخل في زمرتهم إلا من أخلد إلى الأرض واتبع هواه.

هذا من ناحيـة، ومن ناحية أخرى فإنهـم ينشرون عن الإسلام صورة مشوهـة سيئة، فإن من رأى هؤلاء الدراويش بطقوسهـم وحركاتهم، وعلم اعتمادهم على الخرافـة والتدجيل فلا شك أنه سينفـر من الإسلام؛ لأنه لا يـرى إسلاماً حقيقيـاً يزرع الثقة في النفس وحـب العمل والخير للآخرين.

وهناك أمر ثالث: وهو أن أسئلة كثيرة ترد إلـى دار الإفتاء تسأل عن حقيقة التجانية، مما يدل على أنها تشغل بال الكثيرين من أهالي إفريقيا الخضراء.

وأيضاً فإن بيان الحق للمخـدوعين من أبناء العالم الإسلامي من أهـم الواجبات، فكما أن حرب أعداء الإسلام ممن هم خارج الصف الإسـلامي واجب؛ فإن تنقية الصف الإسلامي من عوامل الضعف والبلبلـة من أهم الواجبات، فـإن الأمة المسلمة لن تستطيع محـاربة أعداء الله في الخارج ما لم تكن حصونها قوية من الداخل.

وقد رأينا في تـاريخ الصوفية كيف أن كثيراً منهم قد جلبوا الـويلات على أهليهم وذويهـم؛ لأنهم يقـولون: إنهم شهـدوا الحقيقة، وأن مـا جاء من المحبـوب فهو محبـوب.. وهذا مـزلق خطير.. والصوفية من الذين مهدوا للاستعمار في إفريقيا.

وقد يقول قائل: إن أعمـال الصوفية وحركاتهم هي إلى باب السلوك وفـروع الشريعة أقرب منها إلى أبواب العقيدة، فَلِمَ تكلف نفسك هذا العناء في الرد على عقائدهم وأفكارهم؟

ولكني أقول: لما كان هذا السلوك فرعاً عـن تصور واعتقاد كان لابد من دراسة هذا الاعتقاد ليعرف الأمر من جذوره، فمـا من أمر سلوكي إلا وهو نتيجة لتصور واعتقـاد معين، إذ السلوك فرع عن العقيدة، والله سبحانه وتعالى يقول: ﴿إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم﴾[1].

وقديماً قيل: «متى يستقيم الظل والعود أعوج».

وقد يتصور بعض الناس أن الـرد على التجانية أمر غير ذي بال؛ لأنها فرقـة من فرق الصوفية وهي فرق كثيـرة جداً، لكن يجب أن يعلم أن التجـانية لم يستقلـوا بما يعتقدونه مـن أفكار، بل إنهم يشتركـون فيها مع أغلب الفـرق الصوفية، وليس هناك سـوى بعض الفروق القليلة. فـالرد على التجانيـة هو رد على الصـوفية بكل فرقهـا وطوائفها؛ إذ هـي جميعاً تشترك في معنـى عام

---

(١) سورة الرعد الآية: ١١.

وتختلف في بعض الجزئيات.

والتجانية وإن لم تنتشر إلا بعد المائة والألف، إلا أن أصولها مستقاة من أصول الصوفية القدماء كابن عربي وغيره، وما ثم إلا بعض الأوراد والأذكار المخترعة التي لم توجد لدى الصوفية من قبل.

وأيضاً فإن التجانية ليست طائفة منقرضة كما أنها ليست موضوعاً فكرياً لا رصيد له من الواقع، بل هي موضوع عملي ومشكلة قائمة، ويكفيك أن تعلم أن عدد التجانيين في نيجيريا وحدها يزيد على عشرة ملايين نسمة.

وأخيراً فإن هذه الدراسة أمر بالمعروف ونهي عن المنكر، الذي قال الله فيه: ﴿ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون﴾[1] والذي قال فيه النبي ﷺ: «من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان»[2].

ومن هذا كله يتبين أهمية البحث في المساهمة في إيضاح السبيل للمخدوعين من المخلصين، ولإزالة ما علق بالدين الإسلامي الصحيح من أوشاب الصوفية المنحرفة التي جعلت من الزوايا مصايد لجمع حطام الدنيا ـ كما يقول التجانيون أنفسهم[3] ـ والذين أخذوا يبنون ذلك على فلسفة معينة لا ينقصها الذكاء.

قال مؤلف الخريدة: «... ثم من الأدب على من يصحب الأولياء ألا يخص نفسه عنهم بمأكل ولا ملبس ولا منكح، ولا يبخل بشيء من حطام الدنيا... وكان الشيخ يوسف العجمي يقول لبواب زاويته... إذا دق شخص الباب فانظر من الشق، فإن رأيت معه شيئاً للفقراء فافتح له، وإلا فهي زيارات فمشارات. فقيل للشيخ في ذلك فقال: أعز ما عندنا وقتنا وأعز ما عند أبناء الدنيا دنياهم، فإن بذلوا لنا أعز ما عندهم بذلنا لهم أعز ما عندنا، والله غني حميد»[4].

---

(١) سورة آل عمران الآية : ١٠٤.

(٢) رواه مسلم «صحيح مسلم المطبوع مع شرح النووي ٢: ٢٢، ٢٥».

(٣) الدرة الخريدة ٣: ٦٢.

(٤) الدرة الخريدة ٣: ٩٣

للتجاني: إن المهدي إذا ظهر يذبحنا. فقال التجاني: «لا يذبحكم لأنه أخ لكم في الطريقة وإنما يذبح علماء السوء... وقال: إذا جاء المهدي يطلب من أصحابنا الفاتحة[1]».

(و) أن لهم علامة يتميزون بها عن غيرهم.. وهي أن كل واحد منهم مكتوب بين عينيه محمد ﷺ، وعلى قلبه مما يلي ظهره محمد بن عبدالله، وعلى رأسه تاج من نور مكتوب فيه الطريقة التجانية منشؤها الحقيقة المحمدية[2].

(ز) أن هناك أرضاً تسمى أرض «السمسة»، وتلك الأرض ارتفع من جبلها التلبيس عن جميع الإشكالات في أي علم كان[3].

الثالثة: رتبت الأبواب في القسم الثاني على حسب ترتيب أركان الإيمان.

الرابعة: قسّمت الأبواب إلى فصول والفصول إلى مباحث، وفي كل فصل أو مبحث أناقش عقيدة من عقائد التجانيين متبعاً المنهج التالي:

(أ) ذكر بعض النصوص التي تبين إيمانهم بهذا المبدأ أو ذاك؛ لأن بعض التجانيين لم يطلعوا على ما كتبه مشايخهم؛ لذا فهم ينكرون كثيراً من الحقائق دون علم، فأحببت أن أذكر في كل معتقد بعض النصوص التي تبين إيمانهم بذلك المعتقد من كتب مشايخهم.. وذلك لكي يعلموا ـ ويعلم غيرهم ـ أنني لا أقول رجماً بالغيب.

وقد راعيت في نقل هذه النصوص الأمور التالية:

١ ـ نقلت هذه النصوص من كتب ألفت في فترات متفرقة؛ لأبين أن التجانيين لا زالوا محافظين على أصول أفكارهم وعقائدهم.

٢ ـ نقلت هذه النصوص من كتب متعددة؛ لأُبين أن هذه العقائد ليست شاذة ـ عندهم ـ أو قولاً ضعيفاً يقول به بعضهم، بل هي موجودة في كثير من كتبهم، وما ذكرته من نصوص يمثل أمثلة يسيرة لما هو موجود في كتبهم، والقارئ لشيء من كتبهم يرى فيها غرائب العجائب.

٣ ـ نقلت هذه النصوص من كتب التجانية المعتمدة عندهم والتي يفخرون بقراءتها والرجوع إليها، بل إن غالب ما رجعت إليه هي أمهات كتبهم التي تعتبر مراجع أساسية لفهم الطريق والتعمق فيه.

---

(١) رماح حزب الرحيم: ٢: ٤٤.

(٢) رماح حزب الرحيم: ٢: ٤٨، ٢: ١٤٥.

(٣) جواهر المعاني ٢: ٢٥.

٤ ـ رتبت الكتب التي نقلت منها هذه النصوص حسب الأقدم تأليفاً، فأبدأ بنقل النصوص من جواهر المعاني، ثم من رماح حزب الرحيم، ثم من بغية المستفيد، ثم من الدرة الخريدة... إلا إذا رأيت أن هناك مناسبة تستدعي تقديم نص على آخر قَدَّمْتُهُ.

٥ ـ إذا نقلت نصاً من النصوص لإثبات عقيدة معينة فقد يكون ذكر في هذا النص عدة عقائد، ولكنني أناقش في هذا النص المعنى الذي أوردته من أجله فقط، معرضاً عن بقية العقائد والأفكار في النص إلا ما رأيت الضرورة داعية إلى بحثه والإشارة إليه.

(ب) الأدلة والمناقشة :

١ ـ جمعت هذه الأدلة من كتب التجانيين فقط، وقد يكون في الموضوع الواحد أدلة كثيرة غير ما ذكرته، إلا أنني لا أذكر إلا ما أورده التجانيون من أدلة؛ لأنهم المعنيون بالبحث.. هذا إن وجدت لهم شيئاً من الأدلة. فإن لم أجد وكانت دعوى مجردة فإنني أكتفي بمناقشة النصوص التي وردت فيها هذه الدعوى.

٢ ـ بعد ذكر الأدلة ومناقشتها أناقش ما أرى أنه يحتاج إلى مناقشة فيما أورد من النصوص السابقة.

٣ ـ أثناءَ هذه المناقشة لم أتعرض للتجاني أو التجانيين بشيء من العبارات الجارحة؛ لأن هدفي هو إيصال الحق إلى الآخرين، وإيضاح الحق لايكون بالسب والشتائم، وإنما عن طريق المناقشة الهادئة على ضوء الكتاب والسنة، ولأن الدعوة إلى الله لابد فيها ـــ في بعض المواضع ـــ من استعمال اللين إذا كان أقرب طريق لإيصال الحق، عملاً بقوله تعالى حينما أرسل موسى وهارون إلى فرعون حيث أوصاهما بقوله سبحانه: ﴿فقولا له قولاً ليناً لعله يتذكر أو يخشى﴾[1] فهذا مع فرعون، فكيف مع المنتسبين لأهل القبلة ؟!

ثم إن العبارات الجارحة والأساليب الصاخبة ضررها أكثر من نفعها.

(جـ) مذهب أهل السنة والجماعة وحكم من اعتقد شيئاً من هذه العقائد المنحرفة:

١ ـ ذكرت فيه مذهب أهل السنة والجماعة، ثم تعرضت لحكم من اعتقد شيئاً من هذه العقائد المنحرفة مؤيداً ذلك ـ حسب الإمكان ـ بأقوال العلماء المتبعين لمذهب أهل السنة والجماعة .

---

(١) سورة طه آية ٤٤.

٢ ـ بينت أن من اعتقد شيئاً من هذه العقائد المنحرفة فقد دخل تحت حكم ما اعتقده إنْ شركاً وإن كفراً وإن معصية وإن غير ذلك.

الخامسة: قمت بترقيم الآيات وتخريج الأحاديث والآثار، وعند تخريج الأحاديث اتبعت المنهج التالي:

(أ) حاولت ـ ما استطعت ـ ذكر ما حكم به العلماء عليها إن صحة وإن ضعفاً ما لم يكن الحديث في الصحيحين أو أحدهما.

(ب) إذا خرجت الحديث من أكثر من كتاب فإن لفظ الحديث منقول عن أول مذكور في الحاشية ما لم أشر إلى غير ذلك، فأقول بعد ذكر من روى الحديث «واللفظ له».

(جـ) إذا خرجت الحديث من أكثر من كتاب فإنني أذكر هذه الكتب مرتبة في الحاشية، فأبدأ بصحيح البخاري ثم صحيح مسلم ثم سنن الترمذي ثم سنن أبي داود ثم سنن النسائي ثم سنن ابن ماجه ثم سنن الدارمي ثم المسند.. ثم سائر كتب الحديث.

(د) أشير إلى ما رواه البخاري تعليقاً، فأقول: رواه البخاري تعليقاً أو معلقاً، أما إذا كان الحديث مسنداً فإنني أكتفي بعزوه للبخاري، كما حرصت على نقل الحديث بلفظه كما ورد.

السادسة: ترجمت لمن رأيت أنه يحتاج إلى ترجمة، إما لأهمية قوله أو لكونه عالماً مغموراً أو لكثرة النقل عنه، ولم أترجم للمشهورين من الصحابة ومن بعدهم.

السابعة: أعلق في الحاشية أحياناً على ـ ما رأيت ـ أنه يحتاج إلى تعليق من الألفاظ والمعاني.

الثامنة: فهرست للآيات القرآنية والأحاديث النبوية وآثار الصحابة والأعلام والفرق والمراجع والموضوعات.

هذا وقد كانت مصادر ومراجع هذا البحث ـ وخصوصاً كتب الطريقة التجانية ـ من أهم المصاعب التي واجهتني في بداية هذا البحث، فقد بحثت في مكتبات الرياض الخاصة والعامة، كما سافرت إلى مكة والمدينة وتجولت في مكتباتهما، وقمت بزيارة بعض العلماء كالشيخ حماد الأنصاري. ولم أحصل إلا على كتاب جواهر المعاني في الرياض، ورسالتين صغيرتين وجدتهما في مكتبة الشيخ محمد مختار الشنقيطي أحد الأساتذة في الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية.

وقد سافرت إلى مصر والمغرب للتعرف على التجانيين عن كثب وللحصول على بعض

المراجـع، فسافرت أولاً إلـى القاهرة، وذهبـت إلى الزاوية التجـانية هنـاك حيث توجـد مكتبة محمد الحافظ التجـاني شيخ الطائفة التجانية فـي مصر، وقد مكننا ابنه أحمد ــ مشكوراً ـ من الاطلاع على ما في المكتبة من كتب التجانية.

واشتريـت منها بعض المجلدات مـن مجلة «طريق الحـق» التي أسسها محمد الحـافظ، والتي لا تزال تصدر إلى اليوم.

كما تجولت في مكتبات القاهرة التجاريـة، واشتريت منها مجموعة من كتب ورسائل هذه الطريقة.

ومن القاهرة سـافرت إلى المملكة المغربيـة، وفيها بحثت عن كتب الطريقة التجـانية في المكتبات التجـارية في كل مـن الدار البيضاء والـرباط ومكنـاس وفاس.. التي تعتبر مـن أكبر المدن العلمية في بـلاد المغرب، والتي عاش فيها التجـاني بقية حياته وفيها تـوفي ودفن، فقد تجـولت في مكتبـاتهـا التجاريـة، ولـدى باعـة الكتب جـوار جـامع القـرويين، ولـدى بعض المهتمين بجمع الكتـب والمخطوطـات من أهالي فـاس، فحصلت على مجمـوعة كبيـرة من كتب هذه الطريقة. كما ذهبت إلى الزاوية التجانية هناك وحاولت الاطلاع على ما في خزانتها من كتب إلا أنهم رفضوا ذلـك دون إبداء الأسباب.. ووجدت في بعض كتبهم أن هـذه الخزانة لا تفتح إلا على يد المهدي[1].

وفي مدينة مكناس اتصلت بالدكتور محمد تقي الدين الهلالي ـ عفا الله عنه ـ الذي عاش تجانياً حوالي تسع سنوات، ومكثت عنده قرابة أسبـوع كان مدار حديثنا حول هذه الطائفة، وقد وجهت إليـه عشرين سؤالاً حـول هذه الطائفـة بلغت أجوبتهـا ثمانياً وعشـرين صفحة مـوثقة بإمضائه.

وقد رجعت في هـذه الرسالة إلى أكثر من خمسيـن مرجعاً ما بين كتاب أو رسـالة من كتب الطائفة التجانية، ومن أهمها ما يلي:

١ ـ جواهر المعاني (جزأين في مجلدين).

٢ ـ رماح حزب الرحيم (جزأين في مجلدين مطبوع بهامش الجواهر).

٣ ـ بغية المستفيد (مجلد واحد).

---

(١) انظر الزاوية التجانية ص ٥٧.

٤ ـ الدرة الخريدة شرح الياقوتة الفريدة (أربعة أجزاء في مجلدين[١]).

وهذه المراجع هي المراجع الأساسية التي اعتمدت عليها في إيراد كثير من النصوص، كما رجعت إلى بقية كتب التجانية والتي لم تخرج عن الخطوط العريضة لهذه الكتب وسأثبتها في قائمة المراجع في آخر هذا البحث، كما سنجد طائفة كبيرة منها مبثوثة في ثنايا هذه الرسالة. وتتميز هذه المراجع بما يلي:

١ ـ أنها من أمهات كتب الطريق المعتمدة عندهم.

٢ ـ أنها ألفت في فترات زمنية متفرقة، فجواهر المعاني ورماح حزب الرحيم ألفا في أول نشأة هذه الطريقة، والدرة الخريدة من آخر ما كتب عن هذه الطريقة، وبغية المستفيد كتبت بين هاتين الفترتين.

٣ ـ أن مؤلفي هذه الكتب يشعرون بالقلق أثناء الكتابة خوفاً من ظهور معتقداتهم الباطلة، ولذا فهم يكثرون قول: سلم تسلم. و: لا يجوز الاعتراض على الشيخ ولا الانتقاد لأنه باب خطير يؤدي إلى السقوط من عين الله... إلخ، وذلك بعد إيراد كل خرافة أو أمر لا يقبله العقل السليم.

وهذه الظاهرة واضحة لمن قرأ شيئاً من كتبهم.

وهناك مراجع أخرى تناولت الطريقة التجانية بالنقد المباشر وهذه المراجع هي:

١ ـ مشتهى الخارف الجاني، في رد زلقات التجاني الجاني. تأليف محمد الخضر الشنقيطي.

٢ ـ الهدية الهادية إلى الطائفة التجانية، تأليف الدكتور محمد تقي الدين الهلالي.

٣ ـ رسالة «الأنوار الرحمانية لهداية الفرقة التجانية». تأليف الشيخ عبدالرحمن الإفريقي.

كما رجعت إلى كتب ومراجع أخرى، وهي وإن لم تتناول التجانية بالنقد المباشر إلا أنها ترد على أفكار وعقائد التجانية؛ لأنها لم تخرج عن عقائد من تقدمهم من الصوفية إلا في القليل النادر.

أما بعـــد :

فإني أحمد الله وأشكره على ما يسره لي من دراسة هذا الموضوع وإتمامه، مع علمي أنني لم أوف هذا الموضوع ما يستحق من دراسة وتمحيص إذ الكمال لله وحده، وحسبي أني بذلت جهدي.

---

(١) وسيأتي الحديث عنها: انظر التعريف بأشهر الكتب المؤلفة في الطريقة التجانية ص ٨٠-٨٣.

كما لا يسعني إلا أن أشكر جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية وعمادة شئون المكتبات فيها وعمادة كلية أصول الدين ومنسوبيها على ما قدموه لي من تسهيلات، كما أشكر كلاً من:

فضيلة الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن الغديان.

وفضية الشيخ إسماعيل بن محمد الأنصاري.

وفضيلة الشيخ الدكتور محمد تقي الدين الهلالي.

على ما قدموه لي من نصح وتوجيه، كما أشكر كل من قدم لي خدمة أو توجيهاً من المشايخ والزملاء.

وأدعو الله سبحانه وتعالى أن يتقبل مني عملي هذا وأن يجعله خالصاً لوجهه، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

قاله وكتبه

علي بن محمد الدخيل الله السويلم

الرياض في ١٠/ ٥/ ١٤٠١هـ



تمهيـــــد

في معنى البدعة والتصوف

أولاً: البدعـــة

تعريـــف البدعـــة :

١ ـ معنى البدعة لغة :

قال في اللســان: «بدع الشيء يبدعـه بدعاً وابتدعـه» أنشأه وبدأه. وبدع الركيَّـة: استنبطها وأحدثهـا.. والبدع الذي يكـون أولاً. وفي التنزيل: ﴿قل مـا كنت بدعاً مـن الرسل﴾[١] أي: ما كنت أول من أرسل.. قد أرسل قبلي رسل كثير..

وفلان بدع في هذا الأمر، أي أول لم يسبقه أحد.

وأبدع وابتدع وتبدع: أتى ببدعة. قال تعالى: ﴿ورهبانية ابتدعوها﴾[٢].

قال رؤبة:

إن كنت لله التقيَّ الأطوعا فليس وجه الحق أن تبدّعا

وبدَّعه: نسبه إلى البدعة.

والبديع: اسم من أسمائه تعالى لإبداعه الأشياء وإحـداثه إياها، كما قال سبحانه: ﴿بديع السموات والأرض﴾[٣] أي خالقها ومبدعها، فهو سبحانه الخالق المخترع لا عن مثال سابق.

وأبدعت الإبل: بركت في الطريق من هزال أو داء أو كلال.

وأبدعت هـي: كلت أو عطبت. وقد لايكون الإبـداع إلا بظلع، يقال: أبدعت بـه راحلته إذا ظلعت[٤].

وقال فـي القاموس: «البـدع» بالكسـر: الأمر الـذي يكون أولاً . وأبدع: أبـدأ. والشاعـر أتى بالبديع، والراحلة كلت وعطبت أو ظلعت[٥].

---

(١) الأحقاف: ٩.

(٢) الحديد: ٢٧.

(٣) البقرة: ١١٧ .

(٤) لسان العرب ٩: ٣٥١، ٣٥٤ ط الأولى.

(٥) القاموس المحيط ٣: ٣، ٤ المؤسسة العربية للطباعة والنشر.

ومن هذا يتبين أن (بدع) لها معنيان:

أحدهما: في الشيء المخترع على غير مثال سابق.

والثاني: بمعنى التعب والكلال.

إلا أن المعنى الثاني راجع إلى الأول، لأن معنى أبدعت الراحلة: بدأ بها التعب. وقد أشار إلى هذا المعنى ابن منظور في اللسان فقال: «.. كأنه جعل انقطاعها عما كانت مستمرة عليه من عادة السير إبداعاً، أي إنشاء أمر خارج عما اعتيد منها. ومنه الحديث: «كيف أصنع بما أبدع علي منها[1][2]».

فالبدعة: اسم هيئة من الابتداع، وهي كل شيء أحدث علي غير مثال سابق[3].

٢ ـ البدعة في الاصطلاح:

اختلف العلماء في تحديد معنى البدعة في الاصطلاح، فمنهم من جعلها في مقابل السنة، ومنهم من جعلها عامة تشمل كل ما حدث بعد عصر الرسول ﷺ سواء كان محموداً أو مذموماً. وإليك بيان ذلك:

(أ) ذهب الشافعي[4] والعزبن عبدالسلام[5] والقرافي[6][7] والغزالي في الإحياء[8] وابن الأثير في النهاية في غريب الحديث والأثر[9][10] والنووي في شرح

---

(١) لسان العرب ٩: ٣٥٤.

(٢) رواه مسلم، صحيح مسلم مع شرح النووي ٩: ٧٧، المطبعة المصرية.

(٣) البدعة ص١٩٣ تأليف د. عزت عطية، نشر دار الكتب الحديثة.

(٤) فتح الباري ١٣: ٢٥٣، ط. السلفية. حلية الأولياء ٩: ١١٣ ط٢.

(٥) قواعد الأحكام ٢: ٢٠٤، ط مكتبة الكليات الأزهرية.

(٦) الاعتصام ١: ١٨٨. ط مطبعة السعادة.

(٧) القرافي: هو أحمد بن إدريس بن عبدالرحمن أبوالعباس من علماء المالكية وهو مصري المولد والمنشأ والوفاة، له مؤلفات كثيرة منها: أنوار البروق في أنواء الفروق في أربعة أجزاء، والذخيرة في فقه المالكية ستة مجلدات، وشرح تنقيح الفصول في الأصول، ومختصر تنقيح الفصول وغيرها، توفي سنة ٦٨٤هـ (الأعلام ١: ٩٠ ط الثالثة).

(٨) إحياء علوم الدين ٢، ٣ ط عيسى الحلبي، تقديم بدوي طبانة.

(٩) النهاية في غريب الحديث والأثر ١: ٦٦، ٦٧ ـ ط المطبعة العثمانية ١٣١١هـ.

(١٠) ابن الأثير: هو المبارك بن محمد بن محمد بن عبدالكريم الشيباني الجزري، ولد سنة ٥٤٤هـ =

مسلم[1] إلى أن كل ما حدث بعد عصر الرسول ﷺ فهو بدعة سواء كان محموداً أو مذموماً.

وفي ذلك يقول الإمام الشافعي فيما روي عن حرملة بن يحيى قال: سمعت الإمام الشافعي رحمه الله يقول: «البدعة بدعتان بدعة محمودة وبدعة مذمومة، فما وافق السنة فهو محمود، وما خالف السنة فهو مذموم»[2].

وقال العز بن عبدالسلام في تعريف البدعة، هي: «فعل ما لم يعهد في عهد رسول الله ﷺ»[3].

وقد اعتمدوا[4] في ذلك على ما ورد عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه حيث قال في صلاة التراويح: «نعم البدعة هذه»[5] فدل هذا على أن البدعة تكون في الأمور الممدوحة كما تكون في الأمور المذمومة.

(ب) وذهب الإمام الشاطبي[6][7] وابن حجر الهيتمي[8][9] وابن رجب

= ومن أهم كتبه جامع الأصول في أحاديث الرسول، وكتاب النهاية في غريب الحديث والأثر، وهو أخو ابن الأثير المؤرخ وابن الأثير الكاتب، توفي في إحدى قرى الموصل عام ٦٠٦هـ «الأعلام ٦: ١٥٣ ـ ط الثالثة».

(١) شرح النووي على صحيح مسلم ٦: ١٥٤، ١٥٥ المطبعة المصرية.

(٢) حلية الأولياء لأبي نعيم ٩: ١١٣ ـ ط الثانية ١٣٨٧هـ. وذكره ابن حجر في فتح الباري ١٣: ٢٥٣ ط السلفية.

(٣) قواعد الأحكام ٢: ٢٠٤، ط مكتبة الكليات الأزهرية.

(٤) ذكر ذلك أبو نعيم في حلية الأولياء ٩: ١١٣، ط ثانية.

(٥) رواه البخاري في صحيحه المطبوع مع شرحه فتح الباري ٤: ٢٥٠ ط. السلفية. ورواه مالك في الموطأ بلفظ: «نعمت البدعة هذه». انظر موطأ مالك المطبوع مع شرح الزرقاني ١: ٢٣٨ مطبعة الاستقامة.

(٦) الاعتصام ١: ٣٧ ط مطبعة السعادة.

(٧) الشاطبي: هو إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الشهير بالشاطبي، أصولي حافظ كان من أئمة المالكية من كتبه: الموافقات في أصول الفقه أربعة مجلدات، والاعتصام في أصول الفقه ثلاثة مجلدات، وشرح الألفية وغيرها. توفي سنة ٧٩٠هـ «الأعلام ١: ٧١».

(٨) الفتاوى الحديثية ٢٨١ ط الحلبي.

(٩) ابن حجر الهيتمي: هو أحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي السعدي الأنصاري، ولد بمصر سنة ٩٠٩هـ وتلقى العلم في الأزهر وله كتب منها: تحفة المحتاج لشرح المنهاج في فقه الشافعية، والفتاوى الحديثية، وشرح مشكاة المصابيح للتبريزي. توفي بمكة سنة ٩٧٤هـ الأعلام ١: ٢٢٣.

الحنبلي[1][2] والزركشي[3][4] إلى أن البدعة لا تطلق إلا على ما خالف السنة.

فقال الإمام الشاطبي في تعريفه البدعة: «البدعة طريقة في الدين مخترعة تضاهي الشرعية، يقصد بالسلوك عليها المبالغة في التعبد لله سبحانه»، وهذا على رأي من لا يدخل العادات في معنى البدعة بل يجعلها مقصورة على الأمور التعبدية. كما عرفها بتعريف آخر على رأي من يدخل العادات في معنى البدعة، فقال: «البدعة طريقة في الدين مخترعة تضاهي الشرعية، يقصد بالسلوك عليها ما يقصد بالطريقة الشرعية»[5].

واستدلوا لذلك بأدلة من السنة والأثر. فمن السنة:

١ ـ ما رواه جابر بن عبدالله رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ إذا خطب احمرت عيناه وعلا صوته واشتد غضبه حتى كأنه منذر جيش يقول: صبحكم ومساكم. ويقول: «بعثت أنا والساعة كهاتين ـ ويقرن بين إصبعيه السبابة والوسطى ـ» ويقول: «أما بعد، فإن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدْي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل بدعة ضلالة». ثم يقول: «أنا أولى بكل مؤمن من نفسه، من ترك مالاً فلأهله، ومن ترك دَيْناً أو ضياعاً فإليَّ وعليّ»[6].

٢ ـ وعن ابن مسعود مرفوعاً وموقوفاً أنه كان يقول: «إنما هما اثنتان الكلام والهدي،

---

(١) جامع العلوم والحكم ٢٣٣/ ٢٣٤ الطبعة الثانية ١٣٦٩هـ الحلبي.

(٢) هو عبدالرحمن بن أحمد بن رجب السلامي البغدادي ثم الدمشقي، ولد في بغداد سنة ٧٣٦هـ. من كتبه: «شرح جامع الترمذي» و«جامع العلوم والحكم» و«فتح الباري شرح صحيح البخاري» لم يتمه، و«ذيل طبقات الحنابلة» وغيرها. توفي في دمشق سنة ٧٩٥هـ «الأعلام ٤: ٦٧».

(٣) الإبداع في مضار الابتداع (٣١) ط الخامسة مطابع دار الكتاب العربي.

(٤) هو محمد بن بهادر بن عبدالله الزركشي شافعي أصولي تركي الأصل ،ولد بمصر سنة ٧٤٥ هـ له كتب منها: «الإجابة لإيراد ما استدركته عائشة على الصحابة» و«البحر المحيط في أصول الفقه» مخطوط في ثلاثة مجلدات. توفي بمصر سنة ٧٩٤ هـ «الأعلام ٦: ٢٨٦».

(٥) الاعتصام للشاطبي ١: ٤٧ مطبعة السعادة.

(٦) رواه مسلم في صحيحه المطبوع مع شرح النووي ٦: ١٥٣، ١٥٤ المطبعة المصرية، ورواه النسائي في سننه ٣: ١٨٩ المطبعة المصرية. ورواه ابن ماجه في سننه ١: ١٧ مطبعة عيسى البابي الحلبي.

فأحسن الكلام كلام الله، وأحسن الهدي هدي محمد ﷺ، ألا وإياكم ومحدثات الأمور، فإن شر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة»[1] وكان ابن مسعود يخطب بها كل خميس.

٣ ـ وعن العرباض بن سارية قال: صلى بنا رسول الله ﷺ ذات يوم، ثم أقبل علينا فوعظنا موعظة بليغة ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب، فقال قائل: يا رسول الله كأن هذه موعظة مودع فماذا تعهد إلينا؟ فقال: «أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن أُمِّرَ عليكم عبد حبشي، فإنه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافاً كثيراً، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة[2]».

ومن الآثــــار:

١ ـ ما ورد عن ابن عباس أنه قال: «ما أتى على الناس عام إلا أحدثوا فيه بدعة وأماتوا فيه سنة حتى تحيا البدع وتموت السنن[3]».

٢ ـ وورد عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال: «اتبعوا ولا تبتدعوا فقد كفيتم[4]».

فكل هذه الأحاديث والآثار تدل على أن البدعة لم ترد في الشرع إلا مذمومة، ومما

---

(١) رواه ابن ماجه في سننه مرفوعاً إلى النبي ﷺ ١ : ١٨ ط عيسى البابي.

(٢) رواه الترمذي في سننه المطبوع مع شرحه تحفة الأحوذي ٧: ٤٣٨، ٤٤١ «بنحوه» مطبعة الفجالة الجديدة، وقال: «هذا حديث حسن صحيح». ورواه أبو داود في سننه المطبوع مع شرحه عون المعبود ١٢ : ٣٥٨، ٣٦٠ «واللفظ له» مطابع المجد. ورواه ابن ماجه في سننه ١: ١٥، ١٦ ط الحلبي. ورواه الدارمي في سننه ١ : ٤٣، ٤٤ شركة الطباعة الفنية المتحدة. ورواه أحمد في المسند ٤: ١٢٦، ١٢٧ المكتب الإسلامي، دار صادر.

(٣) قال الهيثمي في مجمع الزوائد: «رواه الطبراني في الكبير ورجاله موثقون» مجمع الزوائد ١ : ١٨٨ ط الثانية. وذكره الشاطبي في الاعتصام عن ابن وضاح، الاعتصام ١ : ١٨٨ مطبعة السعادة.

(٤) قال الهيثمي في مجمع الزوائد: «رواه الطبراني في الكبير ورجاله رجال الصحيح» مجمع الزوائد ١ : ١٨١، ط الثانية. وذكره الشاطبي في الاعتصام وقال: أخرجه ابن وضاح، الاعتصام ١ : ٨٩.

يستأنس به في هذا المقام أن المبتدع لا يستعمل غالباً إلا في الذم[1].

وما استدل بـه أهل القول الأول من قول عمر: «نعم البـدعة هذه[2]»، فالمراد به أنهـا بدعة في اللغة حيـث لـم تحدث من قبل وإلا فهي علـى التحقيق سنة[3]، لقول النبي ﷺ: «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ[4]».

ولأن النبي ﷺ فعلها ثـم تركها مخـافة أن تفرض على الأمـة، فلما توفـي ﷺ وانقطع وقت التشريع أحياها عمر رضي الله عنه. والراجح هو القـول الثاني؛ لقوة أدلته وسلامته من المناقشة، ولأن مستند القول الأول أثر عن عمر ولورود المناقشة عليه وعدم دفعها.

أقســام البدعـــة

قسّم العلماء البـدعة إلى أقسـام كثيرة باعتبـارات مختلفة، فمنهم من قسمهـا إلى حقيقية وإضافية، ومنهم مـن قسمها إلى واجبة ومحرمة ومنـدوبة ومكروهة ومباحـة، ومنهم من قسمها إلى عمليةواعتقادية، ومنهم من قسمها إلى تَركية وفعلية، ومنهم من قسمها إلى عبادية وعادية، ومنهم من قسمها باعتبار الزمان أوالمكان كالبدع الرمضانية وبدع المسجد الحرام[5] وغير ذلك.

ولما كانت الأوراد التجانيـة مما يدخل تحت قسم البدع الإضـافية، والعقـائد التجانية مما يدخل تحت قسم البدع الاعتقادية، فإننا سنكتفي بالإشارة إلى هذين التقسيمين.

الأول: تقسيم البدعة إلى حقيقية وإضافية :

ذهب الإمام الشاطبي إلى تقسيم البدعة إلى قسمين: حقيقية وإضافية.

(أ) الحقيقية : «هي التي لم يدل عليها دليل شرعي لا من كتاب ولا من سنة ولا من إجماع

---

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر ١ : ٦٧.

(٢) سبق تخريجه ص١٩.

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر ١ : ٦٧.

(٤) سبق تخريجه ص٢١.

(٥) الاعتصام ١ : ٢٨٦. الإبداع فـي مضار الابتداع ٢٧ ـ ٤٥ الطبعـة الخامسة. البدعـة: ٣٠٣ ـ ٣٥٩ مطبعة المدني، نشر دار الكتب الحديثة.

ولا استدلال معتبر عند أهل العلم لا في الجملة ولا في التفصيل[1]».

ومن أمثلتها: تحريم الحلال وتحليل الحرام استناداً إلى شبهة واهية، ومنها اختراع عبادةٍ ما أنزل الله بها من سلطان كصلاة الظهر بركوعين في كل ركعة مثلاً أو بغير طهارة.

(ب) والإضافية ما لها شائبتان:

إحداهما: لها من الأدلة متعلق فلا تكون من تلك الجهة بدعة.

والأخرى: ليس لها متعلق إلا مثل ما للبدعة الحقيقية، أي أنها بالنسبة لإحدى الجهتين سنة؛ لأنها مستندة إلى دليل، وبالنسبة للجهة الأخرى بدعة؛ لأنها مستندة إلى شبهة لا إلى دليل، أو لأنها غير مستندة إلى شيء.

وسميت إضافية؛ لأنها لم تتخلص لأحد الطرفين (المخالفة الصريحة أو الموافقة الصريحة)[2].

ثم قال: «والفرق بينهما من جهة المعنى أن الدليل عليها من جهة الأصل قائم، ومن جهة الكيفيات أو الأحوال أو التفاصيل لم يقم عليها مع أنها محتاجة إليه؛ لأن الغالب وقوعها في التعبديات لا في العاديات المحضة[3]».

مثال ذلك:

«أن يقال: إن الصوم في الجملة مندوب إليه لم يخصه الشارع بوقت دون وقت ما عدا ما نهى عن صيامه كالعيدين، أو ندب إليه كيوم عاشوراء. فإذا خص يوماً بعينه أو أياماً بأعيانها لا من جهة ما خصه الشارع ضاهى به تخصيص الشارع أياماً بأعيانها دون غيرها، فصار التخصيص من المكلف بدعة إذ هي تشريع بغير مستند»[4].

ومثل ذلك تخصيص اليوم الفلاني بكذا من الركعات، وكتخصيص التجانية عصر الجمعة بذكر لا إله إلا الله جماعة ما يزيد على ألف مرة، وكقيام ليلة معينة دون غيرها؛ فإن ذلك التخصيص بدعة.

قال الشاطبي: «ومن نوادرها التي لا ينبغي أن تغفل... ما جرى به عمل جملة ممن ينتمي

---

(١) الاعتصام للشاطبي ١: ٢٨٦.

(٢) الاعتصام ١: ٢٨٦.

(٣) الاعتصام ٢: ٢٨٧.

(٤) الاعتصام ٢: ١٣ بتصرف.

إلى طريقة الصوفية من تربصهم ببعض العبادات أوقاتاً مخصوصة غير ما وقته الشارع فيها، فيضعون نوعاً من العبادات المشروعة في زمن من الربيع ونوعاً آخر في زمن الصيف ونوعاً آخر في زمن الخريف ونوعاً آخر في زمن الشتاء، وربما وضعوا لأنواع من العبادات لباساً مخصوصاً، وأشباه ذلك من الأوضاع الفلسفية يضعونها شرعية، أي متقرباً بها إلى الحضرة الإلهية في زعمهم، وربما وضعوها على مقاصد غير شرعية كأهل التصريف بالأذكار والدعوات ليستجلبوا بها الدنيا من المال والجاه والحظوة ورفعة المنزلة... إلخ[١]».

قلت: ومن ذلك تخصيص التجانية الورد المعروف بجوهرة الكمال أنه لا يقرأ إلا بالطهارة المائية دون الترابية، ومن ذلك نشر الإزار عند الذكر، وغيرهما.

الثاني: تقسيم البدعة إلى عملية واعتقادية:

(أ) فالعملية: أن تكون في عمل من أعمال الجوارح، كالبدع في الصلاة والصيام وغيرها.

(ب) والاعتقادية: أن تكون في أمر من الأمور الاعتقادية، كاعتقاد المجسمة والقدرية[٢]، وكاعتقاد بعض التجانيين وحدة الوجود، أو أن أحداً من المشايخ يتصرف في الكون نيابة عن الله عز وجل وغير ذلك.

أسباب الابتداع

للابتداع أسباب متعددة ولعل من أهم الأسباب ما يلي:

١ ـ اتخاذ الناس رؤساء جهالاً يقومون بالفتوى والتعليم ويقولون في الدين بغير علم.

٢ ـ فهم الشيء على غير معناه، وذلك نتيجة للجهل بأساليب اللغة العربية أو عدم معرفة الناسخ من المنسوخ أو غير ذلك.

٣ ـ الجهل بالسنة النبوية المطهرة وعلم مصطلح الحديث، بحيث لا يميز بين الصحيح والضعيف.

٤ ـ اتباع المتشابه من الآيات والأحاديث ﴿فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه

---

(١) الاعتصام: ٢: ١٩.

(٢) الإبداع: ٢٩ ط الخامسة.

منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله[1] ﴾.

٥ ـ اعتقاد العصمة في الأئمة المجتهدين، أو إعطاء الشيوخ من القداسة ما يقارب منازل الأنبياء إن لم يكن أكثر[2].

أسباب انتشار البدع

من أهم أسباب انتشار البدع ما يأتي:

١ ـ جهل الناس بحقيقة دينهم وبعدهم عن سنة نبيهم ﷺ، مما يجعلهم لا يفرقون بين السنة والبدعة.

٢ ـ عمل العالم بالبدعة، وتقليد الناس له؛ لاعتقادهم أنه لا يفعل إلا ما كان سنة ثابتة عن رسول الله ﷺ.

٣ ـ سكوت العلماء عن بيان البدع وتحذير الناس منها رغبة أو رهبة.

٤ ـ تبني الحكام للبدع ومساعدتهم لأصحابها بالمال والنفوذ، ولقد أنشيء في بعض وزارات الأوقاف في العالم الإسلامي قسم باسم: «قسم حماية التصوف»، كما أن الاستعمار يشجع أصحاب البدع من أهل الطرق لتقف سداً منيعاً أمام الإسلام الصحيح[3]. هذا في عصرنا الحاضر، وفي الماضي كان الخليفة المأمون ـ عفا الله عنه ـ وراء انتشار القول بخلق القرآن.

٥ ـ موافقة البدع لأهواء الناس ورغباتهم[4].

حكم البدعة

يختلف حكم البدعة باختلاف تقسيمها، فمن قال بتقسيمها إلى خمسة أقسام بحسب

---

(١) آل عمران: ٧.

(٢) الاعتصام ١: ٢٣١، ٢٥٨.

(٣) انظر تاريخ التجانية في الجزائر من هذا البحث ص ٦٤-٦٩.

(٤) البدعة: ٣٠٢.

الأحكام التكليفية كالعزبن عبدالسلام[1] والقرافي وغيرهما، فإن حكمها واضح، فما كان من البدع الواجبة فواجب، وما كان من البدع المحرمة فمحرم، وما كان من البدع المكروهة فمكروه.. وهكذا.

ومن قال: إن البدع كلها مذمومة، وهو القول الراجح من أقوال العلماء كالشاطبي وغيره، فإنهم قالوا بأن البدع كلها حرام ولكنها تتفاوت في التحريم.

١ ـ فمنها ما هو كفر متفق عليه، كبدعة المنافقين في اتخاذ الدين ذريعة لحفظ المال والنفس، وبدع الجاهليين التي نبه عليها القرآن: ﴿وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيباً فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا[2]﴾.

٢ ـ ومنها ما هو كفر مختلف فيه، كبدع الخوارج والقدرية.

٣ ـ ومنها ما هو معصية، كبدعة التبتل والخصاء بقصد التخلص من شهوة الجماع.

٤ ـ ومنها ما هو مكروه كراهة تحريم، كالاجتماع للدعاء عشية عرفة في غير عرفة، وكذكر الأمراء في خطبة الجمعة وما أشبه ذلك[3].

أما حكم البدعة بمعنى العقوبة المترتبة عليها فيختلف بحسب البدعة، فتارة يكون بالقتل، وتارة بما دونه كما نقل ذلك عن شيخ الإسلام ابن تيمية[4].

وقال الإمام الشافعي في أهل الكلام من أصحاب البدع: «رأيي ومذهبي في أصحاب الكلام أن يضربوا بالجريد ويجلسوا على الجمال ويطاف بهم في العشائر والقبائل وينادى عليهم.. هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة وأخذ في الكلام[5]».

---

(١) قواعد الأحكام ٢: ٢٠٤، ٢٠٥.

(٢) الأنعام: ١٣٦.

(٣) الاعتصام ٢: ٣٦، ٣٧.

(٤) الإبداع: ٦٥.

(٥) رواه أبو نعيم في الحلية ٩: ١١٦ ط الثانية.

ثانياً : التصـــوف
نشـــأة التصـــوف

اختلف العلماء في تاريخ نشأة التصوف:

فقال أبو نصر السراج: إن أول نشأته كانت في الجاهلية قبل الإسلام[١].

وقال ابن خلدون: إن نشأته كانت في القرن الثاني عندما أقبل الناس على الدنيا، وانصرف أناس للزهد والعبادة فسموا بالصوفية[٢].

وذهب الإمام ابن الجوزي إلى أن نشأة التصوف كانت قبل سنة مائتين[٣]، أي في أواخر القرن الثاني.

وذهب شيخ الإسلام ابن تيمية إلى أن نشأة التصوف كانت في أوائل القرن الثاني[٤]، وأنه لم يكن مشهوراً إلا بعد القرن الثالث[٥].

وقال: «إن أول ما ظهرت في البصرة، وأول من بنى دويرة الصوفية بعض أصحاب عبدالواحد بن يزيد من أصحاب الحسن، وكان في البصرة من المبالغة في الزهد والعبادة والخوف ونحو ذلك ما لم يكن في سائر أهل الأمصار، ولهذا يقال: فقه كوفي وعبادة بصرية»[٦].

كما ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية أنه قد نقل التكلم بالتصوف عن الحسن البصري المتوفى سنة (١١٠هـ)، وعن سفيان الثوري المتوفى سنة ١٦١هـ[٧]، ولعل هذا هو الأقرب والله أعلم.

وكان التصوف في بداية أمره عبارة عن الزهد في الدنيا والتفرغ للعبادة ومجاهدة النفس وحملها على الأخلاق الجميلة، فهم مجتهدون في طاعة الله. قال شيخ الإسلام ابن تيمية مبيناً

---

(١) اللمع لأبي نصر السراج: ٤٢، ٤٣ دار الكتب الحديثة.
(٢) مقدمة ابن خلدون: ٤٦٧.
(٣) تلبيس إبليس: ١٦٣.
(٤) مجموع الفتاوى: ١١: ٦، ٧.
(٥) مجموع الفتاوى ١١: ٥.
(٦) مجموع الفتاوى ١١: ٦، ٧.
(٧) مجموع الفتاوى ١١: ٥.

رأيه في متقدمي الصوفية: «والصواب أنهم مجتهـدون في طاعة الله كما اجتهد غيرهـم من أهل طاعة الله، ففيهم السـابق المقرب بحسب اجتهاده، وفيهم المقتصد الـذي هو من أهل اليمين، وفي كـل من الصنفيـن من قـد يجتهـد فيخطىء، وفيهم مـن يـذنب فيتـوب أو لا يتـوب، ومن المنتسبين إليهم من هو ظالم لنفسه عاص لربه.

وقد انتسب إليهم طوائف من أهل البدع والزنـدقة، ولكن عند المحققين من أهل التصوف ليسوا منهم كالحلاج مثلاً، فإن أكثر مشايخ الطريق أنكروه وأخرجوه من الطريق مثل الجنيد بن محمد...[1]».

ثم جاء أقوام بعـد هؤلاء فتكلموا في الجوع والفقر والوسـاوس والخطرات، وصنفوا لهم في ذلك كتباً مثل الحارث المحاسبي[2].

ثم جـاء آخرون فميـزوه بصفات كلبـس المرقعـة والسماع والـوجد والتصفيـق، ثم مازالـوا كذلك حتى سموه علم الباطن وعلم الشريعة وعلـم الظاهر. ثم تفرقوا بعد ذلك فمنهم من أدى به الجـوع إلى الخيالات الفاسـدة فادّعى عشق الحق والهيمـان فيه، ومنهم من قال بـالحلول، ومنهم من قال بالاتحاد.. وهؤلاء مترددون بين الكفر والبدعة[3].

ثم جاء بعـد هؤلاء أقوام اختلفت مشاربهـم، فمنهم من أخذ التصوف بـالمعنى الأول وهو الزهـد والعبادة والانقطـاع عن الدنيـا، ومنهم أخذه حركـات ومظاهـر فمارس كثيراً مـن البدع والمنكرات المخالفة لشريعة الله، ومنهم من أخـذ عقيدة الحلول أو الاتحاد فخرج عن دين الله من حيث يظن أنه بلغ الغاية فيه.

وبهذا يتبين أن خط الانحراف انطلـق من زاوية ضيقة، ثم بدأ بالاتسـاع حتى وصل إلى ما وصلت إليه الصوفية مـن القول بالحلول والاتحاد. فقد كان الصوفيـة الأول يطلقون ألفاظاً مثل الحال والوقت والمقام والفناء ويـريدون بها معاني صحيحة[4]، ثم جاء من بعدهم فزادوا في معانيها، ثم مـن بعدهم حتى فسروها بمعـان تخرج عن دين الله، وهكذا كل انحراف فـإنه يبدأ ضيقاً محدوداً ثم لا يزال يتسع حتى يصل بأصحابه إلى طرق مهلكة.

كل الحوادث مبدأها من النظر ومعظم النار من مستصغر الشرر

---

(١) مجموع الفتاوى ١١: ١٨.

(٢) الحارث المحـاسبي: هـو أبو عبدالله الحـارث بن أسـد المحاسبي. مـن أهم كتبه «الـرعايـة لحقوق الله» وغيره، وهو بصري مات ببغداد سنة ٣٤٣هـ «طبقات الصوفية: ٥٨».

(٣) تلبيس إبليس ١٦٣، ١٦٥. (٤) كشف المحجوب ٢: ٤٨٢.

تعريف التصوف

١ ـ تعريفه لغة :

قال الجوهري في الصحاح: «الصوف للشاة والصوفة أخص منه.. و«صوفة» أبو حي من مضر وهو الغوث بن مربن أد بن طابخة بن إلياس بن مضر. كانوا يخدمون الكعبة في الجاهلية ويجيزون الحاج أي يفيضون بهم. ومنه قول الشاعر:

حتى يقال: أجيزوا آل صوفانا

وكبش صاف: أي كثير الصوف، وصاف السهم عن الهدف يصوف ويصيف عدل منه، ومنه قولهم: صاف عني شر فلان، وأصاف الله عني شره[1]» اهـ.

ومن هذا النص يتبين أن كلمة صوف تأتي بمعنى الصوف المعروف للشاة ونحوها كما تأتي بمعنى مال وعدل. ويرى أحمد بن فارس أن الباب كله يرجع إلى الصوف المعروف، وأن صاف السهم عن الهدف بمعنى مال من باب الإبدال، وفي ذلك يقول: «الصاد والواو والفاء أصل واحد صحيح وهو الصوف المعروف والباب كله يرجع إليه. يقال: كبش أصوف وصوف وصائف وصاف، كل هذا يكون في كثير الصوف، ويقولون: أخذ بصوفة قفاه إذا أخذ بالشعر السائل في نقرته..

فأما قولهم: «صاف عن الشر إذا عدل فهو من باب الإبدال، يقال: صاف إذا مال[2]».

وذهب أحمد بن علي المقري[3] في المصباح المنير[4] إلى أن كلمة (صوفية) كلمة مولدة لا يشهد لها قياس ولا اشتقاق في اللغة العربية، وإلى هذا ذهب القشيري[5] من الصوفية في الرسالة[6] وقال: «والأظهر أنها كاللقب».

---

(١) الصحاح للجوهري ٤: ١٣٨٨، ١٣٨٩ مطابع دار الكتاب العربي. وانظر أيضاً: لسان العرب ١١: ١٠٢، ١٠٣.

(٢) معجم مقاييس اللغة ٣: ٣٢٢.

(٣) هو أحمد بن محمد بن علي الفيومي الحموي المقرئ، من أهم مؤلفاته «المصباح المنير» و«نثر الجمان في تراجم الأعيان» ولد ونشأ بالفيوم بمصر ورحل إلى حماه بسوريا، توفي سنة ٧٧٠ تقريباً، الأعلام ١: ٢١٦.

(٤) المصباح المنير ١: ١٦١ المطبعة العثمانية.

(٥) هو عبدالكريم بن هوازن بن عبدالملك النيسابوري القشيري، وُلِدَ سنة ٣٧٦هـ. من أهم كتبه: «الرسالة القشيرية» و«التفسير الكبير» و«لطائف الإشارات» مخطوط وغيرها، توفي سنة ٤٦٥هـ الأعلام ٤: ١٨٠.

(٦) الرسالة القشيرية ٢: ٥٥٠ تحقيق/ عبدالحليم محمود.

ومال ابن خلدون في المقدمة إلى أنه إن قيل بالاشتقاق فإنها مشتقة من الصوف؛ لأنهم في الغالب مختصون بلبسه[1].

٢ ـ تعريف التصوف اصطلاحاً:

عرف المتقدمون من الصوفية التصوف بتعاريف كثيرة غالبها يدور حول تجريد العمل لله والزهد في الدنيا وترك الشهرة والميل إلى التواضع والخمول، فقد قال الجنيد[2] رحمه الله وقد سئل عن التصوف: «أن تكون مع الله بلا علاقة[3]» وسئل عنه مرة أخرى فقال: هو «أن يميتك الحق عنك ويحييك به[4]» وزاده إيضاحاً حينما قال: «التصوف مبني على ثماني خصال: السخاء والرضى والصبر والإشارة والغربة ولبس الصوف والسياحة والفقر[5]».

وبهذا المعنى قال كثير من متقدمي الصوفية كأبي محمد الجريري[6][7] وعمرو بن عثمان المكي[8][9] ورويم بن أحمد[10][11] وأبو الحسن علي بن إبراهيم

(١) مقدمة ابن خلدون ٤٦٧ الطبعة الرابعة.

(٢) هو أبو القاسم الجنيد بن محمد الخزاز القواريري، وسمي بذلك لأن أباه كان يبيع الزجاج، أصله من نهاوند ومولده ومنشأه في العراق وكان فقيهاً وهو من معتدلي الصوفية، توفي سنة ٢٩٧هـ. «طبقات الصوفية ١٥٥، ٧٥٦».

(٣) عوارف المعارف ١/ ٢٠٢ مطبعة السعادة.

(٤) الرسالة القشيرية ٢: ٥٥١، عوارف المعارف ١/ ٢٠٥.

(٥) كشف المحجوب ١/ ٢٣٥.

(٦) فقد سئل عن التصوف فقال: «الدخول في كل خلق سني والخروج من كل خلق دني» (الرسالة القشيرية ٢: ٥٥١) (عوارف المعارف ١: ٢٠٣).

(٧) هو أبو محمد أحمد بن محمد بن الحسين، قيل: اسمه الحسن بن محمد، وكان من كبار أصحاب الجنيد، مات ببغداد سنة ٣١١هـ «طبقات الصوفية ٢٥٩».

(٨) فقد سئل عن التصوف فقال: «أن يكون العبد في كل وقت بما هو أولى به في الوقت»، الرسالة القشيرية ٢: ٥٥٢، عوارف المعارف ١/ ٢٠٦.

(٩) هو عمرو بن عثمان بن كرب بن غصص وكنيته أبو عبدالله، وهو عالم بالأصول من أهل مكة وله مصنفات في التصوف، مات ببغداد سنة ٢٩١ هـ ،طبقات الصوفية ٢٠٠، ٢٠١، الأعلام ٥/ ٢٥٢.

(١٠) فقد سئل عن التصوف فقال: «استرسال النفس مع الله تعالى على ما يريده» الرسالة القشيرية ٢/ ٥٥٢.

(١١) هو رويم بن أحمد بن يزيد وكنيته أبو محمد، وهو من أهل بغداد وهو فقيه على مذهب داود الظاهري وكان مقرئاً مات سنة ٣٠٣هـ «طبقات الصوفية ١٨٠».

الحصـــري[1][2].

والحق أن هذا التعريـف للتصوف ينطبق عليه في عهده الأول قبل أن تدخـل عليه كثير من التحريفات والبدع والمنكرات.

ولقد مـر التصوف ـ كمـا سبق أن بينا [3] ـ بعـدة مراحل، فقد كـان في أوله زهداً في الـدنيا وانقطاعاً لعبادة الله عز وجل، ثم صار حركات ومظاهر خالية من الروح والعبادة، ثم صار إلحاداً وخروجاً عـن دين الله، وهذا ما عبر عنـه الواسطي[4] أحد كبـار الصوفية حين قال: «كـان للقوم إشارات ثم صارت حركات ثم لم يبق إلا حسرات[5]».

والمتصوفة في العصور المتأخرة منهم من أخذ التصوف بالمعنى الأول وهو الزهد والعبادة، ومنهم مـن أخـذه حركـات ومظـاهـر لا روح فيهـا ولا حيـاة، ومنهم من أخـذه عقيـدة الحلـول والاتحاد فخرج بذلك عن دين الله. ولذا قال أحد المتصوفة: «التصوف اسم قد وقع على ظاهر اللبسة وهم متفاوتون في معانيهم وأحوالهم[6]» .

من هذا يتبيـن أن تعريف التصوف يختلـف باختلاف العصـور التاريخية التي مـر بها. والله أعلم.

---

(١) فقـد قال الحصـري في تعـريـف التصوف: «التصـوف صفـاء السريـرة عن كـدورة المخـالفـة» (كشف المحجوب ١: ٢٣٤).

(٢) هو أبو الحسن علي بن إبـراهيم الحصري، بصري الأصل سكن بغداد وقد صحب أبـا بكر الشبلي، مات ببغداد سنة ٣٧١هـ «طبقات الصوفية ٤٨٩».

(٣) انظر ص ٢٧ ـ ٢٨.

(٤) هو محمد بن موسى الواسطي وكنيته أبو بكر، وأصله من (فرغانة) «كورة واسعة بما وراء النهر متاخمة لبلاد تركستـان» وكان يعرف بـابن الفرغانـي، وهو من أصحاب الجنيـد وكان عالمـاً بالأصول، دخل خـراسان واستوطن كورة مرو ومات بها سنة ٣٢٠هـ «طبقات الصوفية ٣٠٢».

(٥) الرسالة القشيرية ٢: ٥٥٥.

(٦) اللمع لأبي نصر السراج ٤٧ تحقيق عبدالحليم محمود.

لماذا سموا بالصوفية

اختلف العلماء في المعنى الذي نسب إليه الصوفية على أقوال نذكرها فيما يأتي:

فقيل: إنهم منسوبون إلى رجل يقال له: «صوفة» واسمه الغوث ابن مر بن أُدٍّ بن طابخة ابن إلياس بن مضر، كان قد انقطع للعبادة في المسجد الحرام فانتسبوا إليه لمشابهتهم إياه فسموا الصوفية[1].

ومال ابن الجوزي إلى صحة هذه النسبة[2] وضعفها ابن تيمية لعدة أسباب:

أن هؤلاء غير مشهورين ولا معروفين.

ولأنه لو نسب النساك إلى هؤلاء لكان النسب في زمن الصحابة والتابعين أولى، كما أن الغالب أن من تكلم باسم الصوفي لا يعرف هذه القبيلة كما لا يرضى أن يكون منسوباً إلى قبيلة في الجاهلية[3].

وذهب قوم إلى أنهم منسوبون إلى الصوف وهو اختيار شيخ الإسلام ابن تيمية[4] والسهروردي[5][6] وابن خلدون[7] من المتقدمين[8] واستدلوا على ذلك بأدلة كثيرة منها:

(أ) أنه لباس الأنبياء: فقد روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: «لقد سلك فج الروحاء[9] سبعون نبياً حجاجاً عليهم ثياب الصوف، ولقد صلى في مسجد الخيف سبعون

---

(١) تلبيس إبليس ١٦١ دار الكتب العلمية، لسان العرب ١١/ ١٠٢، طبعة بولاق ط الأولى.

(٢) تلبيس إبليس ١٦٣.

(٣) مجموع الفتاوى ١١/ ٦، ٧.

(٤) مجموع الفتاوى ١١/ ٦، ٧.

(٥) هو عبدالقاهر بن عبدالله بن محمد البكري الصديقي السهروردي، ولد سنة ٤٩٠هـ بسهرورد، من فقهاء الشافعية ومن كبار الصوفية، من أهم كتبه: «آداب المريدين» و«شرح الأسماء الحسنى»، توفي ببغداد سنة ٥٦٣هـ «الأعلام ٤/ ١٧٤».

(٦) عوارف المعارف ١/ ٢١١ مطبعة السعادة.

(٧) مقدمة ابن خلدون ٤٦٨ ط الرابعة.

(٨) كما رجحه زكي مبارك من المتأخرين، التصوف الإسلامي ١/ ٤٢ دار الجيل.

(٩) الروحاء: اسم بلد، والروحاء منزل بين مكة والمدينة.

نبيا[1]».

(ب) أنه لباس الصحابة والتابعين، فعن أبي بردة بن أبي موسى عن أبيه قال: «يا بني لو رأيتنا ونحن مع النبي ﷺ وأصابتنا السماء لحسبت أن ريحنا ريح الضأن[2]».

وقال الحسن البصري رضي الله عنه: «والله لقد أدركت سبعين بدرياً أكثر لباسهم الصوف»[3][4].

(جـ) أنه لباس الصوفية المتقدمين، فقد حدث اليافعي[5] أن لباس الصوف كان غالباً على المتقدمين من الصوفية وذلك لأنه أقرب إلى الخمول والتواضع[6].

(د) أن لبس الصوف علامة الذل والتواضع، وفي هذا المعنى يقول أبو فراس الحمداني يخاطب سيف الدولة:

يا واسع الدار كيف توسعها ونحن في صخرة نزلزلها
يا ناعم الثوب كيف تبدله ثيابنا الصوف ما نبدلها[7]

(هـ) أن الصوفية كانوا يعرفون نسبهم إلى الصوف، فقد دخل أبو محمد بن أخي معروف الكرخي[8] على أبي الحسن بن بشار وعليه جبة صوف فقال له أبو الحسن: يا أبا محمد

---

(١) رواه الحاكم في المستدرك ٢/ ٥٩٨، الناشر مكتب المطبوعات الإسلامية.

(٢) رواه الترمذي في جامعه المطبوع مع شرحه تحفة الأحوذي ١٨٣:٧ وقال: «وهذا حديث صحيح» ومعنى هذا الحديث أنه كان ثيابهم الصوف، فكان إذا أصابهم المطر يجيء من ثيابهم ريح الضأن، قاله الترمذي، ورواه أبو داود في سننه المطبوع مع شرحه عون المعبود ١١/ ٧٧، ٧٨، وأخرجه أحمد في المسند ٤/ ٤٠٧، ٤١٩، ورواه أبو نعيم في الحلية ١/ ٢٥٩، ط الثانية.

(٣) رواه أبو نعيم في الحلية ٢/ ١٣٤.

(٤) وكون نبينا محمد ﷺ والأنبياء لبسوا الصوف لا يدل على أفضليته على غيره من الألبسة بل غاية ما فيه الدلالة على أنه أمر مباح لا محظور في لبسه. مجموع الفتاوى ١١/ ٦، تلبيس إبليس ١٩٨.

(٥) هو عبدالله بن أسعد بن علي اليافعي، ولد سنة ٦٩٨هـ في عدن ونشأ فيها، مؤرخ باحث متصوف شافعي المذهب، من كتبه : مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة حوادث الزمان، وله: الدر النظيم في خواص القرآن العظيم، وغيرها. توفي بمكة سنة ٧٦٨هـ «الأعلام ٤/ ١٩٨».

(٦) التصوف الإسلامي ١/ ٤٣.

(٧) ديوان أبي فراس ٢٤٣ دار صادر بيروت.

(٨) معروف الكرخي: هو معروف بن فيروز الكرخي أبو محفوظ من كبار المتصوفة المتقدمين كان من موالي الإمام علي الرضى بن موسى الكاظم، ولد في كرخ بغداد، ولابن الجوزي كتاب في أخباره وآدابه، توفي ببغداد سنة ٢٠٠هـ ،طبقات الصوفية ٨٣، ٨٥، الأعلام ٨/ ١٨٥.

صوفت قلبك أو جسمك، صوف قلبك والبس القوهي على القوهي[1][2].

وقال النضر بن شميل[3] لبعض الصوفية: «تبيع جبتك الصوف؟ فقال: إذا باع الصياد شبكته بأي شيء يصطاد[4]»؟

وقيل: إنهم منسوبون إلى أهل الصفة؛ لما بينهم وبين الصوفية من التشابه في الانقطاع عن الدنيا والتفرغ للعبادة، وهذه النسبة غير مستقيمة من جهة اللغة فإنهم لو نسبوا إلى أهل الصفة لقيل: صُفِّي[5].

وقيل: نسبة إلى الصف المقدم بين يدي الله عز وجل، وهذا أيضاً غير مستقيم من جهة اللغة فإنهم لو نسبوا إلى الصف لقيل: صَفِّي[6].

وقيل نسبة إلى الصفوة من خلق الله، وهذا غير سليم بمقتضى اللغة لأن النسبة إليها على «صفوي[7]».

وقيل: نسبة إلى الصفاء، إلاأن نسبة الصوفي إلى الصفاء من جهة اللغة بعيد[8].

وفي ذلك يقول أبو الفتح البستي[9]:

تنازع الناس في الصوفي واختلفوا ... فيه وظنوه مشتقاً من الصوف

ولست أمنح هذا الاسم غير فتى ... صافَى فصُوفِيَ حتى سمي الصوفي

---

(١) القوهي: الثياب البيض، لسان العرب١٧/ ٤٢٩.

(٢) تلبيس إبليس ١٩٨.

(٣) هو أبو الحسن النضر بن شميل بن خرشة بن يزيد المازني التميمي، ولد سنة ١٢٢هـ بمرو من خراسان وأصله من البصرة، عالم بأيام العرب ورواية الحديث وفقه اللغة، له كتاب «الصفات» وكتاب: «المعاني في غريب الحديث» توفي سنة ٢٠٣هـ «الأعلام ٨/ ٣٥٧، ٣٥٨».

(٤) تلبيس إبليس ١٨٢.

(٥) مجموع الفتاوى ١١/ ٦، تلبيس إبليس ١٧٢، الرسالة القشيرية ٢/ ٥٥٠.

(٦) مجموع الفتاوى ١١/ ٦، الرسالة القشيرية ٢/ ٥٥١.

(٧) مجموع الفتاوى ١١/ ٦.

(٨) الرسالة القشيرية ٢/ ٥٥٠.

(٩) هو علي بن محمد بن الحسين بن يوسف البستي أبو الفتوح، ولد في «بست» قرب سجستان وإليها نسب، له ديوان شعر وهو صاحب القصيدة المعروفة: «زيادةالمرء في دنياه نقصان» توفي ببلدة «أوزجند» ببخارى سنة ٤٠٠هـ الأعلام ٥/ ١٤٤.

وقيل: نسبة إلى الصوفانة[١]، وذلك لاكتفائهم بالقليل من الطعام ولو من نبات الصحراء، وهذا غير سليم بمقتضى اللغة ؛لأنه لو نسب إليها لقيل: صوفاني لا صوفي[٢].

وقيل: إنهم منسوبون إلى صوفة القفا وهي الشعرات النابتة في مؤخرة الرأس، كأن الصوفي انصرف عن الخلق إلى الحق[٣].

وذهب البيروني[٤] إلى أنهم منسوبون إلى «السوفية» الحكماء القائلون بالوحدة، وأن الصوفية أول من أدخل ذلك في الإسلام فسموا باسمهم[٥]، وقد رد هذا القول زكي مبارك في كتابه: التصوف الإسلامي[٦].

بعد هذا العرض الموجز فالذي نميل إليه أنهم سموا بالصوفية نسبة إلى اللبسة الظاهرة وهي الصوف غالباً، وليس طريقهم مقيداً بلبس الصوف بل كانوا يستحبون لبسه ولا زال بعض الصوفية اليوم يلبسونه، وذلك لما سبق[٧] من أدلة ولأنه موافق للغة، ولأن بقية المعاني لا تخلو من مقال كما سبق بيان ذلك[٨].

---

(١) والصوفانة «بقلة زغباء قصيرة» لسان العرب ١١/ ١٠٢، ط الأولى.

(٢) تلبيس إبليس ١٦٣.

(٣) تلبيس إبليس ١٦٣.

(٤) هو محمد بن أحمد أبو الريحان البيروني الخوارزمي، ولد سنة ٣٦٢هـ فيلسوف رياضي مؤرخ من أهل خوارزم أقام في الهند مدة، له مصنفات منها: الآثار الباقية عن القرون الخالية، ومنها: التفهيم لصناعة التنجيم، ومنها: تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة، توفي سنة ٤٤٠هـ الأعلام ٦/ ٢٠٥.

(٥) تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة ٢٤، ٢٥ طبع مجلس دائرة المعارف العثمانية.

(٦) التصوف الإسلامي ١/ ٥٢.

(٧) انظر: ص٣٢.

(٨) انظر ص ٣٤.

أقسام الصوفية

اختلف المتقدمون من العلماء في تقسيم الصوفية، فقد قسمهم شيخ الإسلام ابن تيمية والهجويري[1] إلى ثلاثة أقسام بينما قسمهم الرازي إلى ستة أقسام. وفيما يلي تقسيم كل منهم على حدة:

أقسام الصوفية عند ابن تيمية :

يرى شيخ الإسلام ابن تيمية أنهم ينقسمون إلى ثلاثة أقسام هي:

الأول: صوفية الحقائق: وهم المتفرغون للعبادة والذكر والزاهدون في الدنيا.

الثاني: صوفية الأرزاق: وهم الذين وقفت عليهم الوقوف ويشترط في هؤلاء ثلاثة شروط:

(أ) العدالة الشرعية بحيث يؤدون الفرائض ويجتنبون المحارم.

(ب) التأدب بآداب أهل الطريق وهي الآداب الشرعية أما الآداب البدعية فلا يلتفت إليها.

(جـ) ألا يكون أحدهم متمسكاً بفضول الدنيا.

الثالث: صوفية الرسم: وهم المقتصرون على المظاهر كاللباس والوقار ونحوها وليس لهم رصيد من العمل، فيظن الجاهل أنهم منهم وليسوا منهم[2].

أقسام الصوفية عند الهجويري :

يقسم الهجويري الصوفية إلى ثلاثة أقسام ويقول: إن منهم:

الأول: الصوفي: وهو المتفرغ لعبادة الله المتجه إليه المتجرد عن العلائق الدنيوية.

الثاني: ومنهم المتصوف: وهو الذي يجاهد نفسه ويقومها للوصول إلى الدرجة السابقة.

الثالث: ومنهم المستصوف: وهو من تشبه بهم من أجل المنزلة والجاه والمال ولا رصيد له من العمل المخلص حتى قيل فيه: «المستصوف عند الصوفية كالذباب وعند غيرهم كالذئاب[3]».

---

(١) هو علي بن عثمان بن أبي علي الجلابي الهجويري الغزنوي وكنيته أبو الحسن، ولد فيما بين العقد التاسع والعاشر من القرن الرابع الهجري، من أهم مؤلفاته «الديوان» و«كشف المحجوب» و«ثواقب الأخبار وكشف الأسرار» توفي بلاهور بباكستان سنة ٤٥٦هـ تقريباً. مقدمة كشف المحجوب ٤٥، ٩٨، بقلم الدكتورة سعاد عبدالهادي قنديل.

(٢) مجموع الفتاوى ١١/ ١٩، ٢٠ بتصرف.

(٣) كشف المحجوب ١/ ٢٣١.

أقسام الصوفية عند الفخر الرازي[1] :

يقسمهم الرازي إلى ست فرق نوجزها فيما يلي:

الأولى: أصحاب العادات: وهم الذين يهتمون بتزيين الظاهر كلبس الخرقة وتسوية السجادة.

الثانية: أصحاب العبادات: وهم المتفرغون للعبادة المنقطعون عن الدنيا.

الثالثة: أصحاب الحقيقة: وهم الذين إذا فرغوا من الفرائض لم يشتغلوا بنوافل العبادات، بل في التفكر في ملكوت الله وتجريد النفس عن كل ما يشغلها عن ذكر الله، فهم يحرصون ألا يخلو بالهم عن ذكر الله.

الرابعة: النورية: وهم يقولون إن الحجاب حجابان نوري وناري، أما النوري فالاشتغال باكتساب الصفات المحمودة، وأما الناري فالاشتغال بالشهوة والغضب والحرص والأمل.

الخامسة: الحلولية: وهم قوم يزعمون أن قد حصل لهم الحلول أو الاتحاد فيدعون دعاوى عظيمة، وليس لهم من العلوم العقلية نصيب.

السادسة: المباحية: وهم قوم يدعون محبة الله ويخالفون شريعته، ويقولون: إن الحبيب رفع عنا التكليف وهؤلاء شر الطوائف[2].

وهذه الأقسام التي أشار إليها هؤلاء الأعلام لا تختص بزمان معين بل يوجد في كل عصر لكل قسم منها أتباع ومريدون

---

(١) هو محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي البكري أبو عبدالله الإمام المفسر، ولد سنة ٥٤٤هـ في الري وأصله من طبرستان، من كتبه: كتاب «مفاتح الغيب» في التفسير، و«معالم أصول الدين» و«المحصول في علم الأصول» وغيرها، توفي في هراة سنة ٦٠٦هـ الأعلام ٧/ ٢٠٣.

(٢) اعتقادات فرق المسلمين والمشركين للفخر الرازي ١١٥، ١١٧ شركة الطباعة الفنية المتحدة.

طــــرق الصوفيـــة

تحدَّثنا فـي المبحث السابق عن أقسام الصوفيـة، ونريد بالقسم المعنى الـذي يشمل عدة طرق، ونريد بـالطريق ما يضعه شيخ من مشـايخ الصوفية لمجموعة من المـريدين من أوضاع يلتزمونها ويختصون بها دون غيرهـم.

فعلى هـذا فالقسم الـواحد قـد يدخـل تحته مجمـوعة من الطـرق تتفق في المعنـى العام وتختلف فـي بعض المظـاهـر والأوضاع والمعـانـي. فمثلاً الطـريقـة المحـاسبية، والطـريقـة الجنيديـة، من القسم الـذي يسميه شيـخ الإسلام ابن تيميـة صوفيـة الحقائق، ولكـن تختلف الأولى عن الثانية بأن الأولى تقوم على الرضا والثانية تقوم على الصحو.

ويعتبر الهجويري المتوفى سنة (٤٦٥هـ) أول من كتب عن طـرق الصوفية ـ فيما علمت ـ وقد قسمهم إلى اثنتي عشرة فرقة، منها عشر مقبولة ـ كما يقول ـ واثنتان مردودتان ذكرهما تحت اسم «الحلولية[١]».

وقـد ذكر الشيـخ أبو علي حسـن بن علي العجيمـي الحنفي[٢] طـرق الصوفيـة فعد منهـا أربعين طريقاً في رسالة له، وقد لخصها الشيخ أبو سالم العياشي[٣] في رحلته[٤]، وقد أوصلها غيرهم إلى أكثر من ذلك.

والحق أن الطرق الصوفية كثيـرة جداً بحيث يصعب حصرها، إذ كل من عنّ لـه أن يبتدع طريقاً فعل وسماها باسمه أو اسـم قبيلته أو عشيرته، وهذا مشاهد بكثرة في إفريقيـا وغيرها، إذ بين كل فترة وأخرى تخرج طـريقة جديدة تحمل اسماً جـديداً ولها أوضاع معينة وأوراد مقـررة، وسنتحدث فيما يلي عن بعض هذه الطرق بشكل موجز ونكتفي بعرض أسماء بعض الطرق الأخرى :

* الطريقة الجنيدية :

وتنسب إلى أبي القـاسم الجنيد بن محمـد رضي الله عنه[٥]، وطريقته مبنيـة على الصحو،

---

(١) كشف المحجوب ٢/ ٤٠٣.

(٢) هو الحسن بن علي بـن يحيى أبو البقاء العجيمي، ولد بمكة سنـة ١٠٤٩هـ من تصانيفه: خبايـا الزوايا، وإهـداء اللطائف مـن أخبار الطـائف، وحـاشيـة على الأشبـاه والنظائر، وغيـرهـا. تـوفي بـالطائف سنـة ١١١٣هـ الأعلام ٢/ ٢٢٣.

(٣) هو عبدالله بن محمد بن أبي بكر العياشي أبو سالم من أهل المغرب من أهل فاس، ولد سنة ١٠٣٧هـ له مؤلفات منها: «الرحلة العياشية»، و«إظهار المنـة على المبشرين بالجنة»، و«تنبيه ذوي الهمم العالية على الزهد في الدار الفانية»، توفي سنة ١٠٩٠هـ الأعلام ٤: ٢٧٣.

(٤) بغية المستفيد شرح منية المريد ٧٢.   (٥) سبق ذكر ترجمته.

ويعرف الجنيد الصحو بأنه عبارة عن صحة حال العبد مع الحق، وطريقته من أشهر الطرق في القديم[1].

*** الطريقة المحاسبية :**

وتنسب إلى أبي عبدالله الحارث المحاسبي[2]، وهي تقوم على تجريد التوحيد بصحة المعاملة الظاهرة والباطنة، وعلى أن الرضا من جملة الأحوال التي يمنّ الله بها على عباده، والرضا عندهم نوعان:

رضا الله عن العبد، وحقيقته عندهم إرادة الثواب والنعمة والكرامة للعبد.

ورضا العبد عن الله، وحقيقته استواء القلب على طرفي القضاء والمنع والعطاء[3][4].

*** الطريقة القصارية :**

وتنسب إلى أبي صالح حمدون بن أحمد بن عمارة القصار[5]، وتسمى «الحمدونية» نسبة إلى حمدون، وهي تقوم على لوم الإنسان نفسه لتقصيره بالطاعة، وعلى لوم الناس له لارتكابه بعض المخالفات التي تنفر الناس عنه وتسقط منزلته بينهم؛ لشدة إخلاصه لله ولهذا سموا «بالملامتية»[6]. قال ابن الجوزي: «وفي الصوفية قوم يسمون الملامتية اقتحموا الذنوب وقالوا: مقصودنا أن نسقط من أعين الناس فنسلم من الجاه، وهؤلاء أسقطوا جاههم عند الله لمخالفة الشرع»[7].

وقد ذكر السلمي في الطبقات جملة من أقوال حمدون القصار[8].

---

(١) كشف المحجوب ٢/ ٤١٩.

(٢) سبق ترجمته انظر ص ٢٨.

(٣) وهذا يخالف مذهب أهل السنة والجماعة، إذ المذهب الحق أن القضاء منه ما يجب الرضا به ومنه ما يستحب الرضا به ومنه ما يحرم الرضاء به. انظر شرح الطحاوية ص.

(٤) كشف المحجوب ٢/ ٤٠٤، ٤٠٥.

(٥) هو حمدون بن أحمد بن عمارة أبو صالح القصار النيسابوري شيخ أهل الملامة بنيسابور، كان عالماً فقيهاً وقد توفي سنة ٢٧١ هـ بنيسابور ودفن في مقبرة الحيرة «حيرة نيسابور»، طبقات الصوفية ١٢٣.

(٦) عوارف المعارف ١/ ٢٢٥، كشف المحجوب ٢/ ٤١٢، شرح الطحاوية ٥٧٥ ط الرابعة.

(٧) تلبيس إبليس ٣٦٣.

(٨) طبقات الصوفية ١٢٤، ١٢٩.

* الطريقة الطيفورية :

وينسبون إلى أبي يزيد طيفور بن عيسى البسطامي[1]، وهي تقوم على الغيبة والسكر، وعرف القشيري السكر فقال: «السكر غيبة بوارد قوي والصحو رجوع إلى الإحساس بعد الغيبة»[2]. ويميل طيفور إلى تفضيل السكر على الصحو، بينما يميل الجنيد إلى تفضيل الصحو على السكر، كما أن طيفور يميل إلى العزلة وترك الصحبة[3].

* الطريقة النورية :

وتنسب إلى أبي الحسين النوري[4]، وهي تقوم على تفضيل التصوف على الفقر، كما تقوم على الإيثار. فالتصوف قد سبق تعريفه[5]، والفقر سئل عنه الشبلي[6] فقال: «ألاَّ يستغني العبد بشيء دون الله عز وجل»[7].

والإيثار يعرّف بأنه: «القيام بمعاونة الأغيار مع استعمال ما أمر الجبار لرسوله المختار، حيث قال: ﴿خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين﴾»[8][9].

---

(١) هو أبو يزيد طيفور بن عيسى بن سروشان، وله أخوان من الزهاد وهما آدم وعلي. وهم من أهل بسطام «بلدة على جادة الطريق إلى نيسابور» مات سنة ٢٦١هـ طبقات الصوفية ٦٧.

(٢) الرسالة القشيرية ١/ ٢٨٦.

(٣) كشف المحجوب ٢/ ٤١٨.

(٤) هو أبو الحسن أحمد بن محمد النوري، ولد ونشأ ببغداد وأصله من خراسان وعرف بابن البغوي نسبة إلى قريته بغشور وهي بلدة بين هراة ومرو الروز، توفي سنة ٢٩٥هـ طبقات الصوفية ١٦٤، ١٦٥.

(٥) انظر ص٣٢.

(٦) هو أبو بكر الشبلي دلف بن جحدر ويقال: ابن جعفر، وهو خراساني الأصل بغدادي المنشأ، ولد في سامرا سنة ٢٤٧هـ وكان مالكي المذهب، عمره ٨٧ سنة، ومات سنة ٣٣٤هـ ودفن بمقبرة الخيزران، طبقات الصوفية ٣٣٧، ٣٣٨.

(٧) كشف المحجوب ٢/ ٤٢٠.

(٨) الأعراف: ١٩٩.

(٩) وهناك طريقة أخرى تسمى النورية وتنسب إلى الشيخ نور الدين الإسفراييني وهي شعبة من الركنية «المنسوبة» للشيخ ركن الدين السمناني، بغية المستفيد ٧٤.

* الطريقة السهلية :

وتنسب إلى سهل بن عبدالله التستري[1] رحمه الله، وتقوم على مجاهدة النفس ومخالفتها وترويضها على الطاعات وتحمل المشاق، ويستدلون على مجاهدة النفس بقوله تعالى: ﴿والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا﴾[2].

وعلى مخالفتها بقوله تعالى: ﴿وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى. فإن الجنة هي المأوى﴾[3].

وقوله تعالى: ﴿أفكلما جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم استكبرتم[4][5]﴾.

* الطريقة الحكيمية :

وتنسب إلى أبي عبدالله محمد بن علي الحكيم الترمذي[6]، وتقوم طريقته على الولاية وهي: أن تعلم أن لله عباداً قد خصهم بمحبته وخصهم بأنواع المكرمات وعددهم أربعة آلاف وهم المكتومون، ولا يعرف أحدهم الآخر وهم مستورون عن أنفسهم وعن الخلق، ومنهم القطب والنقباء والأوتاد والأبدال[7][8].

---

(١) هو سهل بن عبدالله التستري وكنيته أبو محمد أحد أئمة الصوفية. توفي سنة ٢٨٣هـ وقيل سنة ٢٩٣هـ قال في الطبقات: «وأظن أن ثلاثاً وثمانين أصح» طبقات الصوفية ٢٠٦.

(٢) العنكبوت: ٦٩.

(٣) النازعات ٤٠، ٤١.

(٤) البقرة ٨٧.

(٥) كشف المحجوب ٢/ ٤٢٦، ٤٣٢.

(٦) هو محمد بن علي بن الحسن الترمذي وكنيته أبو عبدالله الحكيم الترمذي، من أهل ترمذ، نفي منها بسبب تأليفه كتاب «ختم الولاية وعلل الشريعة»، باحث صوفي عالم بالحديث من أهم كتبه: «نوادر الأصول في أحاديث الرسول» و«الفروق»، و«غرس الموحدين»، وغيرها، وهو غير أبي عيسى محمد بن عيسى الترمذي صاحب الجامع المتوفى سنة ٢٧٩هـ إلا أنه معاصر له ومن بلدة ترمذ نفسها، توفي أبي عبدالله سنة ٢٥٥ هـ وقيل سنة ٢٨٥هـ، طبقات الصوفية ٢١٧، الأعلام ١٥٦، ١٥٧.

(٧) كشف المحجوب ٢/ ٤٤٦، ٤٤٨.

(٨) سيأتي بيان هذه المصطلحات ص١٨٧ ـ ١٩٣.

* **الطريقة الخرازية :**

وتنسب إلى أبي سعيد الخراز[(١)]، وتقوم طريقته على حال الفنـاء والبقاء، وهو أول من عبر عنهما فقال: «الفناء فناء العبـد عن رؤية العبودية، والبقاء بقاء العبد عن رؤيـة العبودية، والبقاء بقـاء العبد يشـاهـد الألوهيـة»[(٢)]. وقـال القشيري: «أشـار القـوم بـالفناء إلـى قيام الأوصـاف المحمودة»[(٣)].

* **الطريقة الخفيفة :**

وتنسب إلى أبـي عبدالله محمـد بن خفيف[(٤)]، وهي تقـوم على الغيبة والحضـور، وتعرّف الغيبة بأنها غيبة القلب عما دون الحق إلى حـد أن يغيب حتى عن نفسه، ويعرّف الحضور بأنه حضـور القلب بـدلالة اليقيـن حتى يصيـر الحكم الغيبي لـه مثل الحكـم العيني، ومحمـد بن خفيف ممن يرى تقديم الغيبة على الحضور[(٥)].

* **الطريقة السيارية :**

وتنسب إلى أبي العبـاس السياري[(٦)]، وتقوم على الجمع والتفـرقة، ويعرّف الجمع بأنـه ما يكون من قبل الحق من إبداء معان وإسداء لطف وإحسان، وتعـرّف التفرقة بأنها ما يكون كسباً للعبد من إقامة العبودية وما يليق بأحوال البشرية[(٧)].

* **الطريقة الأويسية :**

وتنسب إلـى أويس القـرنـي رضي الله عنـه[(٨)]، وتقـوم على الاتصـال الـروحي بـالأحيـاء

---

(١) هو أبـو سعيد الخراز واسمه أحمـد بن عيسى وهو من أهـل بغداد ومن أئمة الصـوفية ،توفي سنـة ٢٧٩هـ طبقات الصوفية٢٧٩.

(٢) كشف المحجوب ٢/ ٤٨٥.

(٣) الرسالة القشيرية ١/ ٢٦٠.

(٤) هو أبو عبدالله محمد بن خفيف بن اسفكشاذ الضبي وكنيته أبو عبدالله، وكان يقيم بشيراز، وأمه نيسابورية. مات سنة ٣٧١هـ ،طبقات الصوفية ٤٦٢.

(٥) كشف المحجوب ٢/ ٤٨٩، ٤٩٠.

(٦) هو القاسم بن القاسم أبو العباس السياري وكان من أهل مرو، توفي سنة ٣٤٢هـ طبقات الصوفية ٤٤٠.

(٧) الرسالة القشيرية ١/ ٢٥٤.

(٨) هو أويس بن عامر بن جزء من مالك القرني من بنـي قرن بن ردمان بن ناجية بن مراد، أحد النساك العباد، من سـادات التابعين وأصلـه من اليمن، وأدرك حياة النبي ﷺ ولم يره، ووفـد على عمر بن الخطـاب ثم سكن الكوفة وشهد وقعة صفين مع علي، ويقال: إنه قتل فيها، توفي سنة ٣٧هـ الأعلام ١/ ٣٧٥.

والأموات. ويقولون: إن أويس قد أخذ عن روحانية سيد المرسلين، وكل من أخذ عن روحانية شيخ من المشايخ تسمى طريقته: أويسية.

وقد وجدت هذه الطريقة عند بعض أهل الطريقة التجانية، قال في بغية المستفيد: «وقد وجدت هذه الطريق في أهل طريقنا، كما بلغنا أنه اتفق لبعض مشاهير الأولياء من أهل (تشيت) فأخذ عن روحانية الشيخ رضي الله عنه بمسجده من بلده وأجازله بإطلاق...[١]».

* الطريقة الخلوتية :

وتنسب للشيخ محمد الخلوتي، وتنتهي هذه الطريقة إلى قطب الدين أحمد بن محمد الأبهري وهي مبنية على الذكر بكلمة «لا إله إلا الله» بكيفية مخصوصة، ثم ذكر الجلالة ثم الأسماء العشرة على الترتيب: هو، حق، حي، قهار، وهاب، فتاح، واحد، أحد، صمد، قيوم.

وقد أخذ هذه الطريقة أحمد التجاني عن محمود الكردي المصري[٢] وذلك قبل أن يبتدع طريقته الجديدة[٣].

* الطريقة الحلمانية :

وتنسب إلى أبي حلمان الدمشقي[٤]، وهو يعتقد حلول الله في الأشخاص الحسنة، كما يقول بتناسخ الأرواح، كما أنه يقول بإباحة المحرمات فهو إباحي حلولي[٥]، كما ذهب إلى القول بالحلول الحسين بن منصور الحلاج[٦] وإليه تنسب الحلاجية[٧].

وهناك سوى ما ذكرنا طرق كثيرة نذكر بعضاً منها فيما يلي:

---

(١) بغية المستفيد ٧٣.

(٢) هو محمود الكردي المصري، أصله من العراق، ولد ونشأ فيها، ثم سافر إلى مصر وسكن بها وتوفي سنة ١٢٠٨هـ بغية المستفيد ١٦٣.

(٣) الصلة بين التصوف والتشيع ٤٤١، بغية المستفيد ٧٤، ٧٥.

(٤) هو أبو حلمان الدمشقي، أصله من فارس ومنشؤه حلب، وأظهر بدعته بدمشق فنسب لذلك، الفرق بين الفرق ٢٤٥، دار الآفاق الجديدة.

(٥) الفرق بين الفرق ٢٤٥ الطبعة الأولى، كشف المحجوب ٢/ ٥٠١.

(٦) هو الحسين بن منصور وكنيته أبو مغيث، وهو من أهل بيضاء، وهي مدينة مشهورة بفارس ونشأ في مدينة واسط في العراق، كفره كثير من العلماء وبعض الصوفية، قتل بباب الطاق ببغداد سنة ٣٠٩هـ، طبقات الصوفية ٣٠٧.

(٧) الفرق بين الفرق ٢٤١.

* الطريقة القلندرية[1].
* الطريقة القادرية[2].
* الطريقة الرفاعية[3]
* الطريقة المولوية[4].
* الطريقة الشاذلية[5].
* الطريقة النقشبندية[6].
* الطريقة الصديقية[7].
* الطريقة الكيروية[8].

---

(١) وشيخ هذه الطريقة هو السيد حيدر التوني الموسوي المتوفى سنة ٧٣٢هـ وهي مبنية على طيبة القلب والتقلل من الدنيا، بغية المستفيد ٧٣، الصلة بين التصوف والتشيع ٤٤٦، ط الثانية.

(٢) وتنسب إلى الشيخ عبدالقادر الجيلاني المتوفى سنة ٥٦١هـ ولهذه الطريقة أتباع في جميع أنحاء العالم، ومنها الجزائر وجاوا وغينيا، بغية المستفيد ٧٥، الصلة بين التصوف والتشيع ٤٤٣، ٤٤٤.

(٣) وتنسب إلى الشيخ أحمد الرفاعي المتوفى سنة ٥٧٨ هـ وله أتباع كثيرون، وقد صنف فيه وفي أتباعه كتب كثيرة وقد جمع بعضهم كلامه في رسالة سماها «رحيق الكوثر» وهي شعبة من القادرية، الصلة بين التصوف *والتشيع* ٤٤٤، بغية المستفيد ٧٥، الأعلام ١/ ١٦٩.

(٤) وتنسب إلى الشاعر المولى جلال الدين الرومي صاب كتاب «المثنوي» منظومة بالفارسية تقع في «٢٥٧٠٠» بيت في ستة أجزاء، والمتوفى «بقونية» سنة ٦٧٢هـ وكانت طريقته مشهورة بالسماع.
الصلة بين التصوف والتشيع ٤٤٤، بغية المستفيد ٧٥، الأعلام ٨/ ٢٥٨، ٢٥٩.

(٥) وتنسب إلى أبي الحسن الشاذلي المغربي والمتوفى سنة ٦٥٦هـ وله الأوراد المسماة «حزب الشاذلي» وهي منتشرة في *المغرب* والجزائر وفي أنحاء أخرى من العالم وقد تشعب منها طرق كثيرة منها: الوفائية. الزروقية البكرية. الجزولية. «بغية المستفيد ٧٥، الصلة بين التصوف والتشيع ٤٤٥، الأعلام ٥: ١٢٠».

(٦) وتنسب إلى الخواجة بهاء الدين محمد النقشبندي البخاري، بغية المستفيد ٧٥، الصلة بين التصوف والتشيع ٤٤١.

(٧) وهي طريقة الشيخ أبي بكر بن هواري، ويزعمون أنها نسبة إلى أبي بكر الصديق، بغية المستفيد ٧٤.

(٨) وتنسب إلى الشيخ نجم الدين الكيري، وتعتبر الهمدانية شعبة منها وهي منسوبة إلى الشيخ علي الهمداني، بغية المستفيد ٧٤.

* الطريقة الجهرية[1].
* الطريقة البرهانية[2].
* الطريقة العيدروسية[3].
* الطريقة المشارعية[4].
* الطريقة الحاتمية[5].
* الطريقة القشيرية[6].
* الطريقة الخشنية[7].
* الطريقة المدارية[8].
* الطريقة الشطارية[9].
* الطريقة العشقية[10].
* الطريقة الغوثية[11].

---

(١) وسميت بذلك لأنها تقوم على الجهر بالذكر وتنتهي إلى الخواجة أحمد السيوري، ويدعون أنه أخذها من الخضر عليه السلام، بغية المستفيد ٧٥.
(٢) وتنسب للشيخ برهان وتقوم على الجهر بالذكر ولبس الزي الأخضر، بغية المستفيد ٧٥.
(٣) وتنسب إلى الشيخ عبدالله بن عيدروس، بغية المستفيد ٧٥.
(٤) وتنسب للشيخ أحمد بن موسى المشرع اليمني، ومبناها على الجهر بالذكر والسماع ولبس الزي للدروزة وهي الوقوف في الناس للسؤال، بغية المستفيد ٧٥.
(٥) وتنسب إلى ابن العربي الحاتمي صاحب الفتوحات المكية، بغية المستفيد ٧٥.
(٦) وتنسب إلى القشيري صاحب الرسالة وقد سبقت ترجمته ص ٢٩.
(٧) وتنسب إلى قطب الدين الخشني، بغية المستفيد ٧٥.
(٨) وتنسب إلى الشيخ بديع الزمان الشاه مداري، بغية المستفيد ٧٥.
(٩) وتنسب إلى الشيخ عبدالله الشطاري، بغية المستفيد ٧٥.
(١٠) وتنسب إلى الشيخ أبي يزيد العشقي، بغية المستفيد ٧٥.
(١١) وتنسب إلى الشيخ غوث الله صاحب الجواهر الخمس، بغية المستفيد ٧٥.

* الحزب الجمهوري الإسلامي[1][2].

* الطريقة التجانية:

وهي موضوع البحث في هذه الرسالة وسأتناولها بشيء من التفصيل.

□ □ □

(١) وهو حزب صوفي سياسي ويقول مؤسسه محمود محمد طه بالاختلاط بين الجنسين وتحريم الحجاب، فهو متأثر بمذهب الإباحية من الصوفية، كما يقول بأن الإسلام ظلم المرأة كما ظلم أهل الكتاب بفرض الجزية عليهم، وله علاقات مريبة مع بعض السفراء والقسس والراهبات وهذا الحزب منتشر في السودان. انظر الاختلاط في مذهب مسيلمة الثاني الكذاب (٨) بقلم الدكتور الأمين داود ١٩٧٦م، اتصالات مريبة بقلم الأمين داود من ٥ ـ ١٢.

(٢) وهناك طرق أخرى حديثة وذلك مثل السنوسية في ليبيا، والإسماعيلية والسمانية والميرغنية في السودان، الصلة بين التصوف والتشيع ٤٤٥.

القسم: الأول
في التجاني والتجانية

تمهيـــد :

قبل الحديث عن أوجه الانحراف في عقائد التجانية لابد من الحديث عن حياة التجاني مؤسس هذه الطريقة ومعرفة مراحل ثقافته وتعليمه والعصر الذي عاش فيه؛ وذلك لأن معرفة مذهب الرجل وعقيدته تنبني على معرفة نوع تربيته وتعليمه وعلى معرفة الظروف التي لابست نشأته.

كما أنه لابد من الحديث عن شيء من تاريخ التجانية وذلك لأن السلوك العملي فرع عن التصور الاعتقادي ﴿إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم﴾[1] وليدرك القارئ الكريم مدى ما يحدثه الانحراف في العقيدة من خطر على البلاد والعباد.

وهذا ما سأتناوله بالبحث في البابين التاليين من هذا القسم.

□ □ □

---

(١) الرعد ١١.

الباب الأول
في ترجمة أحمد التجاني مؤسس الطريقة التجانية
الفصل الأول
في اسمه ونسبه ومولده وأسرته

○ **اسمه ونسبه :**

هو: أبو العباس أحمد بن محمد بن المختاربن أحمد بن محمد بن سالم التجاني[1] المضاوي.

والتجاني نسبة إلى «بني توجين» أصحاب «تاهرت»[2] و«تاكدمت» من البربر، إخوان بني زيان ملوك تلمسان وبني مرين ملوك المغرب الأقصى، وبنو توجين هم أخوال أحمد التجاني ولما طال مقامه بينهم نسب إليهم[3].

والمضاوي نسبة إلى حصن «عين ماضي»[4].

وتذكر كتب التجانية أن نسبه ينتهي إلى محمد الملقب بالنفس الزكية[5][6]، وأن ذلك ثابت لدى الآباء والأجداد، إلا أنه لم يكتف بذلك فزعم أنه سأل النبي ﷺ يقظة عن نسبه، فأجابه : إن نسبك إلى الحسن بن علي صحيح[7].

فلم يثبت نسبه بطرق علمية صحيحة وإنما يُدَّعى، ومثل هذا الادِّعاء لاتقوم به حجة، ولم أرخلال قراءتي للكتب التي تحدثت عن التجاني ما يثبت ذلك أو ينفيه إلا ما ذكره الأمير

---

(١) ولفظ: «التجاني» بكسر المثناة مشددة وبالجيم المشددة أيضاً وقد تخفف، كذا ضبطه بعضهم، حلية البشر ١/ ٣٠٣، ط دمشق، بغية المستفيد ١٢١.

(٢) تاهرت: اسم لمدينتين متقابلتين بأقصى المغرب إحداهما تاهرت القديمة والأخرى تاهرت المحدثة، وهي كثيرة الضباب والأمطار، معجم البلدان ٢/ ٧، دار صادر بيروت، و تاكدمت مدينة في المغرب.

(٣) تحفة الزائر في تاريخ الجزائر ١/ ٣٠٣، الطبعة الثانية، بغية المستفيد١٣٧.

(٤) وهي قرية معروفة من قرى الصحراء الشرقية من بلاد المغرب وهي الآن تقع في الجزائر، بغية المستفيد ١٣٧.

(٥) هو محمد بن عبدالله بن الحسن بن الحسين بن علي بن أبي طالب، ولد بالمدينة سنة ٩٣هـ وقتل بالمدينة سنة ١٤٥هـ الأعلام ٧/ ٩٠.

(٦) فهم يزعمون أنه من أولاد الحسن وأن نسبه ينتهي إلى محمد الملقب بالنفس الزكية، ومحمد هذا من أولاد الحسين لا من أولاد الحسن كما ترى في ترجمته السابقة المنقولة عن الأعلام.

(٧) جواهر المعاني ١/ ٣٠، ٣١.

محمد بن عبدالقادر الجزائري من أنه من أشـراف المغرب، فقال: «وأصل التجاني من أشراف المغرب»[1].

○ مولـــده :

ولد أحمد التجاني في سنة (١١٥٠ هـ ـ ١٧٣٧م) بقرية «عين ماضى»[2].

○ أســـرته :

أبوه هـو أبو عبـدالله محمدَ (بـالفتح)[3] بن المختـار، توفي سنـة (١١٦٦هـ)، وجـده هو المختار بن أحمد بن مَحَمد (بالفتح)، وجده الرابع هـو محمد بن سالم وهذا هو الذي وفد إلى ماضي وتوطن بها وتزوج منهم فكانوا أخوالاً للتجاني.

وأمه هي عائشة بنت محمدو (بالرفع) بـن السنوسي التجاني المضاوي، توفيت مع زوجها بالطاعون في يوم واحد[4].

وله أخ واسمه محمد ويكنى بابن عمر، وأخت واسمها رقيـة وكانت أكبر منه سناً وقد ماتت وتركت ابناً اسمه عبدالله[5].

وقد زوجـه والده لما بلغ الحلم وخلف ولـدين أحدهما محمـد الملقب بالكبير وقـد توفي سنة (١٢٣٨هـ)، والآخـر محمد الملقب بالحبيب وقـد توفي سنة (١٢٦٩هــ) وخلف ولدين هما أحمد ومحمد البشير[6].

---

(١) تحفة الزائر ١/ ٣٠٣.

(٢) جواهر المعاني ١/ ٢٦، ٢٧، الاستقصاء في تـاريخ المغرب الأقصى ٨/ ٨٣، ٨٤، حلية البشر ١/ ٣٠٣، ٣٠٤، الأعلام ١/ ٢٣٢ ط الثالثة، السيف المسلول ٢٠٥.

(٣) فهي تنطق دائمـاً بالفتح بلهجة أهل المغـرب فيقال: محمدا، ولا تخضـع لعلامات الإعراب عنـدهم بل تلزم حالة واحدة ومثله (محمدو) بالرفع.

(٤) جواهر المعاني ١/ ٢٨، ٣١.

(٥) جواهر المعاني ١/ ٣١.

(٦) كشف الحجاب ١٤، ١٥، ١٨، ٦٥، بغية المستفيد ٢٠١.

الفصل الثاني
الحالة السياسية والعلمية في عصره

تميَّز العصر الذي وجد فيه التجاني بكثرة الاضطرابات السياسية والثورات الداخلية، فقد عاش نهاية الدولة العثمانية[1] حينما تكالبت عليها دول أوربا المستعمرة، وانتشرت في البلاد الإسلامية كثير من الثورات ضد دولة الخلافة نتيجة لما تعانيه الشعوب في نهاية حكم الأتراك من سوء في الإدارة السياسية والأحوال المعيشية، فكانت الجزائر في ذلك الوقت مسرحاً لكثير من الأحداث السياسية في الداخل ومن الخارج.

هذا بالنسبة للحالة السياسية. أما الحركة العلمية فقد كانت تعيش عصر الاحتضار، إذ كانت مراكز التعليم في ذلك الوقت ضئيلة محدودة لدى أفراد وفي أماكن تعد على الأصابع، وكان التعليم مقتصراً على بعض الدروس لتعليم القرآن الكريم وبعض شروح الكتب الفقهية، كما أصبح التصوف دروشةً وتمسحاً بالقبور والمزارات ونشراً للبدع والخرافات، فشاع الجهل وعمت الخرافة.

أما حركة التأليف فقد اقتصرت على بعض الشروح والحواشي الفقهية والعقدية، وكان يغلب على التأليف التقليد الأعمى مع ضعف الأسلوب وركاكة الألفاظ فقد دخلت المؤلفات بعض الألفاظ العامية والملحونة. وكان الأدب مقصوراً على بعض المدائح النبوية والمقطوعات الصوفية، ومرثيات بعض العلماء.

وكان ذلك كله يرجع إلى عدة أسباب:

منها: كثرة الاضطرابات السياسية والثورات الداخلية وقلة الأمن.

ومنها: قلة الموارد الاقتصادية وسوء توزيعها جعل الإنسان يبحث جاهداً عن قوت يومه، ولم يكن لديه متسع من الوقت للعلم والدراسة.

---

(١) استمر حكم الدولة التركية للجزائر حتى سنة ١٢٤٦هـ وقد توفي التجاني سنة ١٢٣٠هـ التحفة المرضية في الدولة البكداشية ص١٤ ط الأولى.

ومنها: أن الدولة التركية في أواخر أيامها لم تكن تولي الثقافة والتعليم شيئاً من الاهتمام، فقد كان معظم حكام الأقاليم أعاجم لا يحسنون اللغة العربية وفاقد الشيء لا يعطيه، كما كان جلّ همهم إعداد الرجال للجهاد والحرب لقمع الفتن في الداخل ومكافحة الأعداء في الخارج[1].

في مثل هذا العصر ولد ونشأ أحمد التجاني، فلم يكن غريباً أن تنتشر طريقته ذلك الانتشار الواسع ؛ ففي مثل هذه الأجواء تتنفس البدع وتعيش الخرافة.

□ □ □

---

(١) التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية ٤٥، ٦٢ ط الأولى، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع.

الفصل الثالث
في نشأته ورحلاته ووفاته وآثاره

O نشأته وتصوفه :

ولد التجاني ــ كما سبق ـ بقرية «عين مـاضي» وفيها نشأ وترعرع، ويقـال: إنه حفظ القرآن في صغره في سبعـة أعوام[1] على يد الشيخ محمـد التجاني[2]، ثم اشتغل بعـد ذلك بطلب العلوم الشرعيـة والأدبية فقرأ مختصر خليل والرسـالة ومقدمة ابن رشـد والأخضري على الشيخ المبروك بن بعافية المضاوي التجاني[3]، ثم مال إلى طريق التصوف وكان لرحلاته الكثيرة أثر في سلوكه هذا الطريق، حيث التقى في رحلتـه إلى فاس وفي رحلته إلى الحج بكثير من أرباب هذا الشأن وأخـذ عنهم طرقهم فـي السلوك والتصوف، إلى أن استقل أخيـراً بطريقته الخـاصة التي عرفت فيما بعد بالتجانية نسبة إليه.

O رحـــلاتـــه :

رحلته الأولى إلى فاس :

لما تـوفي والده سنة (١١٦٦هـ) بقي مدة على حـاله من قـراءة العلم وتدريسه فـي بلدة «عين ماضي».

وفي سنة (١١٧١هـ) ارتحل إلى ناحية فـاس وسمع فيها شيئاً من الحديث، وأول من لقيه فيها الطيب بن محمد اليملحي[4] وقد أخذ منه التجاني طـريقته وأذن له في تلقين ورده ، كما لقي أيضـاً محمد بـن الحسن الـوانجلي[5] ولم يأخـذ عنه شيئـاً، كما لقـي أيضاً عبـدالله ابن العربي المدعوابن عبدالله[6].

---

(١) جواهر المعاني ١/ ٢٦، ٢٧.

(٢) هومحمد بن حموالتجاني المتوفى سنة ١١٦٢هـ، جواهر المعاني ١/ ٢٧.

(٣) ميزاب الرحمة الربانية ٨.

(٤) هوالطيب بن محمد بن عبـدالله بن إبراهيم اليملحي العلمي، توفي سنة ١١٨٠هـ في أواخرربيع الثاني ودفن في «وزان» من بلاد الهبط من مصمودة ، جواهر المعاني ١/ ٤٣.

(٥) من بني وانجل من جبال الزبيب وقد توفي سنة ١١٨٥هـ ،جواهر المعاني ١/ ٤٤.

(٦) هـوعبدالله بن العـربي بـن أحمد بن محمـد المـدعوابـن عبدالله من أولاد معـن الأندلسـي، توفي سنـة =

ثم أخذ طريق عبدالقادر الجيلاني[1] على يد من كان يلقن طريقه في ذلك الوقت. ثم أخذ الطريقة الناصرية على يد أبي عبدالله محمد بن عبدالله التزاتي ثم تركها بعد حين،ثم أخذ طريق أبي العباس أحمد الحبيب بن محمد[2] على يد من له الإذن فيه في ذلك الوقت ثم تركه بعد مدة.

ثم أخذ طريق أحمد الطواش[3] مدة ثم تركه.

ثم انتقل من المغرب إلى جهة الصحراء قاصداً زاوية عبدالقادر بن محمد الأبيض فأقام بها مدة ثم انتقل منها إلى تلمسان[4].

○ رحلته إلى الحج :

ثم انتقل من تلمسان قاصداً بيت الله الحرام، فلما وصل إلى بلد «أزواوي» سمع بالشيخ أبي عبدالله محمد (بالفتح) بن عبدالرحمن الأزهري، فذهب إليه وأخذ عنه الطريقة الخلوتية[5].

ثم انتقل إلى تونس ودخلها عام (١١٨٦م) ولقي بها عبدالرحمن الرحوي، فأقام سنة كاملة بعضها بمدينة «سوسة» وبعضها بمدينة «تونس» وقد درس بتونس كتاب «الحكم العطائية»[6] وغيره.

= ١١٨٨هـ، جواهر المعاني ١/ ٤٤.

(١) هو عبدالقادر بن موسى بن عبدالله بن جنكي دوست الحسني أبو محمد محيي الدين الجيلاني أو الكيلاني أو الجميلي، مؤسس الطريقة القادرية، ولد في جيلان وراء طبرستان سنة ٤٧١هـ ثم انتقل إلى بغداد سنة ٤٨٨هـ، من أهم مصنفاته: «الغنية لطالب طريق الحق»، و«الفتح الرباني»، و«فتوح الغيب» و«الفيوضات الربانية»، توفي ببغداد سنة ٥٦١هـ، الأعلام٤/ ١٧١، ١٧٢.

(٢) هو أبو العباس أحمد الحبيب بن محمد الملقب بالغماري السلجماسي الصديقي، المتوفى سنة ١١٦٥هـ في الرابع من محرم، جواهر المعاني ١/ ٤٤، ٤٥.

(٣) هو أبو العباس أحمد الطواش نزيل تازي وتوفي بها سنة ١٢٠٤هـ جواهر المعاني ١/ ٤٥.

(٤) جواهر المعاني ١/ ٤٣، ٤٥.

(٥) سبق التعريف بها.

(٦) وهو كتاب تكلم فيه صاحبه: «أحمد بن محمد بن عطاء الله السكندري» عن أنواع من السلوك كالإخلاص والعزلة والزهد والمحبة والرضا، وتسلط الشيطان على الإنسان، وقد شرحه محمد بن إبراهيم المعروف بابن عباد في كتاب سماه: «شرح الحكم».

ثم سافر إلى القاهرة فلما وصل إليها لقي الشيخ محمود الكردي[1] ثم سافر من مصر.

وفي شوال سنة (١١٨٧هـ) وصل إلى مكة فالتقى بالشيخ أحمد ابن عبدالهادي الهندي[2].

ولما أكمل حجه توجه إلى المدينة فالتقى بالشيخ أبي عبدالله محمد ابن عبدالكريم الشهير بالسمان، ثم رجع إلى بلده، وفي طريقه مر بالقاهرة وقام بزيارة شيخه محمود الكردي وأخذ عنه الطريقة الخلوتية وأذن له في التربية بها. ثم انتقل من مصر إلى تونس ومنها إلى تلمسان فوصلها سنة (١١٨٨هـ) وأقام بها مدة.

رحلته الثانية إلى فاس :

وفي سنة (١١٩١هـ) انتقل من تلمسان إلى فاس وذلك بقصد زيارة ضريح إدريس، وفي الطريق التقى بخليفته علي حرازم جامع كتاب الجواهر وذلك في مدينة (وجدة[3]).

ولما وصل إلى فاس أقام بها مدة من الزمن، ثم رجع إلى تلمسان فأقام بها مدة، ثم طرد من تلمسان فارتحل ونزل بقرية «أبي سمغون»[4]، ثم سافر منها إلى بلاد «أتوات»[5]، ثم رجع إلى قرية «أبي سمغون»، وفي سنة (١٢١٣هـ) طرد منها إلى فاس[6].

وفي سبب طرده من تلمسان إلى أبي سمغون ومنها إلى فاس قال «الزياني»[7] في كتابه «الترجمانة الكبرى»: إن «الباي محمد بن عثمان» طرده من تلمسان إلى أبي سمغون بسبب تدبيره الفضة وتدليسه على الناس، فأقام بها مدة فعظم صيته وكثر فساده وعبثه فبلغ خبره لباي

---

(١) سبق ذكر ترجمته انظر ص ٤٣.

(٢) هو أبو العباس أحمد بن عبدالله الهندي المتوفى سنة ١١٨٧هـ، جواهر المعاني ١/ ٤٧، ٤٨.

(٣) «وجدة» مدينة معروفة في شرق المملكة المغربية بالقرب من حدودها مع الجزائر.

(٤) «أبي سمغون» قصر معروف بالصحراء الشرقية به قبر الشيخ أبي سمغون وبه سمي القصر، بغية المستفيد ١٧٢.

(٥) «أتوات» صقع صحراوي في المغرب، بغية المستفيد ١٧٢.

(٦) جواهر المعاني ١/ ٥٣.

(٧) هو أبو القاسم بن أحمد بن علي بن إبراهيم، مؤرخ ولد بفاس سنة ١١٤٧هـ كان سفيراً لبلاده في الآستانة سنة ١٢٠٠هـ، من كتبه: الرحلة الكبرى، والترجمان المعرب عن دول المشرق والمغرب، توفي في مدينة فاس سنة ١٢٤٩هـ الأعلام ٦/ ٦.

وهران عثمان بن محمد بن الباي محمد بن عثمان السابق الذكر، فكتب لأهل قرية أبي سمغون بالوعيد إن لم يطردوه، فلما بلغه ذلك فر إلى المغرب في طائفة من أتباعه وتلامذته..»[1].

وذهب الناصري[2] في الاستقصاء إلى قريب من هذا الرأي، فقال بأن الباي محمد بن عثمان قد أزعجه من تلمسان إلى قرية أبي سمغون ولم يذكر سبب ذلك، وإنما ذكر سبب طرده من أبي سمغون إلى فاس وأن ذلك بسبب وشاية وصلت إلى الباي عثمان بن محمد ضد التجاني فكتب بالوعيد إلى أهل قرية أبي سمغون إن لم يخرجوه، فلما سمع بذلك فر مع بعض تلامذته..»[3].

○ **وفاتـــه :**

توفي يوم الخميس السابع عشر من شوال سنة (١٢٣٠هـ) ـ (١٨١٥م) وكان عمره ثمانين سنة[4].

قال صاحب كتاب السيف المسلول: «وأما موته فمختلف فيه، وفي جواهر المعاني أن موته عام (١١٦٠هـ) وفي بعض الكتب عام (١١٩٦هـ) وقيل عام (١٢٣٠هـ) والله أعلم بالصواب، ولعل أحمد التجاني لم يكن كلياً بل هذا كله كذب»[5].

قلت: وهذا النص غير مسلم من وجوه:

١ ـ أن وفاته لم تذكر في جواهر المعاني البتة، وذلك لأن كتاب الجواهر كتب في حياة التجاني[6] فكيف تكتب سنة وفاته وهو لا زال في عالم الأحياء؟ ومن رجع إلى الجواهر فلن يجد شيئاً من ذلك حتى في طبعاته المتأخرة.

---

(١) الترجمانة الكبرى في أخبار المعمور براً وبحراً ٤٦٠، ٤٦١ بتصرف، مطبعة فضالة المحمدية.

(٢) هو أحمد بن خالد بن حماد بن محمد الناصري الدرعي شهاب الدين السلاوي، مؤرخ ولد في مدينة «سلا» سنة ١٢٥٠هـ بالمغرب الأقصى، له سوى كتاب الاستقصاء: زهر الأفنان في شرح قصيدة ابن الونان، توفي في مدينة سلا سنة ١٣١٥هـ الأعلام ١/ ١١٨، الاستقصاء ١/ ترجمة المؤلف.

(٣) الاستقصاء ٨/ ١٠٤، ١٠٥ بتصرف.

(٤) بغية المستفيد ١٩٩، كشف الحجاب ١٩، اليواقيت الثمينة في أعيان مذهب عالم المدينة ١/ ٥٩، ٦١ شجرة النور الزكية ١/ ٣٧٨، ٣٧٩، الأعلام ١/ ٢٣٢ ط الثالثة، الاستقصاء ٨/ ١٢٩، ١٣٠.

(٥) السيف المسلول ٢٠٥.

(٦) بغية المستفيد ١٨٣.

٢ ـ أن احتمال أنه توفي سنة (١١٦٠هـ) بعيد جداً، فإنا إذا علمنا أنه ولد سنة (١١٥٠هـ) فمن المستبعد أن يكون عاش عشر سنوات فقط ومع ذلك اشتهر هذه الشهرة العظيمة.

وأما احتمال أنه توفي سنة (١١٩٦هـ) فهذا وارد إلا أنه مستبعد، لأن جميع كتب التاريخ والتراجم التي اطلعت عليها تنص على أنه مات سنة (١٢٣٠هـ) ولم يذكر أحد أنه مات سنة (١١٩٦هـ) إلا صاحب هذا الكتاب فيما أعلم. والله أعلم.

٣ ـ قوله: «ولعل أحمد التجاني لم يكن كلياً» فهذا الاحتمال بعيد جداً بل هو مجانب للحقيقة، فكتب التاريخ التي ذكرته والحوادث التي اقترنت به تؤكد أنه كان موجوداً قطعاً، وكان ممن كتب عنه المؤرخ الزياني[1] وهو من المعاصرين له. فكيف يقال مع ذلك إنه لم يكن كلياً؟ والله أعلم.

○ آثـــاره :

من أهم الآثار التي خلّفها التجاني زاويته المشهورة بفاس والتي ظلت مركزاً للتجانية يتوافدون عليها من شتى أنحاء العالم، ومكاناً لتجديد هذه الفكرة وبثها في قلوب الناس.

كما أن من أهم آثاره كتاب ـ جواهر المعاني ـ الذي جمعه تلميذه وخليفته علي حرازم، والذي يعتبر المرجع الأول للتجانية.

الزاويـــة التجانيـة :

كان التجانيون قبل إنشاء الزاوية يجتمعون عند باب الشيخ للذكر وقراءة الأوراد ثم في بعض المساجد، إلى أن أمرهم ببناء الزاوية فبنيت في حومة «الدرداس» المعروفة اليوم «بالبليدة» في فاس القديمة. قال أحمد سكيرج[2] في كشف الحجاب: «.. وكان خربة مهدمة من ملك أولاد أقومي وكانت فيها كرمة كبيرة... وتلك الخربة كانت مهيبة لا يقدر أحد أن يدخلها وحده، وقد بلغني على لسان الثقة أنه كان يسمع فيها بعض الأحيان كأن جماعة يذكرون فيها، وكان يقصدها غالب مجاذيب فاس»[3]، وقد بُدئ في بنائها سنة (١٢١٥هـ)،

---

(١) سبق ترجمته ص٥٤.

(٢) انظر ترجمته ص ٧٦-٧٧.

(٣) كشف الحجاب ٣١.

ثم زيد فيها من جهة المحراب سنة (١٣٠٢هـ)[١]، وفي سنة (١٣١٦هـ) زيد فيها من جهة السقاية والباب[٢].

وفي رحلتي إلى المغرب قمت بزيارة الزاوية وهي عبارة عن مكان يشبه المسجد تبلغ مساحته ٢١٦ متراً مربعاً تقريباً غالبها مسقوف ومفروشة بالحصير، وعندما تدخل من الباب الخارجي يكون عن يمينك السقاية وعن يسارك خزانة صغيرة ذات طبقات ثلاث مملوءة بكراريس، وهي إلى الآن ما زالت مقفلة، ويزعمون أنها لاتفتح إلا على يد المهدي المنتظر[٣]، وفي وسيط الزاوية قبر التجاني وبينه وبين السقاية حاجز، ويزعمون أن من مزاياها أن الصلاة مقبولة بها قطعاً[٤]، وأن من يدفن فيها تأكله النار لا محالة[٥].

جواهر المعاني:

يعتبر كتاب جواهر المعاني أهم كتب الطريقة التجانية حتى إنهم يزعمون أن النبي ﷺ قال فيه: «كتابي هذا وأنا ألفته»[٦].

وقد شرع علي حرازم في جمعه في أوائل شعبان سنة (١٢١٣هـ)[٧] وانتهى منه في أواسط ذي القعدة سنة (١٢١٤هـ)[٨].

وقد قرأه علي حرازم بعد جمعه وتأليفه على شيخه أحمد التجاني فأجازه في سائر ما فيه، كما ذكر ذلك صاحب بغية المستفيد حيث قال: «.. وبعد أن فرغ منه أحضره بين يديه وأجازه في سائر ما فيه وكتب له بخط يده المباركة أوله وآخره بذلك في مسجد الديوان، فجاء بحمدالله محفوفاً باليمن والإسعاد..»[٩].

وقد سماه مؤلفه : (جواهر المعاني وبلوغ الأماني في فيض سيدي أبي العباس التجاني).

---

(١) كشف الحجاب ٣١.

(٢) كشف الحجاب ٣٤.

(٣) جناية المنتسب العاني ٢/ ٥٦، تأليف: أحمد سكيرج.

(٤) كشف الحجاب ٢١.

(٥) كشف الحجاب ٢٤.

(٦) بغية المستفيد ١٨٣.

(٧) جواهر المعاني ١/ ٨.

(٨) جواهر المعاني ٢/ ٢٨٥، بغية المستفيد ١٨٣.

(٩) بغية المستفيد ١٨٣.

وقد قسمه إلى ستة أبواب ومقدمة وخاتمة.

فذكر في الباب الأول: التعريف بشيخه. وقسمه إلى ثلاثة فصول:

الفصل الأول: في التعريف به وبمولده وأبويه ونسبه وعشيرته الأقربين إليه.

الفصل الثاني: في نشأته وبدايته ومجاهدته.

الفصل الثالث: في أخذ طريق رشده وهدايته.

وقسم الباب الثاني إلى فصلين:

الفصل الأول: في مواجيده وأحواله ومقامه المتصف به وكماله.

الفصل الثاني: في سيرته السنية وجمل من أخلاقه السنية وحسن معاملاته مع إخوانه وأهل مودته.

وقسم الباب الثالث إلى ثلاثة فصول:

الفصل الأول: في علمه وكرمه وسخائه وعظيم فتوته ووفائه.

الفصل الثاني: في خوفه وصبره وعلو همته وورعه وزهده وموعظته وحريته.

الفصل الثالث: في دلالته على الله وجمعه عليه وسوقه الأقوام بحاله ومقاله إليه.

كما قسم الباب الرابع إلى ثلاثة فصول أيضاً:

الفصل الأول: في ترتيب أوراده وأذكاره وذكر طريقته وأتباعه.

الفصل الثاني: في فضل ورده وما أعده الله لتاليه وصفة المريد وحاله وما يقطعه عن أستاذه.

الفصل الثالث: في معرفة حقيقة الشيخ الذي يتبع في سائر أقواله وأفعاله... إلخ.

وقسم الباب الخامس إلى أربعة فصول:

الفصل الأول: في ذكر أجوبته عن الآيات القرآنية عن طريق أهل الإشارة الربانية.

الفصل الثاني: في الأحاديث النبوية وعلومه الاختصاصية المصطفوية.

الفصل الثالث: في إشاراته العلوية وحل مشكلاتها بعبارات وهبية.

الفصل الرابع: في رسائله.

الباب السادس: في جملة من كراماته وبعض ما جرى من تصريفاته[١].

وأشار في المقدمة إلى أهمية التصوف وأنه لا يخرج عن الكتاب والسنة، كما حذر من

---

(١) جواهر المعاني ١/ ١٠، ١١.

الذين ينكرون على المتصوفة ونصح بالابتعاد عنهم كشيخ الإسلام ابن تيمية وغيره، كما أشار فيها إلى بعض قواعد أهل التصوف[1].

وفي الخاتمة حدَّث عن مسألة إهداء الثواب إلى النبي ﷺ[2].

○ حقيقة جواهر المعاني؟

ذكر الشيخ عبدالحي الكتاني شيخ الطريقة الكتانية أن الجزء الأول من كتاب جواهر المعاني منقول عن كتاب المقصد الأحمد[3]، وأن التجاني نقله عن هذا الكتاب ونسبه لنفسه. ولقد كان اكتشاف هذا الكتاب قاصمة الظهر للتجانيين حتى لقد تحيروا في الإجابة عن ذلك، وقد أجاب عن ذلك أحمد سكيرج بأسلوب خادع وعبارة لا ينقصها الذكاء فقد أثبت الحقيقة كما استطاع أن يخفف من وقعها على الأتباع وخصوصاً من لم يبلغوا شأواً في العلم والمعرفة، فقال: «.. ولقد عثرت على ثلاث نسخ من هذا المقصد وقابلته مع جواهر المعاني فوجدت خطبته كخطبته وجل ترتيب أبوابه على ترتيبه، وأما ما يتعلق بالطريق أو المسائل العلمية الحديثية والفقهية ومقالات الشيخ رضي الله عنه ومقاماته وكراماته فليس شيء منه فيه إلا ما كان مماثلاً من الموافقات في المشربين في قضية من القضايا اتفقت للشيخين حتى كأن هذه عين هذه، مما يقع مثله لكثير من الناس فيذكره فيه باللفظ، وليس هذا بمستنكر في حق كل مؤلف رأى ما يناسبه في موضوع تأليفه، إلا أن عدم نسبته للمنقول منه هو الذي ظهر لي أنه هو الداعي للشيخ رضي الله عنه لحرقه أولاً[4]، ثم رأى أنه لا بأس بذلك فأمره بالعود إلى جمعه كما نبه على ذلك في خطبته..

وإذا كان العلماء الكبار ينقلون الكتب من أصلها فتنسب لهم مع معرفة مؤلفها الأول، فلا بأس بحمد الله في محاذاة جواهر المعاني بالمقصد الأحمد. ولقد ذكرت في شرحنا لجواهر المعاني المسمى «بتيجان الغواني» بعض الكتب التي نسبت لغير مؤلفها مثل المدونة التي

---

(١) جواهر المعاني ١/ ١١، ٢٥.

(٢) جواهر المعاني ٢/ ٢٨٣.

(٣) هذا الكتاب مكتوب بخط مغربي، وهو مطبوع بالمطبعة الحجرية بفاس سنة ١٣٥١هـ.

(٤) وذهب علي حرازم إلى أنه أمر بحرقه أولاً لسبب اقتضاه الوقت والحال ولم يفصح عن السبب، جواهر المعاني ١/ ٥٣، وتبعه في ذلك صاحب بغية المستفيد، بغية المستفيد ١٨٢، وكذلك صاحب كتاب الدرة الخريدة، الدر الخريدة شرح الياقوتة الفريدة ١/ ١١١.

هي أم كتب المذهب، وأبى الله إلا أن يكون مثل ذلك في الجملة في كتاب جواهر المعاني الذي هو أم كتب الطريق..»[1].

قلت: وهذا الرد من أحمد سكيرج مردود من وجوه:

الأول: تأمل قوله: «إلا ما كان مماثلاً من الموافقات في المشربين» فإنه من المستبعد جداً أن يتفقا حتى في الكرامات وفي الأسلوب والعبارات.

ثم إن كثرة المنقول تأبى هذا إذ التوافق يكون في حادثة أو حادثتين وفي جملة أو جملتين، وأما أن يكون في صفحات كثيرة فهذا أمر غير ممكن.

الثاني: أنه أثبت أولاً أنه من باب توافق الخواطر فقال: «إلا ما كان مماثلاً من الموافقات في المشربين»، ثم اعترف بعد ذلك أنه منقول عن المقصد الأحمد فقال: «إلا أن عدم نسبته للمنقول منه هو الذي ظهر لي أنه الداعي للشيخ رضي الله عنه لحرقه أولاً ثم رأى أنه لا بأس بذلك».

الثالث: قوله: «ولقد ذكرت.. بعض الكتب التي نسبت لغير مؤلفها مثل المدونة التي هي أم كتب المذهب، وأبى الله إلا أن يكون مثل ذلك في الجملة في كتاب جواهر المعاني الذي هو أم كتب الطريق» اهـ.

قوله هذا غير مسلم، فنسبة المدونة أو أي كتاب آخر إلى غير مؤلفه لا تبرر للتجاني نقل بعض ما في كتاب المقصد الأحمد ونسبته لغير مؤلفه.. إذ المعصية لا تبرر المعصية، علماً بأن المدونة لا ينطبق عليها ما ينطبق على جواهر المعاني؛ إذ المدونة كتبها سحنون بن سعيد التنوخي رواية عن الإمام عبدالرحمن بن القاسم عن مالك[2] وليس كذلك الجواهر.

ونحن هنا لا نطيل بالرد على أحمد سكيرج وبيان تناقضه فيما قال، وإنما سنعرض لمقابلة الكتابين معاً ونبين ما هو الحق في ذلك إن شاء الله فأقول:

في أثناء زيارتي للمغرب في عام (١٣٩٩هـ) حرصت على الحصول على كتاب المقصد الأحمد لمقابلته بجواهر المعاني، ولما كانت فاس هي معقل التجانية الأول كما أنها هي المدينة العلمية في المغرب العربي، فقد تجولت في مكتباتها التجارية وعند باعة الكتب

---

(١) جناية المنتسب العاني لأحمد سكيرج ٢/ ٥٣.

(٢) المدونة الكبرى ١/ ١ طبع مطبعة السعادة، مصر، وانظر: الإمام مالك لأبي زهرة ٢٢٨، دار الحمامي للطباعة.

بجوار جـامع القرويين وفي بيوت المهتميـن بجمع الكتب والمخطوطات من أهـل فاس حتى حصلت عليه بفضل الله. وقـد قمت بمقابلة جواهـر المعاني مع كتاب المقصـد الأحمد فتبين لي من خلال ذلك الحقائق التالية:

١ ـ أن مؤلف كتاب المقصد الأحمد لا يمكن أن يكـون قد نقله عن جواهر المعاني ويتبين ذلك بمعرفة تـاريخ تأليف الكتابين، فقد كتب المقصد الأحمـد في سنة (١٠٩٤هـ)[١] وكتب جواهر المعاني في سنة (١٢١٣هـ)[٢] فبينهما أكثر من قرن من الزمن.

٢ ـ أن خطبة جواهر المعاني كخطبة المقصد الأحمـد مما يدل على أنها منقولة عنها وهي تزيد على أربع صفحات[٣].

٣ ـ أن تـرتيب أبواب جـواهر المعاني كتـرتيب أبواب المقصـد الأحمد وعناويـن الأبواب متطابقـة في الكتابين، إلا أن مؤلف الجـواهر أجملها في ستـة أبواب وصاحب المقصد ذكـرها في تسعة أبواب. وذكرنا أبـواب الجواهر فيما سبق[٤] ونذكر هنا أبواب المقصد الأحمد ليتسنى للقارئ المقابلة والحكم.

الباب الأول: في نسبه وأبويه وعشيرته الأقربين إليه.

الباب الثاني: في نشأته وبدايته وأخذ طريق هدايته.

الباب الثالث: في مواجيده وأحواله ومقامه المتصف به وكماله.

الباب الرابع: في سيرته السنية وجمل من أخلاقه السنية.

الباب الخامس: في كرمه وسخائه وعظيم فتوته ووفائه.

الباب السادس: في علو همته وورعه وزهده وحريته.

الباب السابع: في دلالته على الله وجمعه عليه وسوقه الأقوام بحاله ومقاله إليه.

الباب الثامن: في كلامه وإشاراته وبعض ما سمعته من تقريراته.

الباب التاسع: في جملة من كراماته وبعض ما جرى من تصرفاته.

الباب العاشر: في شيخه الهمام ومشايخ شيخه الأعلام.

---

(١) المقصد الأحمد ٢/ ٣٨٠، طبع سنة ١٣٥١هـ.

(٢) انظر ص٥٧.

(٣) انظر بعض الصور الخطية من الكتابين للمقابلة ملحقة في آخر الكتاب.

(٤) انظر ص٥٨.

الباب الحادي عشر: في أسانيد طريقه وتحرير رفعتها وتحقيقه.

الباب الثاني عشر: في بعض ما قيل فيه من القصائد الشعرية المنبئة عن محاسنه السرية[1].

ومن رجع إلى فهرس الجواهر وجد التطابق في عناوين أبواب الكتابين إلا أن الأبواب الثلاثة الأخيرة لم يشر إليها في الجواهر.

٤ ـ أن في الجواهر صفحات نقلت بالنص عن كتاب المقصد، والأمثلة على ذلك كثيرة، منها:

١ ـ كتاب الجواهر من الجزء الأول		٢ ـ كتاب المقصد من الجزء الأول
صفحة ٢، ٣	ويقابلها	صفحة ٢، ٣
صفحة ٥، ٧	»	صفحة ٣، ٥
صفحة ٥٧	»	صفحة ٥٢، ٥٣
صفحة ٦٠	»	صفحة ٥٨
صفحة ٦٧، ٦٨	»	صفحة ٧٩، ٨٠
صفحة ٧٦، ٧٨	»	صفحة ٨١، ٨٢
صفحة ٨٤، ٨٥	»	صفحة ١٠٤
صفحة ٩١، ٩٢	»	صفحة ١١٢، ١١٣
صفحة ٩٨، ٩٩	»	صفحة ١٣٣، ١٣٤
صفحة ١٠٠	»	صفحة ١٣٥
صفحة ١٠٥، ١١٠	»	صفحة ١٥٤، ١٥٨

صفحة (٢١٨) من الجزء الثاني من كتاب الجواهر، ويقابلها صفحة (٢٠٣، ٢٠٤) من كتاب المقصد الجزء الثاني[2].

٥ ـ أن هناك صفحات كثيرة نقلت بتصرف وذلك مثل صفحات ٥٨، ٥٩ في الجزء الأول

---

(١) المقصد الأحمد ١/ ٥، ٦.

(٢) انظر صورة بعض الصفحات المتماثلة في الكتابين في الملحق آخر الكتاب.

من الجواهر لخصت عن صفحة ٥٦، ٥٧ من الجزء الأول من المقصد الأحمد.

وخلاصة القول: «أن الجزء الأول من كتاب الجواهر لم ينقل نصاً من المقصد الأحمد بكامله و إنما نقل منه في بعض المواضع باللفظ وفي بعضها بالمعنى، كما أن فيه صفحات كثيرة لم ينقل منها شيئاً فقد نقل خطبة الكتاب وبعض الصفحات نصاً ولم يعزها إلى قائلها، كما أن عناوين الأبواب وترتيبها متطابقة في الكتابين إلا أن مؤلف الجواهر قد أجمل في ستة أبواب ما ذكره مؤلف المقصد في تسعة، فمؤلف الجواهر قد استفاد كثيراً من كتاب المقصد الأحمد ولم ينقله بكامله... والله الموفق للصواب».

□ □ □

الباب الثاني
فـــي التجانيـــة
الفصل الأول
في نشأة الطريقة التجانية وأسباب انتشارها وتاريخها

(أ) نشأة الطريقة التجانية وأسباب انتشارها :

سبق أن ذكرنا في ترجمة[1] أحمد التجاني أنـه التقى بعدد من مشايخ الصـوفية وأخذ عنهم عدة طرق، ولكنه لم يلبث أن تركها جميعاً وبدا له أن ينشىء طريقة جديدة يستقل بها عمن سبقه فكان ذلك ما حصل عام ١١٩٦هـ في قرية أبي سمغون.

قال في جواهر المعـاني: «.. ثم رجع إلى قرية أبي سمغون وأقام بها واستـوطن، وفيها وقع له الفتح وأذن لـه ﷺ في تلقين الخلق وعيـن له الورد الـذي يلقنه في سنـة ١١٩٦هـ وعيـن له ﷺ الاستغفـار والصلاة عليـه ﷺ، وهـذا هو الـورد في تلك المـدة إلى رأس المـائة، كمل الـورد ﷺ بكلمة الإخلاص...[2]».

وهكذا يزعـم بأن النبي ﷺ هو الذي أنشأ هـذه الطريقة بناء علـى مذهبه الباطل فـي أنه يرى النبي ﷺ يقظة وأنه يخاطبه ويكلمه، وسيأتي بيان بطلان ذلك[3] إن شاء الله.

والحق أنها من وحي الشيطـان لا من وحي الرحمن ﴿شياطين الإنـس والجن يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غروراً ولو شاء ربك ما فعلوه فذرهم وما يفترون﴾[4].

فهذه أول نشأتهـا، ثم انتشرت بعد ذلك على يـد الأتباع حتى شملت الجزء الأكبـر من غرب إفريقيا وشمـالها، وهي الآن تتركز فـي غرب إفريقيا في السنغـال ونيجيريا وموريتـانيا والمغرب، كما توجد في نواحي أخرى من العالم كمصر والسودان وبعض الدول العربية.

---

(١) انظر ص٥٢.

(٢) جواهر المعاني ١/ ٥١.

(٣) انظر ص ١٢١ وما بعدها.

(٤) الأنعام: ١١٢.

وسميت بهذا الاسم نسبة إلى مؤسسها أحمد التجاني.

أسباب نشأة التجانية وانتشارها :

ومنها: أن التجاني عاش في عصر قلّ فيه العلم وعم الجهل وكثرت فيه الاضطرابات، فكان لجهل الناس في عصره وبعدهم عن شريعة الله أثر كبير في نشأتها وانتشارها.

ومنها: قلة العلماء المخلصين في وقته وفي بيئته، إذ لو وجدوا لما وجدت هذه البدعة وأمثالها متنفساً.

ومنها: حب التجاني للشهرة والجاه واتباعه لهواه وللمتشابه من الآيات والأحاديث، مما دعاه إلى انتحال هذه النحلة الباطلة.

ومنها: مساندة الأمير سليمان أمير المغرب في وقته وحمايته له[1] أعطته قدراً من الحرية للتوسع في نشر مذهبه.

ومنها: ومن أسباب انتشارها وإقبال الناس عليها كثرة ما فيها من الثواب المزعوم[2] وضمان الجنة بأيسر الأسباب، وخصوصاً عند أناس لايفقهون شيئاً في دين الله[3].

تاريـــخ التجانيـــة :

يحرص الاستعمار دائماً على تحقيق مصالحه في بلدان العالم الإسلامي وذلك بمحاربة الإسلام؛ لأنه السد المنيع الذي يقف في وجهه.

وتتنوع أساليب المستعمرين في محاربته، فتارة يقومون بمحاربة الدعاة المخلصين بالسجن والتعذيب أو القتل أو النفي، وتارة يقومون بمحاربة المؤسسات الإسلامية سواء كانت هيئات أو جمعيات أو مؤسسات صحفية، وتارة يقومون بنشر البدع والخرافات التي تحول بين المسلمين وبين معرفة حقيقة دينهم. وهذا الأسلوب الأخير هو ما شجعه الاستعمار في دول القارة الإفريقية بالمال تارة وبالنفوذ والحماية تارة، وفي ذلك تقول مجلة «التيمس»:

---

(١) كشف الحجاب ٢١.

(٢) انظر ص٢٦٩.

(٣) وقد ذكر الزياني أن من أسباب نشأة التجانية تأثرها بطائفة «الوهبية» المنتشرة في صحراء المغرب، الترجمانة الكبرى ٤٦١. قلت: وهذه طائفة من الخوارج ومعلوم أن التجانيين من أبعد الناس عن مذهب الخوارج، وقد سميت بهذا الاسم نسبة إلى أبي عبدالله بن وهب الراسبي زعيم الخوارج في معركتهم الأولى بالنهروان «الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي ١٤٥» ترجمه عن الفرنسية عبدالرحمن بدوي. تأليف الفريد بل «دار ليبيا للنشر والتوزيع ١٩٦٩م».

«ويختلف المفكرون الغربيون في اتجاههم الفكري نحو مستقبل الإسلام في إفريقية، فمن قائل إن تقدم الإسلام لن يضر بالمصالح الاستعمارية، بينما يرى آخرون ضرورة الحد من تقدم الإسلام عن طريق نشر البدع والخرافات حتى يكون هذا بمثابة حائل يقف أمام ضغط الإسلام المتزايد»[1].

وقد قام المستعمرون بدراسة كاملة عن مشايخ الطرق فأدركوا رغبتهم الشديدة في المال والنفوذ فحققوا لهم هذه الرغبة، فقدم لهم مشايخ الطرق مقابل ذلك أعظم الخدمات وجعلوهم يعيشون في البلدان المستعمرة في أمن واطمئنان. وفي ذلك يقول أحد المختصين بشئون الطرق في شمال إفريقيا «بول أودينو»: «إن شيوخ الطرق يميلون إلى المال والنفوذ وهم يعرفون أنهم إن قاوموا الدولة الحامية فإنهم لن يحصلوا على أي منهما»[2].

ويقول «جوليان» مثنياً على الحكومة الفرنسية: «لقد عرفت الحكومة الفرنسية كيف تجمع المتصوفة الذين مولتهم وحمتهم»[3].

تاريخ التجانية في الجزائر:

قدّم التجانيون في الجزائر والمغرب خدمات جليلة للفرنسيين، وقد كافأهم الفرنسيون على هذه الخدمات بالمال والجاه والنفوذ، وسنذكر فيما يلي مجموعة من الحقائق التاريخية التي تدين التجانيين وتبين علاقتهم الوثيقة بالاستعمار والمستعمرين:

قال «روم لاندو» في كتابه: «تاريخ المغرب في القرن العشرين»: «وقد خبر الفرنسيون قضية الطرق الصوفية والدور الذي تلعبه مرات متعددة من قبل، وثمة وثيقتان قلما يعرفهما الناس تزودنا بالمعلومات الطريفة ؛ أولاهما رسالة بعث بها قبل قرن من الزمن المارشال (بوجو) أول حاكم للجزائر إلى شيخ التجانية ذات النفوذ الواسع، إذ أنه لولا موقفها المشبع بالعطف لكان استقرار الفرنسيين في البلاد المفتتحة حديثاً أصعب بكثير مما كان». ويقول المارشال في نهاية الرسالة: «عندما تشعر بحاجة إلى شيء ما أو إلى خدمة من أي نوع كانت فما عليك إلا أن تكتب إلى مرافقي الذي سيسره أن يبلغني رغباتك»[4].

---

(١) مجلة الأزهر السنة ٢٥/ ١٣٧٣هـ عدد جمادى الأولى ص٦٣٧ الجزء الخامس، وانظر أيضاً السنة ٩٢ الجزء الأول ص٣ من مجلة الأزهر.

(٢) تاريخ المغرب في القرن العشرين (روم لاندو) ص١٤٠ دار الثقافة، بيروت.

(٣) تاريخ المغرب في القرن العشرين (روم لاندو) ص١٤٣ دار الثقافة، بيروت.

(٤) تاريخ المغرب في القرن العشرين ص١٤٠ دار الثقافة.

ثم قال «روم لاندو»: «ووثيقتنا الثانية تلقي ضوءاً على طريقة الإقناع، إنها إعلان بعث به خليفة التجاني الذي تلقى رسالة المارشال «بوجو» إلى أتباعه بمناسبة الحرب بين فرنسا والأمير عبدالكريم سنة ١٩٢٥م يدعو فيه إخوانه إلى مؤازرة الدولة المسيحية ضد مواطنيهم من المسلمين. ويقول الشيخ التجاني محمد الكبير بن البشير في هذا الإعلان: «إن فرنسا تكافئ على الخدمات التي تقدم لها.. وفرنسا قد انتصرت مؤخراً في حرب (١٩١٤م ـ ١٩١٩م) على واحدة من أعظم دول أوربا وأقواها، ألا ينصر سبحانه ويمنح عباده من يشاء»[1].

ويقول «بول أودينو»: «خلال السنين الستين الأخيرة كانت التجانية تقدم لنا العون، ومنذ سنة ١٩١١م ونحن نستغل نفوذها القوي في جنوبي المغرب وموريتانيا والريف»[2].

وفي سنة ١٢٨٧هـ ـ ١٨٧٠م عندما هزم الفرنسيون شر هزيمة قام أحمد التجاني ـ الحفيد ـ بتقديم الشكر باسم الجزائريين إلى بقية جنود التيرايور الذين سلموا من معركة «ريش ـ هوفن» ووقعة «ويسانبور» فكافأه الكردينال لافيجري بأن تولى عقد زواج أحمد التجاني شيخ التجانية يومئذ على مدام «أوريلي بيكار» التي بقيت على كاثوليكيتها، ولما توفي عنها خلفه عليها وعلى السجادة التجانية أخوه علي فصاروا يسمونها «زوجة السيدين»، وقد كتبت كتاباً بعنوان: «أميرة الرمال» ملأته بالمثالب على مسلمي الجزائر والزاوية التجانية، وقد كافأتها السلطات الفرنسية لقاء ما قدمته من خدمات بوسام جوقة الشرف وقالت عنها في براءة التوجيه: «إن هذه السيدة قد أدارت الزاوية التجانية إدارة حسنة كما تحب فرنسا وترضى، وساقت إلينا جنوداً مجندة من «أحباب» هذه الطريقة ومريديها يجاهدون في سبيل فرنسا صفاً كأنهم بنيان مرصوص»[3] انتهى ملخصاً.

وعندما قامت بعثة عسكرية في سنة ١٣٤٩هـ ـ ١٩٣١م بزيارة منطقة الأغواط بالجزائر، دعاها شيخ التجانية في ذلك الحين محمد الكبير لزيارة عين ماضي المركز الرئيسي للطريقة التجانية[4]، وهناك ألقى حسني سي أحمد بن طالب خطبة باسم الشيخ محمد الكبير ذكر

---

(١) تاريخ المغرب في القرن العشرين ص١٤١ دار الثقافة.

(٢) تاريخ المغرب في القرن العشرين ص١٤٣ دار الثقافة.

(٣) مجلة الأزهر السنة ٢٩ ص٧ من الجزء الأول.

(٤) مجلة الأزهر السنة ٢٩ ص٧، ٨ وانظر جريدة «لابرس ليبر» الجزائرية الصادرة يوم ١٦ مايو سنة ١٩٣١م.

فيها بعض الخدمات التي قدمتها التجانية للفرنسيين فكان مما قاله:

«إن من الواجب علينا إعانة حبيبة قلوبنا فرنسا مادياً وأدبياً وسياسياً، ولهذا فإني أقول لا على سبيل المن والافتخار ولكن على سبيل الاحتساب والتشرف بالقيام بالواجب: إن أجدادي قد أحسنوا صنعاً في انضمامهم إلى فرنسا قبل أن تصل إلى بلادنا وقبل أن تحتل جيوشها الكريمة ديارنا».. «ففي سنة ١٨٣٨م كان جدي سيدي محمد الصغير قد أظهر شجاعة نادرة في مقاومة أكبر عدو لفرنسا الأمير عبدالقادر الجزائري[١]، ومع أن هذا العدو قد حاصر بلدتنا «عين ماضي» وشدد عليها الخناق ثمانية أشهر، فإن هذا الحصار انتهى بتسليم فيه شرف لنا نحن المغلوبين وليس فيه شرف لأعداء فرنسا الغالبين، وذلك أن جدي أبى وامتنع أن يرى وجهاً لأكبر عدو لفرنسا فلم يقابل الأمير عبدالقادر»[٢].

«وفي سنة ١٨٦٤م كان عمي سيد أحمد مهّد السبيل لجنود الدوك دومال وسهل عليهم السير إلى مدينة بسكرة وعاونهم على احتلالها».

«وفي سنة ١٨٨١م كان المقدم[٣] سي عبدالقادر بن حميدة مات شهيداً مع الكولونيل «فلاتين» حيث كان يعاونه على احتلال بعض النواحي الصحراوية».

«وفي سنة ١٨٩٤م طلب منا مسيو «جول كوميون» والي الجزائر العام يومئذ أن نكتب رسائل توصية فكتبنا عدة رسائل وأصدرنا عدة أوامر إلى أحباب طريقتنا في بلاد «الهكار» (التوارق) والسودان (أي السودان الفرنسي) نخبرهم بأن حملة فود ولامى الفرنسية هاجمة على بلادهم، ونأمرهم بألا يقابلوها إلا بالسمع والطاعة، وأن يعاونوها على احتلال تلك البلاد وعلى نشر العافية فيها».

«وبالجملة فإن فرنسا ما طلبت من الطائفة التجانية نفوذها الديني إلا وأسرعنا بكل فرح ونشاط بتلبية طلبها وتحقيق رغائبها، وذلك لأجل عظمة ورفاهية وفخر حبيبتنا فرنسا النبيلة»[٤].

---

(١) عبدالقادر بن محيي الدين بن مصطفى الحسني الجزائري ولد في القيطنة (من قرى إيالة وهران بالجزائر) سنة ١٢٢٢هـ وتعلم في وهران، وكان عالماً شاعراً وله نشاط كبير في مقاومة الفرنسيين، واستقر في آخر عمره في دمشق وتوفي بها سنة ١٣٠٠هـ، الأعلام ٤/ ١٧٠.

(٢) تحفة الزائر في تاريخ الجزائر ١/ ٣٠١ وما بعدها الطبعة الثانية.

(٣) هي رتبة في الطريقة التجانية والمقدم من أجازه الشيخ في تلقين الورد للناس.

(٤) انظر بقية الخطاب في مجلة الأزهر السنة ٢٩ الجزء الأول ص٨، ١٠.

ومن هـذه النصوص يتبين كيـف تمكنت فرنسـا من قلوب مشـايخ الطريقـة التجانيـة في الجزائر، فقـدموا لها فـي سنوات ما لا تستطيع الجيـوش أن تقدمه فـي قرون، وبهذا تـدرك سر تمكن الاستعمـار الفرنسي في الجـزائر والشمال الإفريقي وبقـائه مدة طـويلة من الزمـن، كما تدرك سـر خطورة انحـراف المسلمين عن منهج الإسلام الصحيـح وكيف يجر هـذا الانحراف على الأمة النكبات والويلات. نسأل الله أن يعصمنا من الزلل.

وما تمكن الاستعمار في عصرنا الحاضر فـي أصقاع العالم الإسلامي المترامي الأطراف إلا نتيجة من نتائج البعد عن كتاب الله.

تاريخ التجانية في السودان الغربي (السنغال وما حولها) :

كان للحـاج عمر الفـوتي السنغـالي[1] جهود طيبـة في مقـاومة الـوثنيين والفرنسيـين في السودان الغربي، فقـد بدأ حملة واسعة لنشر الإسـلام بين الوثنيين فصار له كثيـر من الأتباع، ثم حمل راية الجهاد ضد الوثنيين والفرنسيين في تلك البلاد.

ففي سنـة ١٢٧١ هـ ـ ١٨٥٤ م جعل مقره العـام في «نيورو» شمـال السنغال، ثم استـولى على مملكة «سيغو» وعلى بلاد «ماسينه»، وكان قبل ذلـك قد هزم الوثنيين في «تومبا» واستولى على «كونياكاري»، وفي عام ١٢٧٨ هـ ـ ١٨٦١ م استولى على مدينة «بمبره».

وفي عـام ١٢٧٩ هـ ـ ١٨٦٢ م التقى بجيـش أحمد بن أحمـد وهو من المنتسبين لـلإسلام الموالين للفرنسيين فهزمه شر هزيمة.

وما زال في محاربة أعداء الله حتى توفي سنـة ١٢٨٢ هـ تقريباً بعد أن خلف دولة أصبحت فيما بعـد خطراً كبيراً علـى الاستعمار[2]، قال «لـوثروب ستـودارد» في كتابـه: «حاضر العـالم الإسـلامي» بعد أن تحـدث عن جهـاد الحاج عمـر في السنغـال: «فصار وجـود هذه السلطـة التجانية في وسط السودان خطراً عظيماً على سيادتنا»[3].

وقـال «المسيو مـوري» مثنياً على جهـاد عمـر الفوتي «.. والحـق يقال إن الإسـلام يملك

---

(١) انظر ترجمة الحاج عمر الفوتي ص ٨٠.

(٢) حاضـر العالـم الإسلامي ٣/ ٤٩ الطبعـة الرابعـة دار الفكر، مجلـة الأزهر السنـة ٢٩ الجزء الأول ص ١١ صفوة الاعتبـار، محمد بيـرم التونسي ١/ ٧٢، دار صـادر، دائرة المعارف الإسلاميـة ٥/ ٤٣٢/ ٤٣٣ طبع مصر سنة ١٣٥٢ هـ، كتاب الحاج عمر الفوتي سلطان الدولة التجانية ص ٣ وما بعدها.

(٣) حاضر العالم الإسلامي ٢/ ٣٩٦/ ٣٩٨.

حيوية عظيمة وقابلية للانتشار، فليتذكر الناس حركات أمة البله ونشاط الدراويش وأتباع الطرق وتكاثر الزوايا وثورة الحاج عمر الفوتي وخلفائه»[١].

ومما سبق يتبين لنا التباين في موقف التجانية من الاستعمار، فهي في الجزائر تقدم لهم الولاء التام وفي السنغال تحمل في وجوههم السلاح، وقد أدرك هذا التناقض المسيو «أندري راسين» فقال مستغرباً «.. وأشهر من شهرها في السودان الحاج عمر، ومن الغريب أنها في الجزائر تنصح بالموادة للفرنسيين وفي السودان[٢] ترفع راية الجهاد[٣]».

فما السبب في هذا الاختلاف؟

يرجع هذا الاختلاف - في رأيي - إلى الأسباب التالية:

الأول: اختلاف المشارب، فدراسة الحج عمر الفوتي في الأزهر الشريف وإقامته في مصر مدة من الزمن كان لهما أثر كبير في توجيه حياته، مما جعله يكره الاستعمار والمستعمرين ويقاومهم، وإن كان متعصباً للتجانية ومبرراً لكثير من عقائدهم المنحرفة، كما هو واضح في كتابه «رماح حزب الرحيم على نحور حزب الرجيم».

الثاني: أن الرجل الواحد قد تكون فيه جوانب خيرة، وجوانب أخرى سلبية، وذلك بحسب طاعته أو معصيته، فعمر الفوتي وإن كان قد حارب الاستعمار والمستعمرين، فإنه مع ذلك كان تجانياً متعصباً.

الثالث: الحرص على المال والنفوذ والشهرة حمل التجانيين في الجزائر على موالاة فرنسا وتقديم الخدمات لها وهذا ما صرح به التجانيون أنفسهم.

وفي ذلك يقول الشيخ التجاني محمد الكبير بن البشير في الإعلان الذي بعث به لإقناع الأتباع بمؤازرة الفرنسيين: «.. إن فرنسا تكافئ على الخدمات التي تقدم لها..»[٤].

وكما هو واضح من رسالة المارشال «بوجو» إلى شيخ التجانية إذ يقول «عندما تشعر بحاجة إلى شيء ما أو إلى أي خدمة من أي نوع كانت، فما عليك إلا أن تكتب إلى مرافقي الذي سيسره أن يبلغني رغباتك»[٥].

---

(١) حاضر العالم الإسلامي ٣/ ٢.

(٢) أي السودان الغربي (السنغال وما حولها) لا السودان المعروف.

(٣) حاضر العالم الإسلامي ٣/ ٤٦ ط الرابعة.

(٤) تاريخ المغرب في القرن العشرين ١٣١ دار الثقافة.

(٥) تقدم النص في ص٦٦ هامش ٤.

وقد سبق أن ذكرنا أن الكردينال لافيجري قد كافأ الشيخ أحمد التجاني - الحفيد - لقاء خدماته بأن زوجه مدام «أوريلي بيكار»[1] فهي إذاً مصالح متبادلة.

وإذا كان أصحاب الطرق يسعون إلى المال والنفوذ والشهرة عن طريق الأفراد والشعوب، فكيف إذا حصلوا على ذلك من الدول والحكومات؟ فلا شك أنهم لن يتأخروا وهذا ما قرره أحد المختصين بشئون الطرق في الشمال الإفريقي[2].

الرابع: كما يجب ألا ننسى في هذا المقام معتقدهم في محبة الكفار[3]، فلعل لمثل هذا المعتقد أثر كبير في موالاة فرنسا والمستعمرين.

ولعل هذه أبرز الأسباب في تباين الموقفين، والله أعلم.

❑ ❑ ❑

(١) انظر صفحة ٦٧.

(٢) انظر كلمة (أودينو) صفحة ٦٧.

(٣) انظر فصل «إيمانهم بوحدة الوجود».

الفصل الثاني
في تراجم أشهر التجانيين
علـــي حـــــرازم

○ اسمه ونشأته :

هو أبـو الحسن الحاج علي بن العـربي برادة المغربـي الفاسي، ويعتبر أكبـر خلفاء الشيخ التجاني في حيـاته وبعد مماتـه. قال عنه التجاني فـي رسالة بعثها إلى أهـل تلمسان «.. وهو عوض عـن نفسي وخليفتي، وقـد أقمته مقـام نفسي في تلقين أورادي وإعطـاء طريقتـي وكذا علومي وما انطوت عليه حقيقتي، فهو مني وأنا منه..»[1].

وقد التقـى بالتجاني لأول مـرة في مدينـة «وجدة» وذلك في سنـة ١١٩١هـ وذلك عنـدما ارتحل التجاني من تلمسان إلـى فاس، وقد لقنه الطريقة الخلوتية وذلـك قبل أن يبتدع طريقته الجديدة.

○ رحلته إلى الحجاز:

لما اشتد عـوده وخشي التجاني أن ينافسه المنصـب أمره بالتوجه إلـى الحجاز، وفي ذلك يقول التجاني: «.. إذا فتح الله على أصحابي فالـذي يجلس منهم في البلد الذي أنا فيه يخاف على نفسه من الهـلاك. فقال له بعض أصحابه: منـك أو من الله؟ فأجابه بقولـه: من الله تعالى من غير اختيار مني..»[2].

وفي طـريقـه من فـاس إلى الحجـاز التقى بإبـراهيم الـرياحـي في تـونس ولقنـه الطريقـة التجانيـة، وفي تونس تـزوج بامرأة ولكنـه لـم يلبث أن طلقهـا. وبعد أن وصل إلى الحجـاز كان كثيراً ما يراسل شيخـه يطلب منه قضاء بعض الأمور التي تهمه، ومن هذه الـرسائل رسالة بعث بها من المدينة إلى شيخه في فاس وفيها يقـول: «... أما بعد فالمطلوب من كمال فضل سيدنا الـذي أسدى الله فضـلاً ورحمة ومـدداً إلينـا، أن يتفضل علينا سيـدنـا بما وعـدنا بخـط يديـه الكريمتين إلينـا كما هو معدود من فضل سيـدنا من غير استحقاق مقابـل محض فضل وإكرام

---

(١) كشف الحجاب ٩٥.

(٢) كشف الحجاب ١٥٢.

وامتنان علينا من سورة:

بما لها من الأسرار والعلوم، والوقت وما لهـا من اللزوم، ودفع عوارضها من الشرور والهموم، وإعطاء مـا لديهـا من الأسـرار والعلوم، وأن يـديم عليها بحـول الله على عـدد الدهـر والعموم وكذلك:

الكتاب أيضاً على مـا يليق بالحال... إلخ»[1].. وهذه الرسالة تبين جـانباً من الخرافة في الطريقة التجانية، وإلا فما معنى هذه الرموز التي تشبه الكتابة بالأحرف الصينية؟!

○ وفاتــــــه :

توفي علي حرازم في المـدينة سنة ١٢١٧هـ[2]، وقد قيل في قصة وفاتـه إنه وقعت له غيبة فتخيل أصحابه أنه توفي فدفنوه حياً، ومكث في قبره سبعة أيام ثم توفي بعد ذلك[3].

محمد بن المشري:

○ اسمه ونشأته :

هو محمـد بن المشري الحسني السـابحي السباعي أصـلاً التقرتي[4] وكان أول اجتمـاعه بالتجـاني سنة ١١٨٨هـ وذلك عنـدما رجع التجانـي إلى تلمسان بعد أن أدى فـريضة الحج، وقد لقنه التجاني الطـريقة الخلوتية وذلك قبل أن يبتدع طريقته الجديـدة، وقد اتخذه التجاني إماماً في الصلاة حتى سنة ١٢٠٨هـ.

ولما نبغ محمد بن المشـري خشي التجاني أن ينافسه مشيخة الطريقة فـأمره بالخروج إلى الصحراء[5]، كما فعل مع نظيره السابق علي حرازم.

---

(١) انظر بقية الرسالة في كشف الحجاب من ص٨٥ حتى ص٩٠.

(٢) الإفادة الأحمدية: ١٥.

(٣٥ كشف الحجاب ٦٨ ـ ٩٥، بغية المستفيد ٢٥٥، الدرة الخريدة ١/ ١١١، غاية الأماني ٢.

(٤) نسبة إلى «تقرت» بلدة في الجزائر من عمل أقسمطينه.

(٥) الإفادة الأحمدية ٦٩، كشف الحجاب ٦٥٣.

○ وفاتـــه :
توفي بعين ماضي ناحية الصحراء وذلك في سنة ١٢٢٤هـ.
○ آثـــاره :
من أهم مؤلفاته :
كتاب الجامع لما افترق من العلوم.
وكتاب نصرة الشرفاء في الرد على أهل الجفاء[١].

عمـــر الفوتـــي

○ مولده ونشأته :
هو عمر بن سعيد بن عثمان الفوتي السنغالـي الأزهري التجاني. ولد سنة ١٧٩٧م في قرية «الفار» من بـلاد «ديمار»[٢] وحفظ القـرآن على والده سعيد بـن عثمان، وفي سنـة ١٢٣٦هـ ـ ١٨٢٠م حج إلى مكـة وزار المدينة النبـوية[٣]، وقرأ مـدة في الأزهر الشريف، وذلـك في فترة مشيخة محمد العـروسي التي امتدت من سنـة ١٢٣٣هـ حتى سنة ١٢٤٥هـ، ثـم خلفه أحمد الدمهوجي سنة ١٢٤٦هـ، والشيخ حسن العطار الـذي بقي شيخاً للأزهر حتى سنة ١٢٥٠هـ، وفي هذه الأثناء كان الشيخ عمر يتلقى تعليمه في الأزهر.
وحينما سافر إلى بـلاد «حوس» بقطر نيجيريا التقى بالأمير محمـد بلّ ابن الشيخ عثمان بن فودي فنزل ضيفاً عليه، فزوجه ابنته وولدت له ابنه محمد النور[٤].
○ جهـــاده :
بعـد ما رجع مـن مصر إلى «بـورنو» وذلـك في سنة ١٢٤٩هــ ـ ١٨٣٣م بـدأ حملة لنشـر الإسلام بين الوثنيين هناك، ثم ذهب إلى بلاد «الهاوسة».

---

(١) كشف الحجـاب ١٤٩ ـ ١٥٣ بغية المستفيـد ٢٥٦، الدرة الخـريدة ١١٢، الإفادة الأحمـدية ٦٩ غـاية الأماني ١٦.
(٢) منطقة في قطر السنغـال على الضفة اليسرى من النهريـن «والو» من الغرب «وتورو» من الشـرق ،حاضر العالم الإسلامي ٢/ ٣٩٧.
(٣) دائرة المعارف الإسلامية ٥/ ٤٣٢، ٤٣٣.
(٤) انظر كتاب «الحاج عمر الفوتي» ٩/ ٢٠.

ثم كون جيشاً صغيراً وأثار جميع مسلمي بلاد «غابون» وهزم البامبارة الوثنيين شر هزيمة في «تومبا»، واستولى بعدها على «كونياكاري».

وفي سنة ١٢٧١هـ ـ ١٨٥٤م جعل مقره العام في «نيورو» شمال السنغال، ثم استولى على مملكة «سيغو» وعلى بلاد «ماسينه»[١]، وفي عام ١٢٧٨هـ ـ ١٨٦١م استولى على مدينة «بمبرة». وفي عام ١٢٧٩هـ ـ ١٨٦٢م التقى بجيش أحمد بن أحمد وهو مسلم موالٍ للفرنسيين فهزمه شر هزيمة، فهرب به خدمه على سفينة فتبعه بعض جنود الشيخ عمر فوجدوه في موضع يسمى «موبتي» وقد فارق الحياة[٢].

○ وفاتـــه :

بعد ما قدم «البكاي» من بلاد شنقيط انضم إليه أتباع الأمير أحمد بن أحمد وبقايا الوثنيين وحاصروا الشيخ عمر في مدينة «تمبكتو»، ولكن الثائرين شددوا عليه الحصار فاضطر إلى الاعتصام بمغارة فدلهم بعض أعدائه عليه، فأطلقوا عليه الدخان حتى اختنق عام ١٢٨١هـ ـ ١٨٦٤م[٣].

وقيل : إنه قتل بالغم لما أيس من الحرب، وكان ذلك في حدود سنة ١٢٨٣هـ.

وقيل : إنه توفي سنة ١٢٨٢هـ وعمره ٧٠ سنة[٤].

وقد خلفه على قيادة هذه الحركة اثنان من أتباعه أحدهما ابن أخيه، واستمر حتى احتلال الفرنسيين «تمبكتو» في ٣ رجب سنة ١٣١١هـ ـ ١٠ يناير سنة ١٨٩٤م[٥].

○ مؤلفاتـــه :

كتاب «رماح حزب الرحيم على نحور حزب الرجيم» الذي كتبه في عام ١٢٦١ـ ١٨٤٥م.

كتاب «سيوف السعيد».

كتاب «سفينة السعادة».

الفزارى «القصائد العشرينات» «تخميس لها[٦]».

---

(١) حاضر العالم الإسلامي ٢/ ٣٩٧. (٢) كتاب الحاج عمر الفوتي ١٧.

(٣) دائرة المعارف الإسلامية ٥/ ٤٣٢، ٤٣٣. صفوة الاعتبار ١/ ٧٢.

(٤) مجلة الأزهر مجلد ٢٩ الجزء ١ ص١١، ١٢.

(٥) مجلةالأزهر مجلد ٢٩ الجزء ١ ص١١، ١٢.

(٦) كتاب عمر الفوتي ص٧ نقلاً عن كتاب: «الإسلام في غرب إفريقيا» للقس ترمنجهام.

أحمد سكيرج

○ مولده ونشأته :

هو أحمد سكيرج العياشي، ولد بفاس في شهر ربيع الثاني سنة ١٢٩٥هـ، وقرأ القرآن على الفقيه محمد بن الهاشمي الكتامي، وفي سنة ١٣٠٩هـ التحق مع أخيه محمد بدروس العلم بمسجد القرويين بفاس، وأخذ عن إدريس عمور الفاسي، وأخذ الحديث عن عبدالله بن إدريس البكراوي، وأخذ الإذن بالأوراد اللازمة عن محمد قنون بمحراب زاوية التجاني، وفي سنة ١٣١٦هـ اجتمع بأحمد العبد لاوي وقرأ عليه المشاهد لعلي حرازم والجامع لمحمد ابن المشري.

كما قرأ الفتوحات المكية والإنسان الكامل على شيخه عبدالكريم بنيس. وفي عام ١٣١٨هـ درّس بالقرويين متطوعاً وبعدها بسنتين ١٣٢٠هـ عين مدرساً رسمياً بالقرويين.

وفي عام ١٣٢٠هـ تزوج وبعدها بسنتين ولد له ابنه الأكبر عبدالكريم.

○ رحلاته :

في عام ١٣٢٥هـ سافر إلى مكناسة وألف في ذلك «الزيدانية»، وفي سنة ١٣٢٨هـ قام بزيارة إلى طنجة.

وفي سنة ١٣٢٩هـ استدعاه الحبيب بن عبدالملك إلى وهران فسافر إليه، ثم عاد إلى فاس وألف في ذلك الرحلة «الوهرانية».

وفي سنة ١٣٣٤هـ توجه لأداء فريضة الحج وألف في ذلك «الرحلة إلى الحجاز» وفيها اجتمع بكثير من علماء مصر والحجاز.

○ أعمالــه :

عين ناظراً في أحباس فاس الجديد وأقام بها أربع سنوات، ثم عين قاضياً في مدينة وجدة، ثم تولى عضوية المحكمة العليا برباط الفتح، ثم عين قاضياً بثغر الجديد في سنة ١٣٤٢هـ، ثم تولى القضاء بمدينة «سلطات» سنة ١٣٤٧هـ.

○ وفاتــــه :

توفي فـي مدينة مـراكش في ٢٣ شعبان يـوم السبت سنة ١٣٦٣هـ الـموافق ١٢ أغسطس سنة ١٩٤٤م.

○ مؤلفاتــــه :

يعتبر أحمد سكيرج من أكثر أتباع التجاني كتابـة وتأليفاً، إذ قد بلغت مؤلفاته حوالي ١٤٠ مؤلفاً[١].

ومن هذه المؤلفات:

الكوكب الوهاج ، وقد كتبه سنة ١٣١٨هـ.

قدم الرسوخ فيما لمؤلفه من الشيوخ. ذكر فيه شيوخه في كل فن.

قرة العين في الجواب عن الأسئلة المودعة خبيئة الكون.

مورد الصفـا في محـاذاة الشفاء، وهو نظـم لكتاب الشفـاء للقاضي عيـاض في «٤٧٤٧» بيت، وقد فرغ من نظمه سنة ١٣٥٠هـ.

الذهب الخالص في محاذاة كبرى الخصـائص، وهو نظم للخصائص الكبرى للسيوطي، نظم حوالـي خمسة أسداس الكتاب في «١٩١٥٠» بيتـاً وبقي سدس الكتاب وذلـك في عام ١٣٦٣هـ، وتوفي بعد ذلك بشهر.

كشف الحجاب عمن تـلاقى مع سيدي أحمد التجانـي من الأصحاب، وفيه ذكر مـا يزيد على مائتي ترجمة من أتباع التجاني وغيرها كثير[٢].

محمد الحافظ التجاني

○ مولده ونشأته :

هو محمـد بن عبداللطيـف بن سالم الشـريف الحسني التجـاني المصري، ولـد في ربيع الثاني عـام ١٣١٥هـ في بلـدة «كفر قورص» مركـز أشمون بإقليم المنـوفية من جمهوريـة مصر العربية.

ويعتبر محمد الحـافظ من المهمتين بعلوم الحديـث، وقد قمت بزيارة لمكتبتـه الموجودة

---

(١) غاية الأماني ١٣٠.

(٢) جناية المنتسب العاني ٢/ ١٠٠، ١٠٧، غاية الأماني ١٣٠.

في الزاوية التجانية بالقاهرة فوجدتها حافلة بأمهات كتب السنة مما يدل على عنايته الشديدة بها.

○ رحـــلاته :

رحل محمد الحافظ إلى السودان خمس مرات وإلى الحجاز ثماني مرات، كما رحل إلى فلسطين وسوريا وتونس والجزائر ومراكش ولقي بها كثيراً من العلماء.

○ وفاتـــه :

توفي محمد الحافظ التجاني عام ١٣٩٨هـ ودفن في الزاوية التجانية بالقاهرة في الدور الأرضي.

○ آثاره :

١ـ المؤلفـــات :

ترك محمد الحافظ التجاني مؤلفات كثيرة نذكر منها:

١ ـ الحق في الحق والخلق.

٢ ـ أصفى مناهل الصفا في مشرب خاتم الأولياء.

٣ ـ قصد السبيل في الطريقة التجانية.

٤ ـ فصل المقال برفع الإذن في الحال.

٥ ـ سبيل الكمال «رسالتان إلى ألمانيا في الإسلام».

٦ ـ رسول الإسلام ورسالته الجامعة.

٧ ـ رد أوهام القاديانية في قوله تعالى: ﴿وخاتم النبيين﴾.

٨ ـ رسالة تحت عنوان: «علماء تزكية النفس من أعلم الناس بالكتاب والسنة» وهذه الرسالة عبارة عن ثلاث رسائل إحداها في إثبات رؤية النبي ﷺ يقظة بعد موته.

٩ ـ الحد الأوسط بين من أفرط ومن فرط.

١٠ ـ أهل الحق العارفون بالله.

١١ ـ التوفيق بين الطوائف المعاصرة في الأصول.

١٢ ـ شروط الطريقة التجانية[1].

١٣ ـ ترتيب مسند الإمام أحمد، وذلك بترتيب مسند كل صحابي حسب الحروف

---

(١) غاية الأماني ١٢٤، ١٣٢.

الهجائية، وقد أطلعني عليه ابنه الأكبر أحمد في القاهرة، والكتاب مخطوط.

٢ ـ مجلة طريق الحق :

أسس محمد الحافظ التجاني مجلة (طريق الحق) الناطقة بلسان التجانيين وذلك في سنة ١٣٧٠هـ ـ ١٩٥٠م وهي لا تزال تصدر حتى اليوم، وقد تولى رئاسة تحريرها الأستاذ محمد عبدالله العطار حتى سنة ١٣٧٩هـ، حيث خلفه على رئاسة التحرير محمد رشاد الشبرابخومي في ٢٠ شعبان من السنة نفسها وهو رئيس تحريرها إلى اليوم، إلا أن هذه المجلة كانت في حياة مؤسسها أقوى منها اليوم إذ تصدر الآن بصورة متقطعة وبمقالات محدودة.

□ □ □

الفصل الثالث
في التعريف بأشهر الكتب المؤلفة في الطريقة التجانية

من أشهر الكتب المؤلفة في الطريقة التجانية ما يلي:

جواهر المعاني:

وهو أهم كتاب في الطريق والمرجع الأساسي للتجانيين وقد سبق الحديث عنه[1].

كتاب «رماح حزب الرحيم على نحور حزب الرجيم»:

مؤلفه هو عمر بن سعيد الفوتي الطوري الكدوي وقد كتبه في عام ١٢٦١هـ[2].

ويتكون الكتاب من خمسة وخمسين فصلاً ومقدمة خاتمة، وقد أشار في مقدمة كتابه إلى بعض الأمور التي تزيد في الإيمان، كما ذكر في الخاتمة شرف الذكر على غيره من سائر الطاعات.

وتحدث في فصول الكتاب عن أمور شتى منها الحث على الدخول في هذه الطريقة، كما تحدث عن معنى الزهد عند الصوفية وبين فيه أن الولي لا يتقيد بمذهب معين، وتحدث عن رؤية النبي ﷺ يقظة بعد موته، وعن فضل الطريقة التجانية وفضل أتباعها. وقد قال في مقدمة كتابه: «هذا الكتاب وضعته لنفسي ولإخواني في الطريقة، ثم لمن شاء الله نفعه به من أهل الشريعة والحقيقة»[3].

وقد قال فيه بعض التجانيين: «إن الرماح في هذه الطريقة مثل المدونة في المذهب»[4].

طبع الكتاب بهامش جواهر المعاني في «٥٥٩» صفحة جزأين في مجلدين، وقد قام بطبعه مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر سنة ١٣٨٠هـ - ١٩٦١هـ.

كتاب «الجامع لما افترق من العلوم الفائضة من القطب المكتوم»:

---

(١) انظر صفحة ٥٧.

(٢) رماح حزب الرحيم ٢/ ٢٨٣.

(٣) رماح حزب الرحيم ١/ ٣.

(٤) جناية المنتسب العاني ٢/ ٧٢.

مؤلفه هو محمد بن المشري أحد كبار تلامذة التجاني، وقد اشتمل هذا الكتاب على جل ما اشتمل عليه جواهر المعاني إلا أنه زاد فيه بعض المسائل؛ لطول اجتماعه بالشيخ بعد وفاة علي حرازم مؤلف جواهر المعاني.

وقد قام أحمد سكيرج بجمع ما انفرد به هذا الكتاب عن جواهر المعاني في كتابه سماه «السر الباهر ـ فيما انفرد به الجامع عن الجواهر»[1].

الإفادة الأحمدية :

مؤلفه هو الحاج الطيب السفياني، وقد جمع فيه المؤلف ما سمعه بنفسه من الشيخ التجاني مشافهة أو بلغه على لسان من سمعه منه، ورتبه على حروف المعجم. وفي ذلك يقول في المقدمة: «ولقد تلقيت جله مشافهة منه والباقي ممن أثق به راوياً عنه»[2] وقد نقل أكثره صاحب بغية المستفيد، وقد اختصره أحمد سكيرج في كشف الحجاب وجعل عليه شرحاً سماه «بالإجادة على الإفادة»[3].

وقد طبع الكتاب بتحقيق محمد الحافظ التجاني ويقع في ١٦٠ صفحة من القطع الصغير، وقد كتب له محمد الحافظ مقدمة في ٤٠ صفحة، وقد طبع الطبعة الثانية بالمطبعة العالمية بالقاهرة سنة ١٣٩١هـ ـ ١٩٧١م.

بغية المستفيد شرح منية المريد :

مؤلفه هو محمد العربي السائح الشرقي العمري التجاني، ومنية المريد من نظم أحمد التجاني ابن بابا الشنقيطي العلوي، وقد كتب الشارح قبل أن يقوم بشرح النظم مقدمة في سبعة مطالب بين فيها منشأ هذه الطريقة وحقيقة الأدب مع الله، كما بين بعض ما يجب على المريد.. وغير ذلك.

وبقية الكتاب شرح لهذه المنظومة التي تحدث فيها ناظمها عن الطريقة التجانية وفضل صاحبها وفضل أتباعه وما للشيخ من الكرامات، كما تحدَّث عن شروط هذه الطريقة وما يجب على السالك فيها، وقد أسقط من النظم بعض الأبيات ولم يتعرض لها بالشرح.

وختم الكتاب بتتمة ذكر فيها فضل الاستغفار وقيام الليل والصلاة على النبي ﷺ، وفضل

---

(١) جناية المنتسب العاني ٢/ ٦٥، ٦٦.

(٢) الإفادة الأحمدية ٤٣.

(٣) جناية المنتسب ٢/ ٧٠.

كلمة لا إله إلا الله، وقد طبع الكتاب في ٤٠٣ صفحـات من الحجم المتوسط بمطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر ـ الطبعة الأولى سنة ١٣٨٠ هـ ـ ١٩٥٩م[١].

ميزاب الرحمة الربانية في التربية بالطريقة التجانية:

مؤلفه هو عبيدة بن محمد الصغير بن انبوجة الشنقيطي التشيتي المتوفى سنة ١٢٨٤ هـ[٢].

ويشتمل الكتاب على مقدمة وخمسة أبواب وخاتمة، وذكر في مقدمته ثلاث درجات :

الأولى: في التعريف بالشيخ التجاني. والثاني: في سيرته وأخلاقه. والثالثة: في ذكر أوراده.

وتحدث في الباب الأول عن فضل الأدب عند الشيخ. وفي الباب الثاني عن كون هذه الطريقة طريقة شكر. وفي الباب الثالث عن وضع الشكر على كافة المقامات الدينية والإيمانية. وتحدث في الباب الرابع عن أطراف من النعم ترشد إلى البصيرة في التفكير. وتحدث في الباب الخامس عن كيفية التربية بهذه الطريقة، وقد جمع في هذا الباب خلاصة ما في كتاب الفتوحات المكية لابن عربي كما يقول أحمد سكيرج[٣]، ثم ختمه بخاتمة ذكر فيها نتيجة التربية بهذه الطريقة[٤].

والكتاب يقع في ٣٠٣ صفحات من القطع المتوسطة، وقد طبع بمطبعة عبدالحميد أحمد حنفي.

الدرة الخريدة على الياقوتة الفريدة :

مؤلفه محمد فتحا بن عبدالواحد السوسي النظيفي.

وهو عبارة عن شرح لمنظومة في الطريقة التجانية اسمها «الياقوتة الفريدة»، وقد كتبت هذه المنظومة في عام ١٣١٦ هـ وعدد أبياتها «٥٥٥» خمسمائة وخمسة وخمسون بيتاً[٥].

أما شرح هذه المنظومة فقد انتهى منه مؤلفه في شعبان سنة ١٣١٩ هـ وقد تحدَّث فيه عن الطريقة التجانية فضلها وفضل أورادها وأشهر علمائها، كما تحدث عن التجاني وعن فضله

---

(١) بغية المستفيد، جناية المنتسب العاني ٢/ ٧٥، ٧٦.

(٢) ميزاب الرحمة الربانية ٢٩٣.

(٣) جناية المنتسب العاني ٢/ ٧٤.

(٤) ميزاب الرحمة الربانية ٦.

(٥) الدرة الخريدة ٤/ ٢٣٣.

وكرمه وكراماته وما خص به دون غيره. كما تحدث عن المريد وحقوقه وواجباته.. إلخ[1].

يقع الكتاب في ٩٦٥ صفحة من القطع الكبير وهو أربعة أجزاء، وقد طبع في مجلدين سنة ١٣٩٨هـ ـ ١٩٧٨م في دار الكتب.

٨ ـ الجيش الكفيل بأخذ الثأر ممن سلّ على الشيخ التجاني سيف الإنكار:

ومؤلفه هو محمد بن محمد الصغير الشنقيطي التشيتي.

وقد قسم الكتاب إلى سبعة أبواب في كل باب مقدمة وفصول.

والكتاب عبارة عن ردود على الشيخ دييج الشنقيطي الكميلي الذي انتقد الطريقة التجانية[2].

ويقع الكتاب في ٣١١ صفحة من الحجم الكبير، وهو مطبوع بهامش بغية المستفيد وقد التزم بطبعه عباس بن عبدالسلام بن شقرون بالفحامين بمصر.

هذه هي أهم الكتب التي تحدثت عن الطريقة التجانية، وهناك كتب أخرى كثيرة أقل أهمية منها يأتي ذكر جملة منها في قائمة المراجع آخر هذا البحث، والله الموفق.

□ □ □

---

(١) الدرة الخريدة ٤/ ٢٥٢.

(٢) جناية المنتسب العاني ٢/ ٧٣.

بعض الكتب المنسوبة للطريقة التجانية

هناك بعض الكتب التي نسبت إلى التجانية وتبرأ التجانيون منها.

ومن هذه الكتب:

عسوب السر الرباني في مناقب القطب التجاني.

شرح الأسماء الحسنى للتجاني.

شرح الآجرومية للتجاني.

استغاثته وشرحها في الانتصار على من قتلوا ولده محمد الكبير.

رحلة التجاني[1].

---

(١) جناية المنتسب العاني ٢/ ٨٣.

القسم الثاني
عقائدهم وبدعهم

البـــاب الأول
عقيدتهـم فـي الله

مقدمــة :

كثير من التجانيين هم مـن الذين يؤمنون بالله ورسوله ولكنهم يخلّـون بهذا الإيمان في نواح كثيرة، وذلك بحسب بعدهم عن معرفة الإسلام الصحيح، فمنهم من يؤمن بأن بعض المشايخ يعلمون شيئاً من الغيـب، ومنهم من يؤمن بجواز الطلب ودعاء الأنبيـاء والصالحين، ومنهم من يؤمن بالفناء الذاتي «وحدة الشهود»، ومنهم من يخـرج عن دائرة الإسلام فيؤمن بوحدة الوجود، وهو يظن أنه قد بلغ الغاية في التقوى والهداية.

الفصل الأول
إيمانهم بوحدة الوجود

ذكر بعض النصوص التي تبين إيمانهم بوحدة الوجود:

لم أكن أظن أن التجانية وأمثالهم من المتصوفة الذين يبدو عليهم الصلاح والزهد يؤمنون بوحدة الوجود؛ لما فيها من الانحراف الظاهر والبطلان الواضح الذي لا يقره دين ولا عقل ولا فطرة[1]، ولكني وجدت هذه العقيدة مبثوثة في كثير من كتبهم، فكان لزاماً عليّ أن أرد عليها وأبين ما فيها من زيغ وضلال إرشاداً لمن يريد الحق ﴿إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب﴾[2] أسأل الله أن يصون قلمي من الزلل والخطل.

وفيما يلي بعض النصوص التي تبين إيمانهم بها واستدلالهم لها وتشنيعهم على من خالفها:

قال في جواهر المعاني: «.. اعلم أن ذواق العارفين في ذوات الوجود أنهم يرون أعيان الموجودات ﴿كسراب بقيعة﴾[3] .. الآية. فما في ذوات الوجود كله إلا الله سبحانه وتعالى تجلى بصورها وأسمائها، وما ثم إلا أسماؤه وصفاته، فظاهر الوجود وصور الموجودات وأسماؤها ظاهرة بصورة الغير والغيرية، وهي مقام أصحاب الحجب الذين حجبوا بظاهر الموجودات عن مطالعة الحق فيها»[4].

---

(١) ينقسم التجانيون حيال هذه العقيدة إلى ثلاثة أقسام:

(أ) قسم يؤمنون بها ويدافعون عنها وهم أكثر مشايخ التجانية المتقدمين.

(ب) قسم ينكرونها ويكفرون قائلها ـ كما يقولون ـ وهم بعض المتأخرين منهم.

(جـ) القسم الثالث: هم العامة فكل ما قيل لهم آمنوا به وكل ما حذروا منه كفروا به، فهم جهلة مقلدون وهم أغلبية أهل هذه الطائفة. وقد سألت الدكتور الهلالي الذي ظل تجانياً مدة تسع سنوات: هل هذه العقيدة تعلم للأتباع أم هي للخاصة دون العامة؟ فأجاب بأن هذه العقيدة لا يؤمن بها إلا خواص التجانيين.

(٢) سورة هود آية ٨٨.

(٣) سورة النور آية ٣٩.

(٤) جواهر المعاني ١/ ٢٥٩.

وقال أيضاً: «.. إن جميع المخلوقات مراتب للحق، يجب التسليم له في حكمه وفي كل ما أقام خلقه، لا يعارض في شيء، ثم حكم الشرع من وراء هذا يتصرف فيه ظاهراً لا باطناً، ولا يكون هذا إلا لمن عرف وحدة الوجود فيشاهد فيها الوصل والفصل، فإن الوجود عين واحدة لا تجزؤ فيها على كثرة أجناسها وأنواعها ووحدتها، لا تخرجها عن افتراق أشخاصها بالأحكام والخواص، وهي المعبر عنها عند العارفين أن الكثرة عين الوحدة والوحدة عين الكثرة فمن نظر إلى كثرة الوجود وافتراق أجزائه نظره عيناً واحدة على كثرته، ومن نظر إلى عين الوحدة نظرة متكثر بما لا غاية له من الكثرة، وهذا النظر للعارف فقط لا غيره من أصحاب الحجاب وهذا لمن عاين الوحدة ذوقاً لا رسماً وهذا خارج عن القال...»[1].

وقال أيضاً: «.. فكل عابد أو ساجد لغير الله في الظاهر فما عبد ولا سجد إلا لله تعالى؛ لأنه هو المتجلي في تلك الألباس، وتلك المعبودات كلها تسجد لله تعالى؛ وتعبده وتسبحه خائفة من سطوة جلاله سبحانه وتعالى ولو أنها برزت لعبادة الخلق وبرزت لها بدون تجلية فيها لتحطمت في أسرع من طرفة العين لغيرته تعالى لنسبة الألوهية إلى غيره. قال سبحانه وتعالى لكليمه موسى: ﴿إنني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدني﴾[2] والإله في اللغة هو المعبود بالحق، وقوله: ﴿لا إله إلا أنا﴾ يعني لا معبود غيري وإن عبد الأوثان من عبدها فما عبد غيري، ولا توجهوا بالخضوع والتذلل لغيري.. إلخ[3]».

وقال في ميدان الإفضال: «.. وأن هذا الاعتقاد ليس هو اعتقاد القائل بوحدة الوجود؛ لأن ذلك اعتقاد صحيح شرعاً يقبله العقل السليم بالوهب الإلهي والفيض الرحماني وإن لم يدركه بالنظر الفكري..»[4].

وقال أيضاً عند شرحه لقول أحمد التجاني: (إحاطة النور المطلسم): «مما يوحي إلى وحدة الوجود لتعلم صفحة اعتقاد معتقدها وكماله ونقص اعتقاد منتقدها واعتلاله، ولكن قد علم كل أناس مشربهم ومشرقهم ومغربهم..»[5].

---

(١) جواهر المعاني ٢/ ٩٢.

(٢) سورة طه آية ١٤.

(٣) جواهر المعاني ١/ ١٨٤، ١٨٥.

(٤) ميدان الفضل والإفضال ٦٢ المطبعة الرسمية بتونس ١٣٢٩هـ.

(٥) ميدان الفضل والإفضال ٦٦.

وقال أيضاً: «والقائلون بوحدة الوجود أولو الذوق الصحيح والكشف الصريح وأهل هذا التصديق الجامع، فإنهم قائلون بأن الله تعالى هو الوجود المطلق بالإطلاق الحقيقي..»[1].

وقال أيضاً: «فإذا عرفت أن وجوده تعالى لا ماهية له وأنه يقبل التجلي في جميع الصور عرفت أن الوجود في هذه الصورة المرئية هو وجوده تعالى، والصور ليست له تعالى بل إنما هي من حكم الذات المتجلى عليها.. فخرجت الصورة بجلي وجود الحق تعالى لها وبرزت للعيان على نحو ما لها من حكم..[2]».

هذه جملة من النصوص التي تبين إيمانهم بوحدة الوجود. وهناك نصوص أخرى كثيرة في مواضع متفرقة من كتبهم[3] لم نذكرها اختصاراً. وسنذكر فيما يلي ما استدلوا به من أدلة ونناقشها واحداً بعد الآخر .

الأدلـة والمناقشـة :

الدليل الأول:

قال في ميدان الإفضال: ... أن الله تعالى لا ماهية له، وأنه يقبل التجلي في جميع الصور وأن الوجود في هذه الصورة المرئية هو وجوده تعالى. ثم قال.. «ويشهد لهذا التجلي حديث مسلم الذي أخرجه في صحيحه ومنه «حتى إذا لم يبق إلا من كان يعبد الله تعالى من بر وفاجر أتاهم رب العالمين سبحانه وتعالى في أدنى صورة من التي رأوه فيها قال: فما تنتظرون؟ تتبع كل أمة ما كانت تعبد. قالوا: يا ربنا فارقنا الناس في الدنيا أفقر ما كنا إليهم ولم نصاحبهم. فيقول: أنا ربكم. فيقولون: نعوذ بالله منك لا نشرك بالله شيئاً، مرتين أو ثلاثاً.. ثم يرفعون رؤوسهم وقد تحول في صورته التي رأوه فيها أول مرة، فقال: أنا ربكم. فيقولون: أنت ربنا..» الحديث[4][5].

---

(١) ميدان الفضل والإفضال ٦٦.

(٢) ميدان الفضل والإفضال ٦٨، ٦٩.

(٣) انظر جواهر المعاني ١/ ٢٣٩، جواهر المعاني ١/ ٢٦٣، ٢٦٤، الدرة الخريدة ٣/ ٢٠٣.

(٤) ميدان الفضل والإفضال في شم رائحة جوهرة الكمال ٧٠.

(٥) رواه البخاري (صحيح البخاري المطبوع مع شرحه فتح الباري ١٣/ ٤٢١، ١١/ ٤٤٥)، ورواه مسلم (صحيح مسلم المطبوع مع شرح النووي ٣/ ٢٧، ٢٩) واللفظ لمسلم.

○ المناقشـــة :

الاستدلال بهذا الحديث مردود من وجوه :

الأول: إن إتيانـه سبحانه وتعالى في هذه الصوريكون فـي يوم القيامة كمـا دلّ على ذلك لفظ الحديث نفسه، حيث جاء في أول الحديث: «قلنا: يـا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة؟ قال: هل تضارون في رؤية الشمس في الظهيرة صحواً ليس فيها سحاب..؟»[1] الحديث.

فليس فيه دليل على أن الله تعالى يتجلى بصور الموجودات في الحياة الدنيا كما يزعمون.

الثاني: قال شيخ الإسـلام ابن تيمية: «وهؤلاء الملاحدة يقولون: إن العـارف بالله يعرفه في كل صـورة، فإن الذين أنكـروه يوم القيـامة في بعـض الصور كان لقصـور معرفتهم وهـذا جهل منهم، فإن الذين أنكروه يـوم القيامة ثم عرفوه لما تجلى لهم فـي الصورة التي رأوه فيها أول مرة هم الأنبياء والمـؤمنون، وكان إنكـارهم مما حمدهم ـ سبحانه وتعـالى ـ عليه، فـإنه امتحنهم بذلك حتى لا يتبعوا غير الرب الذي عبدوه»[2].

فهل الأنبياء والمؤمنون لا يعرفون الله حق المعرفة؟ تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً.

الثالث: إنه يلزم على قولهم: إن الله يظهر بكـل صورة، أن يكون الله في الحديث هو المنكِر والمنكَر؛ لأنهم يقولـون: ليس في الوجود شيء سوى الله، كما قـال بعضهم: من حدثك أن في الكون سوى الله فقد كذب، فقال له الآخر: ومن الذي كذب[3]؟

الرابـع: إن معنى هذا الحـديث أن تؤمـن أن الله تعالى يـرى يوم القيامـة، وأنه يتحـول في صورته التي رأوه فيهـا أول مرة ـ كما جاء في الحـديث ـ على ما يليق بجلالـه وعظمته من غير تكييـف، فلا يقال: كيف تحول؟ وما نوع هذا التحـول؟ ولا تأويل فلا يقال: إنه أتى بصورة ملك أوغيره؟ مع اعتقادنا الجازم أن الله تعالى ليس كمثله شيء وأنه منزه عن مشابهة المخلوقين.

قال شيخ الإسـلام ابن تيمية: «والأحسن فـي هذا الباب مـراعاة ألفاظ النصـوص فيثبت ما أثبت الله ورسولـه باللفظ الـذي أثبته وينفي ما نفـاه الله ورسوله كمـا نفاه، وهو أن يثبـت النزول والإتيان والمجيء وينفي المثل والسمي والكفء والند»[4].

---

(١) صحيح مسلم مع شرح النووي ٣/ ٢٥.

(٢) مجموع الفتاوى ٢/ ٣٤٢.

(٣) مجموع الفتاوى ٢/ ٣٤٢.

(٤) مجموع الفتـاوى ١٦/ ٤٢٣، ٤٢٤ وقد نقل شيـخ الإسلام ابن تيميـة عن الجد أبـي عبدالله أنه قـال في تفسيره: «أما الإتيان المنسـوب إلى الله فلا يختلف قول أئمة السلف كمكحـول والزهري والأوزاعي وابن =

الدليل الثاني: دليل عقلي:

قال في جواهر المعاني: «.. وإبطال ما قاله أهل الظاهر من إحالة الوحدة وبطلان ما ألزموه لمن قال بها، قال رضي الله عنه: بيانها من وجهين:

الوجه الأول:

أن العالم الكبير كذات الإنسان في التمثيل، فإنك إذا نظرت إليها وجدتها متحدة مع اختلاف ماتركبت منه في الصورة والخاصية من شعر وجلد ولحم وعظم وعصب ومخ، وكذلك اختلاف جوارحه وطبائعه التي ركبت فيه وبها قيام بنيانه. فإذا فهمت هذا ظهر لك بطلان ما ألزموه من نفي الوحدة؛ لاستلزام تساوي الشريف والوضيع واجتماع المتنافيين والضدين إلى آخر ما قالوه. قلنا: لا يلزم ما ذكره هنا؛ لأنه وإن كانت الخواص متباعدة فالأصل الجامع لهذا ذات واحدة كذات الإنسان سواء بسواء.

الوجه الثاني:

اتحاد ذات العالم في كونه مخلوقاً كله للخالق الواحد سبحانه وتعالى وأثراً لأسمائه، فلا يخرج فرد من أفراد العالم عن هذا الحكم وإن اختلفت أنواعه، فالأصل الذي برز منه واحد. فبهذا النظر هو متساو فيلزم اتحاده وإن اختلفت أجزاؤه، كما ذكر في ذات الإنسان وأنها تختلف نسبه بحسب ما فصلته مشيئة الحق فيه من بين شريف ووضيع، وعالٍ وسافل، وذليل وعزيز، وعظيم الشأن وحقيره، إلى آخر النسب فيه، ولم تخرجه تفرقة النسب عن وحدة ذاتيته، كما أن ذات الإنسان واحدة ووحدتها لا تنافي اختلاف نسب أجزائها واختصاص كل جزء بخاصية، فإن خاصية اليد غير خاصية الرجل وخاصيتها غير خاصية العين وهكذا سائر خواص الأعضاء والأجزاء، وإن ارتفاع وجهه في غاية الشرف وانخفاض محله في غاية الضعة والإهانة، ولم يخرجه عن كون ذاته واحدة مع اختلاف الخواص مثل ما قلنا في ذات الإنسان..

ثم قال رضي الله عنه: وهناك وجه ثالث في إيضاحه وهو اتحاد وجوده من حيث فيضان

= المبارك وسفيان الثوري والليث بن سعد ومالك بن أنس والشافعي وأحمد وأتباعه أنه يمر كما جاء، وكذلك ما شاكل ذلك مما جاء في القرآن أو وردت به السنة، كأحاديث النزول ونحوها وهي طريقة السلامة ومنهج أهل السنة والجماعة يؤمنون بظاهرها ويكلون علمها (أي كيفيتها) إلى الله ويعتقدون أن الله منزه عن سمات الحدث، على ذلك مضت الأئمة خلفاً بعد سلف، كما قال تعالى: ﴿وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به﴾ سورة آل عمران آية ٧» (مجموع الفتاوى ١٦/ ٥٠٩).

الوجود عليه من حضرة الحق فيضاً متحداً، ثم مثاله في الشاهد مثال المداد، فإن الحروف المتفرقة في المداد والكلمات المتنوعة والمعاني المختلفة التي دلت عليها صوره لم تخرجه عن وحدة مداديته، فإنه ما ثم إلا المداد تصور في أشكاله الدالة على المعاني المختلفة والحروف المتفرقة والخواص المتنوعة غير المؤتلفة ولا المتماثلة، فإنك إذا نظرت إلى عين تلك الصور التي اختلفت حروفها وكلماتها لم تر إلا المداد تجلى في أشكالها بما هو عين المداد فتتحد بالمدادية وتختلف بالصور والأشكال والكلمات والمعاني، فكما أن المداد في تلك الحروف عين تلك الحروف، والحروف في ذلك المداد عين ذلك المداد، وهي مختلفة الأشكال والأسرار والخواص والمعاني، كذلك نهاية الوجود في ذوات الوجود عين تلك الذوات، وتلك الذوات في ذلك الوجود عين ذلك الوجود، لم تخرجها عن اختلاف أشكالها وأسرارها ومعانيها وخواصها، ولا افتراقها في هذه الأمور لم يخرجها عن اتحادها في ذلك المداد. ثم قال قدس الله سره العزيز: وقد اتضح الحق لمن فهم والله يقول الحق وهو يهدي السبيل. انتهى من إملائه على محبنا سيدي محمد بن المشري رضي الله عنه»[1].

المناقشة : وتتلخص في أمور:

الأول: إن قياسهم وحدة الوجود على جسم الإنسان قياس مع الفارق، فإن جسم الإنسان بما فيه من أعضاء كاليد والرجل والعين متحد اتحاداً ذاتياً، إذ أن هذه الأعضاء لا ينفصل بعضها عن بعض بخلاف سائر الموجودات في هذا الكون فإن كل موجود مستقل عن الآخر، فإن الإنسان مثلاً منفصل عن الإنسان الآخر، فلا يقول عاقل: إن بينهما اتحاداً ذاتياً. وكذلك الإنسان منفصل عن سائر المخلوقات، فإذا كان هذا الاتحاد الذاتي ممتنعاً بين المخلوق والمخلوق فهو بين الخالق والمخلوق من باب أولى.

قال الشيخ أبو محمد عبدالله بن محمد النوري[2]:

«والدليل على بطلان اتحاد العبد مع الله تعالى أن الاتحاد بين مربوبين محال، فإن رجلين مثلاً لا يصير أحدهما عين الآخر لتباينهما في ذاتيهما كما هو معلوم، فالتباين بين العبد

---

(١) جواهر المعاني ٢/ ٩٨، ٩٩.

(٢) هو أبو محمد عبدالله بن محمد بن أيمن النوري الأصفهندي صاحب كتاب «معيار المريدين» ذكر فيه الفرق التي قالت بالإباحة والاتحاد والتجسيم ورد عليها. (كشف الظنون ٢/ ١٧٤٤) مكتبة المثنى - بيروت.

والرب سبحانه وتعالى أعظم..»[1].

الثاني: قولهم: «اتحاد ذات العالم في كونه مخلوقاً كله للخالق الواحد سبحانه وتعالى وأثراً لأسمائه.. فالأصل الذي برز منه واحد فهو بهذا النظر متساو.. إلخ»[2].

إن أريد به أن الوجود متحد المنشأ والمصدر إذ قد صدر من الله الواحد، فهو متحد في كونه مخلوقاً لله صادراً من عنده فهذا المعنى حق. وإن أريد أنه صدر من الله الواحد فهو وما صدر منه واحد، بمعنى أنهما متحدان ذاتاً، فهذا قول أهل الوحدة وهو قول باطل باتفاق العقلاء من العلماء وغيرهم.

وهذا المعنى هو الذي تدل عليه عبارتهم وسياقهم له في هذا المقام. والله أعلم.

الثالث: وأما تمثيلهم بالمداد فهو كذلك باطل، وبيان ذلك: أن الكلمات وإن اتحدت في كونها كتبت بالمداد واختلفت معانيها وتركيب ألفاظها فليس بينها اتحاد ذاتي، فأنت ترى أن كل كلمة منفصلة عن الأخرى، فكتابتها بمداد واحد لا يعني أنها وحدة واحدة وإنما يدل على أنها تشترك في أصل المادة، وكذا المخلوقات من بني الإنسان مثلاً تشترك بأنها من أصل واحد: ﴿هو الذي خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة﴾[3] ثم هي بعد ذلك تشترك في تركيبها، فكل إنسان مركب من لحم وعظم وعصب ودم..إلخ، ولكن هذا الاشتراك لا يعني أن بينها اتحاداً ذاتياً، بل كل فرد من أفراد الناس منفصل عن الآخر، فهذا القول يكذبه الواقع الحسي المشهود.

الرابع: أن القول بوحدة الوجود مستحيل عقلاً، قال الفخر الرازي: «مسألة: الباري لا يتحد بغيره؛ لأنه حال الاتحاد إن بقيا موجودين فهما اثنان لا واحد، وإن صارا معدومين فلم يتحدا بل حدث ثالث، وإن عدم أحدهما وبقي الآخر فلم يتحدا؛ لأن المعدوم لا يتحد؛ بالموجود»[4].

الخامس: أن هذا القول كما أنه مستحيل عقلاً فإنه مناقض للفطر والشرائع، إذ يلزم عليه

---

(١) الحاوي للفتاوي للسيوطي ٢/ ٢٤٢، ٢٤٣ نقلاً عن معيار المريدين.

(٢) انظر ص٩٠ من كتابنا هذا.

(٣) سورة غافر آية ٦٧.

(٤) محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين للفخر الرازي ص١١٢ الطبعة الأولى المطبعة الحسينية المصرية.

محاذير كثيرة لا يقرها شرع ولا عقل ولا عرف فهو تخييلات وأوهام في عالم الضمير لا يمكن تطبيقها في واقع الناس، ومن هذه المحاذير:

○ أنه لو كان الوجود وحدة واحدة وأن الخالق عين المخلوق لما كان لأوامر الشريعة ونواهيها معنى، إذ الآمر هو المأمور وهو الأمر الذي أمر به، وهذا لا يقول به من له أدنى مسكة من عقل[١].

○ أن في هذا القول إنكاراً لأن يكون الله خلق شيئاً من هذه المخلوقات؛ لأنها ليست سواه، فالخالق عين المخلوق والمخلوق عين الخالق وممن الممتنع أن يكون خالقاً لنفسه؛ لأن الشيء لا يخلق نفسه، قال تعالى متحدياً الكفار: ﴿أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون﴾[٢].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وعند هؤلاء الكفار الملاحدة الفرعونية أنه ما ثم شيء يكون الرب قد خلقه وبرأه أو أبدعه إلا نفسه المقدسة، ونفسه المقدسة لا تكون مخلوقة مربوبة مصنوعة مبروءة؛ لامتناع ذلك في بداءة العقول، وذلك من أظهر الكفر عند جميع الملل»[٣].

○ ويلزم على هذا القول ألا يكون الله رب العالمين ولا مالك الملك؛ لأنه لا يكون رب نفسه ولا يكون مالكاً مملوكاً إذ ليس هناك أحد سواه.

○ كما يلزم منه أنه لم يرزق أحداً شيئاً ولا هدى أحداً ولا علم أحداً علماً فلم يصل إلى أحد منه خير ولا شر، إذ هو الرزاق المرزوق والهادي المهدي والعالم المعلم إذ ليس في الوجود سواه[٤].

○ أن الله هو الذي يصوم ويقوم ويركع ويسجد ويموت وتصيبه الأمراض وتتسلط عليه الأعداء، ويكون - تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً - هو الموصوف بكل نقص وعيب، إذ ليس في الوجود أحد سواه يتصف بهذه النقائص والعيوب[٥].

○ كما يلزم منه أن الذين عبدوا الأصنام لم يعبدوا غير الله إذ ليس في الوجود سواه، وقد

---

(١) (الله ذاتاً وموضوعاً) عبدالكريم الخطيب ص٢١٩ الطبعة الثانية.

(٢) سورة الطور آية: ٣٥.

(٣) مجموعة الرسائل والمسائل، القسم الثاني ١٣٣ الطبعة الأولى، مطبعة المنار.

(٤) التفسير القيم لابن القيم ٥١ مطبعة السنة المحمدية.

(٥) مجموعة الرسائل والمسائل، القسم الثاني ١٣٥.

صرح التجانيون بذلك[1].

○ كما يلزم منه تصحيح دعوى من ادَّعى الألوهية من البشر كفرعون والدجال المنتظر[2].

○ أن كل عابد للشيطان أو لهواه هو عابد لله ـ والعياذ بالله ـ إذ ليس الشيطان شيئاً سوى الرحمن، فالمتبعون للشياطين من الكفرة والملحدين هم من المطيعين لله، والله سبحانه وتعالى يقول: ﴿ألم أعهد إليكم يا بني آدم ألا تعبدوا الشيطان إنه لكم عدو مبين. وأن اعبدوني هذا صراط مستقيم﴾[3] وقال إبراهيم لأبيه: ﴿يا أبت لا تعبد الشيطان إن الشيطان كان للرحمن عصياً﴾[4][5].

○ أن يلزم من هذا القول أن تكون الكلاب والحمير والخنازير آلهة تعبد، إذ ليس في الوجود أحد سوى الله[6]، تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً.

مذهب أهل السنة والجماعة وحكم من آمن بوحدة الوجود :

ذهب أهل السنة والجماعة إلى أن الله سبحانه وتعالى بائن من خلقه لا يشبهه شيء من مخلوقاته، متصف بصفات الكمال، فله الأسماء الحسنى والصفات العلى ﴿ليس كمثله شيء وهو السميع البصير﴾[7] فهو المنفرد بالجلال، المتصف بصفات الكمال، المنزه عن النقائص والعيوب. فمن اعتقد أن الله متحد بمخلوقاته، وأن العبد عين الرب والرب عين العبد فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ وخالف الفطر والشرائع، وقد كفر الله تعالى النصارى الذين قالوا: إن الله اتحد بعيسى عليه السلام، فقال سبحانه: ﴿لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم﴾[8] فكيف بمن يقول: إن الله متحد مع جميع مخلوقاته؟

---

(١) جواهر المعاني ١/ ١٨٤، ١٨٥ انظر ص٩٥ من هذا الكتاب.

(٢) مجموعة الرسائل والمسائل القسم الثاني: ١٤٧.

(٣) سورة يس آية: ٦٠، ٦١.

(٤) سورة مريم آية: ٤٤.

(٥) مجموعة الرسائل والمسائل، القسم الثاني ١٤١.

(٦) (الله ذاتاً وموضوعاً) ٢٠٥.

(٧) سورة الشورى آية ١١.

(٨) سورة المائدة آية ١٧، ٧٢.

وسأذكر فيما يلي بعض ما قاله علماء الأمة في الإنكار على من قال بذلك وأنه كافر بالله خارج عن ملة الإسلام:

١ ـ قال شيخ الإسلام ابن تيمية بعد أن تحدَّث عن وحدة الوجود وغيرها من المقالات المنحرفة :

«.. فهذه المقالات وأمثالها من أعظم الباطل، وقد نبهنا على بعض ما به يعرف معناها وأنه باطل، والواجب إنكارها فإن إنكار هذا المنكر الساري في كثير من المسلمين أولى من إنكار دين اليهود والنصارى الذي لا يضل به المسلمون، لاسيما وأقوال هؤلاء شر من أقوال اليهود والنصارى وفرعون، ومن عرف معناها واعتقدها كان من المنافقين الذين أمر الله بجهادهم بقوله تعالى: ﴿جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم﴾[١] والنفاق إذا عظم كان صاحبه شراً من كفار أهل الكتاب وكان في الدرك الأسفل من النار..»[٢].

وقال في موضع آخر: «والسلف والأئمة كفروا الجهمية لما قالوا: إنه في كل مكان، وكان مما أنكروه عليهم أنه كيف يكون في البطون والحشوش والأخلية ـ تعالى الله عن ذلك ـ فكيف بمن يجعله نفس وجود البطون والحشوش والأخلية والنجاسات والأقذار؟»[٣].

وقال.. في حكم من قال هذه المقالة: «فهذا كله كفر باطناً وظاهراً بإجماع كل مسلم، ومن شك في كفر هؤلاء بعد معرفته قولهم ومعرفة دين الإسلام فهو كافر كمن يشك في كفر اليهود والنصارى والمشركين»[٤].

٢ ـ وحكى القاضي عياض الإجماع على كفر من ادّعى مجالسة الله والعروج إليه ومكالمته أو حلوله في أحد من الأشخاص، كقول بعض المتصوفة والباطنية والنصارى والقرامطة[٥].

٣ ـ وقال الشيخ أبو محمد عبدالله بن محمد النوري:

«أصل الاتحاد باطل محال مردود شرعاً وعقلاً وعرفاً بإجماع الأنبياء والأولياء ومشايخ

---

(١) سورة التحريم آية ٩.

(٢) مجموع الفتاوى ٢/ ٢٩٥، ٣٦٠.

(٣) مجموع الفتاوى ٢/ ١٢٦.

(٤) مجموع الفتاوى ٢/ ٣٦٨.

(٥) الشفاء بتعريف حقوق المصطفى ﷺ ٢/ ٢٤٥ بتصرف، مطبعة مصطفى الحلبي.

الصوفية وسائر العلماء والمسلمين، وليس هذا مذهب الصوفية[1] وإنما قاله طائفة غلاة؛ لقلة علمهم وسوء حظهم من الله تعالى، فشابهوا بهذا القول النصارى الذين قالوا في عيسى عليه السلام: «اتحد ناسوته بلاهوته»، وأما من حفظ الله بالعناية فإنهم لم يعتقدوا اتحاداً ولا حلولاً، وإن وقع منهم لفظ الاتحاد فإنما يريدون به محو أنفسهم وإثبات الحق سبحانه»[2].

٤ ـ وقال الإمام أبو الحسن الماوردي[3] في الرد على بعض النصارى: «القائل بالحلول والاتحاد ليس من المسلمين بالشريعة بل في الظاهر والتسمية، ولا ينفع التنزيه مع القول بالاتحاد والحلول فإن دعوى التنزيه مع ذلك إلحاد..»[4].

وقال الشيخ كمال الدين المراغي: «اجتمعت بالشيخ أبي العباس المرسي[5] تلميذ أبي الحسن الشاذلي، وفاوضته في هؤلاء الاتحادية، فوجدته شديد الإنكار عليهم والنهي عن طريقهم، وقال: «أتكون الصنعة هي الصانع؟»[6] اهـ.

---

(١) أي: وليس هذا مذهب الصوفية المعتدلين.

(٢) الحاوي للفتاوي للسيوطي ٢/ ٢٤٢، ٢٤٣ عن «معيار المريدين».

(٣) هو علي بن محمد بن حبيب أبو الحسن الماوردي، ولد في البصرة سنة ٣٦٤هـ ثم انتقل إلى بغداد، نسبته إلى بيع ماء الورد، من كتبه: «أدب الدين والدنيا» و«الأحكام السلطانية»، و«الحاوي في فقه الشافعية» توفي ببغداد سنة ٤٥٠هـ، الأعلام ٥/ ١٤٦.

(٤) الحاوي للفتاوى ٢/ ٢٤٠.

(٥) هو أحمد بن عمر المرسي أبو العباس شهاب الدين، فقيه متصوف من مرسية في الأندلس، توفي سنة ٦٨٦هـ، الأعلام ١/ ١٧٩.

(٦) الحاوي للفتاوي ٢/ ٢٤٤.

الفصل الثاني
إيمانهم بالفناء (وحدة الشهود)

ذكر بعض النصوص التي تبين إيمانهم بالفناء :

قال في جواهر المعاني: «اعلم أن سيدنا رضي الله عنه سئل عن حقيقة الشيخ الواصل ما هو؟فأجاب رضي الله عنه بقوله: وأما ما هو حقيقة الشيخ الواصل فهو الذي رفعت له جميع الحجب عن كمال النظر إلى الحضرة الإلهية نظراً عينياً وتحقيقاً يقينياً، فإن الأمر أوله محاضرة وهو مطالعة الحقائق من وراء ستر كثيف، ثم مكاشفة وهو مطالعة الحقائق من وراء ستر رقيق، ثم مشاهدة وهو تجلي الحقائق بلا حجاب ولكن مع خصوصية، ثم معاينة وهو مطالعة الحقائق بلا حجاب ولا خصوصية ولا بقاء للغير والغيرية عيناً وأثراً، وهو مقام السحق والمحق والدك وفناء الفناء، فليس هذا إلا معاينة الحق في الحق للحق بالحق.

«فلم يبق إلا الله لا شيء غيره ... فلا ثَمَّ موصول ولا ثَمَّ واصل»[1].

وقال أيضاً: «.. ومتى وصل إلى محبة الذات أعني أنه يشم رائحة منها فقط، انتقل إلى الفناء مرتبة بعد مرتبة ، فيكون أمره أولاً ذهولاً عن الأكوان، ثم سكراً ثم غيبة وفناء مع شعوره بالفناء، ثم إلى فناء الفناء وهو أنه لم يحس بشيء شعوراً وحساً واعتباراً، وغاب عقله ووهمه وانسحق عدده وكمه ، فلم يبق إلا الحق بالحق للحق في الحق، وهو مقام الفتح والبداية يعني بداية المعرفة، وصاحبه إذا أفاق من سكرته يأخذ في الترقي والصعود في المقامات إلى أبد الآباد بلا نهاية»[2].

وقال أيضاً.. «فإن الحضرة القدسية في غاية الصفا لا تقبل التلويث بوجه من الوجوه، فإن من دخلها غاب عنه الوجود كله فلم يبق إلا الألوهية المحضة، حتى نفسه تغيب عنه، ففي هذه الحال لا نطق للعبد ولا عقل ولا هم ولا حركة ولا سكون ولا رسم ولا كيف ولا أين ولا حد ولا علم، فلو نطق العبد في هذا الحال لقال: لا إله إلا أنا سبحاني ما أعظم شأني؛ لأنه مترجم عن

---

(١) جواهر المعاني ١/ ١٦٠.

(٢) جواهر المعاني ١/ ١٩١، جواهر المعاني ٢/ ٦.

الصوفية وسائر العلماء والمسلمين، وليس هذا مذهب الصوفية[1] وإنما قاله طائفة غلاة؛ لقلة علمهم وسوء حظهم من الله تعالى، فشابهوا بهذا القول النصارى الذين قالوا في عيسى عليه السلام: «اتحد ناسوته بلاهوته»، وأما من حفظ الله بالعناية فإنهم لم يعتقدوا اتحاداً ولا حلولاً، وإن وقع منهم لفظ الاتحاد فإنما يريدون به محو أنفسهم وإثبات الحق سبحانه»[2].

٤ ـ وقال الإمام أبو الحسن الماوردي[3] في الرد على بعض النصارى: «القائل بالحلول والاتحاد ليس من المسلمين بالشريعة بل في الظاهر والتسمية، ولا ينفع التنزيه مع القول بالاتحاد والحلول فإن دعوى التنزيه مع ذلك إلحاد..»[4].

وقال الشيخ كمال الدين المراغي: «اجتمعت بالشيخ أبي العباس المرسي[5] تلميذ أبي الحسن الشاذلي، وفاوضته في هؤلاء الاتحادية، فوجدته شديد الإنكار عليهم والنهي عن طريقهم، وقال: «أتكون الصنعة هي الصانع؟»[6] اهـ.

---

(١) أي: وليس هذا مذهب الصوفية المعتدلين.

(٢) الحاوي للفتاوي للسيوطي ٢/ ٢٤٢، ٢٤٣ عن «معيار المريدين».

(٣) هو علي بن محمد بن حبيب أبو الحسن الماوردي، ولد في البصرة سنة ٣٦٤هـ ثم انتقل إلى بغداد، نسبته إلى بيع ماء الورد، من كتبه: «أدب الدين والدنيا» و«الأحكام السلطانية»، و«الحاوي في فقه الشافعية» توفي ببغداد سنة ٤٥٠هـ، الأعلام ٥/ ١٤٦.

(٤) الحاوي للفتاوى ٢/ ٢٤٠.

(٥) هو أحمد بن عمر المرسي أبو العباس شهاب الدين، فقيه متصوف من مرسية في الأندلس، توفي سنة ٦٨٦هـ، الأعلام ١/ ١٧٩.

(٦) الحاوي للفتاوي ٢/ ٢٤٤.

الفصل الثاني
إيمانهم بالفناء (وحدة الشهود)

ذكر بعض النصوص التي تبين إيمانهم بالفناء :

قال في جواهر المعاني: «اعلم أن سيدنا رضي الله عنه سئل عن حقيقة الشيخ الواصل ما هو؟ فأجاب رضي الله عنه بقوله: وأما ما هو حقيقة الشيخ الواصل فهو الذي رفعت له جميع الحجب عن كمال النظر إلى الحضرة الإلهية نظراً عينياً وتحقيقاً يقينياً، فإن الأمر أوله محاضرة وهو مطالعة الحقائق من وراء ستر كثيف، ثم مكاشفة وهو مطالعة الحقائق من وراء ستر رقيق، ثم مشاهدة وهو تجلي الحقائق بلا حجاب ولكن مع خصوصية، ثم معاينة وهو مطالعة الحقائق بلا حجاب ولا خصوصية ولا بقاء للغير والغيرية عيناً وأثراً، وهو مقام السحق والمحق والدك وفناء الفناء، فليس هذا إلا معاينة الحق في الحق للحق بالحق.

«فلم يبق إلا الله لا شيء غيره فلا ثَمَّ موصول ولا ثَمَّ واصل»[1].

وقال أيضاً: «.. ومتى وصل إلى محبة الذات أعني أنه يشم رائحة منها فقط، انتقل إلى الفناء مرتبة بعد مرتبة ، فيكون أمره أولاً ذهولاً عن الأكوان، ثم سكراً ثم غيبة وفناء مع شعوره بالفناء، ثم إلى فناء الفناء وهو أنه لم يحس بشيء شعوراً وحساً واعتباراً، وغاب عقله ووهمه وانسحق عدده وكمه ، فلم يبق إلا الحق بالحق للحق في الحق، وهو مقام الفتح والبداية يعني بداية المعرفة، وصاحبه إذا أفاق من سكرته يأخذ في الترقي والصعود في المقامات إلى أبد الآباد بلا نهاية»[2].

وقال أيضاً.. «فإن الحضرة القدسية في غاية الصفا لا تقبل التلويث بوجه من الوجوه، فإن من دخلها غاب عنه الوجود كله فلم يبق إلا الألوهية المحضة، حتى نفسه تغيب عنه، ففي هذه الحال لا نطق للعبد ولا عقل ولا هم ولا حركة ولا سكون ولا رسم ولا كيف ولا أين ولا حد ولا علم، فلو نطق العبد في هذا الحال لقال: لا إله إلا أنا سبحاني ما أعظم شأني؛ لأنه مترجم عن

---

(١) جواهر المعاني ١/ ١٦٠.

(٢) جواهر المعاني ١/ ١٩١، جواهر المعاني ٢/ ٦.

الله عز وجل»[1].

والفناء في ذات الله عندهم ليس لكل العارفين وليس في كل الأوقات، فهو فناء خاص مؤقت[2].

الأدلة والمناقشة :

وقد استدلوا بدليلين من السنة هما:

الدليل الأول :

قال في الجواهر: «.. ثم يتجاوز ذلك إلى مرتبة أعلى منها وهي شهود الذات العلية والغيبية فيها ويقول: شهوده الصفات حجاب عن شهود الذات، وكثيراً ما يتكلم في هذا المعنى وفي البقاء بعد الفناء ومحو أوصاف العبد بظهور أوصاف ربه فيه، ويستشهد بالحديث الذي رواه البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله قال: من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إليَّ عبدي بشيء أحب إليَّ مما افترضته عليه، وما يزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها..[3][4]» الحديث.

المناقشة :

١ ـ إن تفسير الحديث بهذا المعنى لم يقل به إلا بعض غلاة الصوفية، وقد وصفهم الحافظ ابن حجر العسقلاني في فتح الباري من جراء ذلك بالزيغ فقال: «وحمله بعض أهل الزيغ على ما يدعونه من أن العبد إذا لازم العبادة الظاهرة والباطنة حتى يصفى من الكدورات، أنه يصير في معنى الحق ـ تعالى الله عن ذلك ـ وأنه يفنى عن نفسه جملة حتى يشهد أن الله هو الذاكر لنفسه الموحد لنفسه المحب لنفسه، وأن هذه الأسباب والرسوم تصير عدماً صرفاً في شهوده وإن لم تعدم في الخارج»[5].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية في رد هذا المعنى: «وهذا اتفاق واتحاد في المحبوب

---

(١) جواهر المعاني ٢/ ١٩، ٢٠.

(٢) الدرة الخريدة ١/ ٤٦.

(٣) جواهر المعاني ١/ ١١٨، ١١٩، جواهر المعاني ٢/ ٦، ١٤.

(٤) رواه البخاري، صحيح البخاري المطبوع مع شرحه فتح الباري ١١/ ٣٤٠، ٣٤١.

(٥) فتح الباري ١١/ ٣٤٤.

المرضي المأمور به والمبغض المكروه المنهي عنـه، وقد يقال له: اتحاد نـوعي وصفي، وليس ذلك اتحاد الذاتيـن فإن ذلك محال ممتنع، والقائل به كـافر، وهو قول النصارى والغـالية من الرافضة والنساك كالحلاجية ونحوهم وهو الاتحاد المقيد «في شيء بعينه»[1].

٢ ـ إن في قولـه في نهاية الحديث: «وإن سألني لأعطينه ولئن استعـاذ بي لأعيذنه»[2] رداً عليهم فأثبت سبحـانه وتعالى سائلاً ومعطي، وأثبـت مستعيذاً ومستعاذاً به. قـال ابن حجر في الفتح: «وعلى الأوجه كلها فلا متمسك فيه للاتحاديـة ولا القائلين بالوحدة المطلقة؛ لقوله في بقية الحديث: «وإن سألني» «ولئن استعاذ بي» فإنه كالصريح في الرد عليهم»[3] اهـ.

٣ ـ إن الحـديث مخصوص بحال معين بـالسمع والبصر واليد والـرجل، والقائلون بـالفناء يجعلون المخلوق عين الخالق في كل شيء لا في هذه الأربعة وحدها[4].

٤ ـ إن معنى الحديث هـو ما أشار إليه شيخ الإسلام ابن تيمية حيـث قال: «والحديث حق كما أخبـر به النبي ﷺ، فإن وليّ الله لكمـال محبته وطاعتـه لله يبقى إدراكه لله وبـالله، وعمله لله وبالله، فمـا يسمعه مما يحبـه الحق أحبه، وما يسمعـه مما يبغضه الحـق أبغضه، وما يـراه مما يحبه الحق أحبـه، وما يراه مما يبغضـه الحق أبغضه. فوليّ الله فيـه من الموافقة لله ما يتحـد به المحبوب والمكروه والمأمور والمنهي ونحو ذلك، فيبقـى محبوب الحق محبوبه، ومكروه الحق مكروهه، ومأمور الحق مأموره، وولي الحق وليه، وعدو الحق عدوه..»[5].

الدليل الثاني:

قال في الجـواهر: «.. وفي هذا المعنى ينمحـق الذاكر والذكـر ويصير في حالـة إذ لو نطق لقال: أنـا الله لا إله إلا أنـا وحدي.. لاستهـلاكه فـي بحار التـوحيد، وهـذه المرتبـة آخر الـذكر وصاحبها صامت لا يذكر ولا يتحرك، وإليه يشير بقوله ﷺ: «من عرف الله كلّ لسانه»[6].

---

(١) مجموع الفتاوى ١٠/ ٥٩.

(٢) صحيح البخاري المطبوع مع شرحه فتح الباري ١١/ ٣٤١.

(٣) فتح الباري ١١/ ٣٤٤، ٣٤٥.

(٤) مجموع الفتاوى ٢/ ٣٤١.

(٥) مجموع الفتاوى ٢/ ٣٧٣، وانظر مجموع الفتاوى ٢/ ٣٤٠، ومجموع الفتاوى ١٠/ ٧٥٤.

(٦) جواهر المعاني ٢/ ٢٥٧.

المناقشة :

١ ـ إن هـذا الحديث قـال فيه الإمام النـووي: إنه ليس بثـابت[1]، واعتمد على ذلـك ملاّ علي القاري في كتابه: «المصنوع، في معرفة الحديث الموضوع» وما كان كذلك فلا يحتج به.

٢ ـ وعلى تقـدير ثبوت الحديث فإن معنـاه: أن من عرف الله حق المعرفة كلّ وتعـب لسانه من ذكره تعالى؛ لعلمه أنـه مهما ذكر الله فإنه لا يوفيه حق نعمته عليـه، فليس فيه دليل على فناء العارف في ذات الله بوجه من الوجوه. ويشهـد لهذا المعنى ما ورد عن النبي ﷺ أنه كان يقول: «اللهم إني أعوذ بـرضاك من سخطك، وبمعافـاتك من عقوبتك، وأعـوذ بك منك، لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك»[2].

٣ ـ إن القول بفناء العارف في ذات الله قول واضح البطلان أنكره علماء السلف والخلف، بل لقـد أنكره بعض علماء الصـوفية. قـال أبو نصر السـراج: «أما القوم الـذين غلطوا فـي فناء البشرية سمعـوا كلام المحققين في الفناء فظنـوا أنه فناء البشريـة فوقعوا في الوسـوسة، فمنهم من تـرك الطعام والشراب وتـوهم أن البشريـة هي القالب والجثة إذا ضعفت زالت بشـريتها، فيجوز أن يكون موصوفاً بصفات الإلهية، ولم تحسن هذه الفرقة الجاهلـة الضالة أن تفرق بين البشرية وأخلاق البشرية ؛لأن البشرية لا تـزول عن البشر، كما أن لون السواد لا يزول عن الأسود ولا لـون البياض عن الأبيـض، وأخلاق البشـريـة تبدل وتغيـر بما يـرد عليهـا من سلطان أنـوار الحقائق، وصفات البشرية ليست هي عين البشرية»[3].

وقال الهجويري: «وقد أخطأت جماعـة في هذا المعنى وهم يظنون أن الفناء بمعنى فقدان الذات وانعدام الشخص، وأن البقاء هو أن يلحق بقاء الحق بالعبد، وهذان كلاهما محال.. ثم قال: ويعتقد كثيـر من جهلة هذه الطـائفة بفناء الكلية وهـذه مكابرة واضحة؛ لأنـه لا يجوز أبداً فناء الأجزاء الطينية وانقطاعها»[4].

---

(١) المصنوع فـي معرفة الحـديث الموضـوع ١٥٤، الطبعة الأولى تحقيق عبـدالفتاح أبو غـدة، وقد ذكـر فيه بلفظ: «من عرف ربه كلّ لسانه».

(٢) رواه مسلم في صحيحه المطبوع مع شرح النووي ٤/ ٢٠٣.

(٣) اللمع لأبي نصر السراج ٥٤٣.

(٤) كشف المحجوب ٢/ ٤٨٢، ٤٨٣.

قول أهل السنة والجماعة في الفناء الذي يدعيه المتصوفة وحكمه :

لم يـرد مدح لفظ «الفنـاء» في الكتـاب والسنة ولا في كـلام الصحابـة والتابعيـن، ولا ذكره مشايخ الصوفيـة المتقدمون بمدح ولا ذم[1]. وهذا اللفظ لا يقبل مطلقاً ولا يـردّ مطلقاً بل لابد فيه من تفصيل:

١ ـ فإن أريد بـالفناء الفناء عن عبادة السوى بمعنى صرف العبـادة لله وحده دون من سواه فهذا المعنى حق، وهو معنى كلمة الإخلاص «لا إله إلا الله» ولا يقوم الدين إلا به.

٢ ـ وإن أريد به الفناء عن وجود السوى فليس هناك مـوجود إلا الله وهو ما يعبر عنه «بوحدة الوجود»، فهذا المعنى بـاطل، ولاشك أن القول به من أعظم الكفر، كما سبـق بيانه في الفصل السابق[2].

وإن أريد به الفناء في ذات الله، بحيث يفنى العارف في ذات الله وهـو ما يعبر عنه بالاتحاد في معين.

فهذا القـول من جنس قول النصـارى في عيسى عليه السـلام، وهو مردود حتى عنـد بعض الصوفية كأبي نصـر السراج والهجويري[3] .. ولاشك أن هذا القول كفر بـالله تعالى، قال شيخ الإسلام ابـن تيمية: «وأما النـوع الثاني فهـو من يقـول بالحلول والاتحـاد في معين كـالنصارى الذيـن قالوا بـذلك في المسيح عليه السـلام، والغاليـة الذين يقولـون بذلك في علـي بن أبي طالب وطـائفة من أهل بيتـه، والحاكمية الذين يقـولون بذلك فـي الحاكم، والحلاجيـة الذين يقولـون بذلك فـي الحلاج.. ومن هؤلاء مـن يقول بذلـك في بعض النسوان والمـردان وبعض الملوك وغيرهـم، فهؤلاء كفرهـم شر من كفر النصـارى الذين قالوا : إن الله هو المسيح ابن مريم. ثم قـال:.. وأقوال هـؤلاء شر من أقـوال النصارى، وفيهـا من التناقض مـن جنس ما فـي أقوال النصارى، ولهذا يقولـون بالحلول تارة وبالاتحاد أخـرى وبالوحدة تارة، فإنـه مذهب متناقض في نفسه ولهذا يلبسون على من لم يفهمه»[4].

٣ ـ وإن أريـد بالفنـاء: الفناء عن شهـود السوى وهو المـرادف للسكر والغيبـة، كأن تغلب

---

(١) مدارج السالكين ٣/ ٣٧٧ مطبعة السنة المحمدية.

(٢) ص٩٣ وما بعدها.

(٣) ص١٠٠.

(٤) مجموع الفتاوى ٢/ ٣٦٧، ٣٦٨.

عليه شدة الوجد والمحبة فيكون بمنزلة السكران والمغمى عليه فهذا لابد فيه من تفصيل:

فإن كان هذا الفناء بسبب من عند نفسه بمعنى أنه سعى للوصول إليه فهو مؤاخذ غير معذور؛ لأن هذه الحالة قد تستمر معه وقتاً فتؤدي إلى تأخير الصلوات عن وقتها والانصراف عن أداء الواجبات؛ لأنه في هذه الحال لاشعور له فلا تصح منه عبادة.

وإن كان هذا الفناء بسبب لا من عند نفسه بحيث غلبه داعي المحبة والوجد فسكر، لضعف نفسه وقوة الوارد عليه فهو غير مؤاخذ لقوله تعالى: ﴿لا يكلف الله نفساً إلا وسعها﴾[1] ولقوله ﷺ: «إن الله تجاوز عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه»[2].

«ثم إنه إن تكلم في هذه الحال فهو غير مؤاخذ بما يتكلم به، بل ما ورد عنه في هذه الحال يطوى ولا يروى ولا يؤدى[3] فهو بمثابة النائم والمغمى عليه»[4].

ثم إن أهل السنة والجماعة لا يرون أن حال الفناء حال كمال بل حال البقاء أفضل منها وأكمل؛ لأن هذا الفناء لم يكن لنبينا محمد ﷺ ولا لأحد من الصحابة، فلو كان هذا الفناء كمالاً لكانوا أحق به[5].

قال ابن القيم: «والذي لا ريب فيه أن البقاء في الذكر أكمل من الفناء فيه والغيبة به، والفناء كاسمه الفناء، والبقاء بقاء كاسمه، «والفناء» مطلوب لغيره، «والبقاء» مطلوب لنفسه. «والفناء» وصف العبد «والبقاء» وصف الرب، و«الفناء» عدم و«البقاء» وجود، «والفناء» نفي «والبقاء إثبات»، والسلوك على درب الفناء مخطر، وكم به من مفازة ومهلكة! والسلوك على درب البقاء آمن، فإنه درب عليه الأعلام والهداة والخفراء»[6].

---

(١) سورة البقرة، آية: ٢٨٦.

(٢) رواه ابن ماجه (سنن ابن ماجه: ٦٥٩) تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي ورواه الطبراني في الكبير والحاكم في المستدرك وقال السيوطي: حديث صحيح (الجامع الصغير ١/ ٦٨، ٦٩ ـ ط الحلبي).

(٣) مجموع الفتاوى ٢/ ٤٦١.

(٤) مجموع الفتاوى ٢/ ٣١٣، ٣١٤، ٣٧٠، ٤٦١، ومدارج السالكين ١/ ١٥٥، ١٥٧، مقدمة ابن خلدون ص٤٧٥ الطبعة الرابعة.

(٥) مدارج السالكين ١/ ١٥٧، ١٥٨.

(٦) مدارج السالكين ٢/ ٤٣٧.

الفصل الثالث
إيمانهم بأن بعض الأنبياء والمشايخ يعلمون الغيب

ذكر بعض النصوص التي تبين إيمانهم بذلك :

يعتقد التجانيون أن مشايخهم يعلمون الغيب من محمد ﷺ، وهذه العقيدة مبثوثة في كتب التجانيين، وسنذكر فيما يلي بعض النصوص التي تبين إيمانهم بذلك:

قال في الجواهر: «.. ومن كماله رضي الله عنه ونفوذ بصيرته الربانية وفراسته النورانية التي ظهر مقتضاها في معرفة أحوال الأصحاب، وفي غيرها من إظهار مضمرات، وإخبار بمغيبات، وعلم بعواقب الحاجات، وما يترتب عليها من المصالح والآفات، وغير ذلك من الأمور الواقعات»[1].

وقال في رماح حزب الرحيم: «... وينبغي على المريد أن يعتقد في شيخه أنه يرى أحواله كلها كما يرى الأشياء في الزجاجة»[2].

وقال في بغية المستفيد: «وأما مكاشفته رضي الله عنه، بمعنى إخباره بالأمر قبل وقوعه فيقع وفق ما أخبر به، فلايكاد ينحصر ما حدث به الثقات عنه رضي الله عنه.. ومن إخباره بالغيب عن طريق كشفه رضي الله عنه إخباره بأمور لم تقع إلا بعد وفاته إما بالتصريح أو بالتلويح»[3].

وقال في الدرة الخريدة: «.. قلت: لامانع من كونه تعالى يطلع على غيبه بعض أصفيائه كما قال تعالى: ﴿فلا يظهر على غيبه أحداً إلا من ارتضى من رسول﴾، يعني: أو وليّ كما قال بعض العارفين، والصحيح أنه لم ينقل من هذه الدار حتى أطلعه الله على مفاتح الغيب، فلتكن بعض خواص أمته كذلك بطريق الوراثة المحمدية.. ثم قال: ومن كلام بعض العارفين: صدور الأحرار قبور الأسرار.

ومستخبر عن سر ليلى رددته بعمياء من ليلى بغير يقينِ

---

(١) جواهر المعاني ١/ ٦٣.

(٢) رماح حزب الرحيم في نحور حزب الرجيم ١/ ٢٨.

(٣) بغية المستفيد ٢٤٦، ٢٤٧.

يقولون خبرنا فأنت أمينهـــا   وما أنا إن خبـرتهـم بأمين[1] »

الأدلـــة والمناقشــــة :

يستدلون علـى أن الأولياء يعلمون الغيب بقوله تعـالى: ﴿عالم الغيب فلا يظهـر على غيبه أحداً إلا من ارتضى من رسول...﴾[2] الآية.

قال فـي جواهر المعـاني: «.. وبقي الطـريق الرابع وهـو ما يقذفـه الله في قلب العبـد بغير حاسة ولا واسطة ولا فكـر ويسمى هذا بالعلم اللدني، فإن هذا العلم غيـر منفي عن الرسول ﷺ ولا عن غيره من النبيين والمرسليـن، يشهد بهذا قوله سبحانه وتعالى: ﴿عـالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً إلا من ارتضى من رسول﴾[3]... الآية، قال المرسي[4]: أو صديق أو ولي»[5].

وقـال في الـدرة الخـريدة بعـد كـلام المـرسي السـابق وهـو قـوله: «أو صـديـق أو ولي»: «والصحيح أنـه لـم ينقل من هـذه الـدار حتى أطلعـه الله علـى مفاتـح الغيب، فلتكـن بعض خواص أمته كذلك بطريق الوراثة المحمدية»[6].

المناقشـــــة :

١ ـ إن هـذا التفسير من المـرسي ـ إن صح عنـه ـ لا دليل عليه، والمصـرح به في الآيـة هو الرسول وحده، والمعنـى أن الله يطلع بعض رسله على ما شاء من أمـور الغيب دون من سواهم، وهذا ما صرح به علماء الصحابة والتابعين ومن بعدهم.

قال ابـن عباس: قولـه: ﴿فلا يظهـر على غيبه أحـداً إلا من ارتضى من رسـول﴾ فأعلم الله سبحانه الرسل مـن الغيب الوحي وأظهرهم عليه بما أوحى إليهم من غيبـه، وما يحكم الله فإنه لا يعلم ذلك غيره.

وقال قتادة: قوله : ﴿عالـم الغيب فلا يظهـر على غيبه أحداً إلا من ارتضى من رسول﴾ فإنه يصطفيهم ويطلعهم على ما شاء من الغيب.

وقال أيضاً: ﴿إلا من ارتضى من رسول﴾ فإنه يظهره من الغيب على ما شاء إذا ارتضاه.

---

(١) الدرة الخريدة ١/ ٢١٩.

(٢، ٣) سورة الجن آية: ٢٦، ٢٧.

(٤) سبق ترجمته انظر ص ٩٦.

(٥) جواهر المعاني ١/ ٢١٨.

(٦) الدرة الخريدة ١/ ٢١٩.

وقال ابن زيد في قوله: ﴿فلا يظهر على غيبه أحداً إلا من ارتضى من رسول﴾ قال: ينزل من غيبه ما شاء على الأنبياء، أنزل على رسوله ﷺ الغيب القرآن[1].

وقال القرطبي: «فالله تعالى عنده علم الغيب وبيده الطرق الموصلة إليه لا يملكها إلا هو، فمن شاء إطلاعه عليها أطلعه، ومن شاء حجبه عنها حجبه، ولا يكون ذلك من إفاضته إلا على رسله بدليل قوله تعالى: ﴿وما كان الله ليطلعكم على الغيب ولكن الله يجتبي من رسله من يشاء﴾[2]وقال: ﴿عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً إلا من ارتضى من رسول﴾[3]».

وبهذا يتبين أن معنى الآية أن الله تعالى عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً إلا من ارتضى من رسله، فإنه ينزل عليهم الكتب ويسن لهم الشرائع كما أنزل على نبينا محمد ﷺ القرآن وعلمه شرائع الدين، فإن ذلك كله كان غيباً في علم الله ثم أوحاه إلى نبينا محمد ﷺ لما ارتضاه رسولاً، فليس هناك أحد من الأولياء والمشايخ قد اطلع على غيب الله ووحيه، بل هو خاص بمن يرتضيه من رسله وأنبيائه.

وقال ابن حجر ـ رضي الله عنه ـ : قوله: ﴿فلا يظهر على غيبه أحداً إلا من ارتضى من رسول﴾، في الآية رد على كل من يدّعي أنه يطلع على ما سيكون من حياة أو موت أو غير ذلك؛ لأنه مكذب للقرآن، وهم أبعد شيء من الارتضاء مع سلب صفة الرسلية عنهم[4]، وبهذا يتبين بطلان هذا التفسير. والله أعلم.

٢ ـ أن ادّعاء علم الغيب مردود بالكتاب والسنة :

الكتـــــاب :

ورد في الكتاب العزيز آيات كثيرة صريحة في نفي علم الغيب عمن سوى الله منها سوى ما سبق:

قوله تعالى: ﴿قل لا يعلم من في السموات والأرض الغيب إلا الله﴾[5].

فهذه الآية صريحة في حصر علم الغيب بالله وحده ونفيه عما سواه، وفي ذلك يقول الإمام

---

(١) تفسير الطبري ٢٩/ ٧٦، ٧٧ دار المعرفة.

(٢) سورة آل عمران، آية ١٧٩.

(٣) تفسير القرطبي ٧/ ٢.

(٤) فتح الباري ١٣/ ٣٦٤، ٣٦٥.

(٥) سورة النمل آية ٦٥.

القرطبي: «فإنه لا يجوز أن ينفي الله سبحانه وتعالى شيئاً عن الخلق ويثبته لنفسه ثم يكون له في ذلك شريك، ألا ترى إلى قوله تعالى: ﴿قل لا يعلم من في السموات والأرض الغيب إلا الله﴾، وقوله: ﴿لا يجليها لوقتها إلا هو﴾، وقوله: ﴿كل شيء هالك إلا وجهه﴾، فكان هذا كله مما استأثر الله بعلمه لا يشركه فيه غيره»[١].

قال تعالى: ﴿فقل إنما الغيب لله فانتظروا إني معكم من المنتظرين﴾[٢].

وقال سبحانه: ﴿ولله غيب السموات والأرض وإليه يرجع الأمر كله﴾[٣].

وقال تعالى: ﴿ولله غيب السموات والأرض﴾[٤].

وقال سبحانه: ﴿قل الله أعلم بما لبثوا له غيب السموات والأرض﴾[٥].

وقال سبحانه: ﴿إن الله عالم غيب السموات والأرض إنه عليم بذات الصدور﴾[٦].

وقال سبحانه: ﴿وما كان الله ليطلعكم على الغيب﴾[٧].

فكل هذه الآيات تدل على اختصاص الله بعلم الغيب وحده دون من سواه، فلا يعلم الغيب ملك مقرب ولا نبي مرسل فكيف بسواهما؟

كما وردت آيات أخرى تنفي عن الرسول محمد ﷺ علم الغيب وكذلك عن سائر الرسل، ومعلوم أنه إذا كان الرسل الذين هم أحب عباد الله إلى الله لا يعلمون الغيب فغيرهم من باب أولى، ومن هذه الآيات:

قوله تعالى لنبيه ﷺ: ﴿قل لا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب﴾[٨].

قال في المنار: «وإذا كان الله تعالى لم يؤت الرسل ما لم يؤت[٩] غيرهم من أسباب التصرف في المخلوقات ومن علم الغيب، وكان كل من التصرف بالقدرة الذاتية وعلم الغيب

---

(١) تفسير القرطبي ٤/ ١٧ الطبعة السابعة.

(٢) سورة يونس آية ٢٠.

(٣) سورة هود آية ١٢٣.

(٤) سورة النحل آية ٧٧.

(٥) سورة الكهف آية ٢٦.

(٦) سورة فاطر آية ٣٨.

(٧) سورة آل عمران آية ١٧٩.

(٨) سورة الأنعام آية ٥٠.

(٩) كذا في الأصل ولعل الصواب: (ولم يؤت..).

خاصاً به عز وجل يستحيل أن يشاركه غيره فيه، فمن أين جاءت دعوى التصرف في الكون وعلم الغيب لمن هم دون الرسل منزلة وكرامة عند الله تعالى من المشايخ المعروفين وغير المعروفين؟»[1].

قال تعالى حكاية عن عيسى عليه السلام: ﴿تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك إنك أنت علام الغيوب﴾[2].

السنـــة :

وقد ورد في السنة أحاديث كثيرة في هذا المعنى:

منها ما روته عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها قالت: «من حدثك أن محمداً رأى ربه فقد كذب، وهو يقول: ﴿لا تدركه الأبصار﴾ ومن حدثك أنه يعلم الغيب فقد كذب، وهو يقول: (لا يعلم الغيب إلا الله)[3]».

فإذا كان محمد بن عبدالله سيد ولد آدم لا يعلم الغيب فلا شك أن غيره من باب أولى كائناً من كان.

وقول مؤلف الدرة الخريدة: «والصحيح أنه لم ينقل من هذه الدار حتى أطلعه الله على مفاتح الغيب فلتكن بعض خواص أمته كذلك بطريق الوراثة المحمدية»[4].

قول لا يحتاج إلى مناقشة؛ لأنه واضح البطلان لمخالفته للكتاب والسنة مخالفة صريحة.

قال الله تعالى: ﴿وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو﴾[5].

روى ابن جرير في تفسيره بسنده عن ابن مسعود قال: «أعطي نبيكم كل شيء إلا مفاتح الغيب».

وعن السدي قال: ﴿مفاتح الغيب﴾ خزائن الغيب[6].

وروى البخاري بسنده عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «مفاتيح الغيب

---

(١) تفسير المنار ٧/ ٤٢٥ دار المعرفة.

(٢) سورة المائدة آية: ١١٦.

(٣) رواه البخاري (صحيح البخاري المطبوع مع شرحه فتح الباري ١٣/ ٣٦١).

(٤) الدرة الخريدة ١/ ٢١٩.

(٥) سورة الأنعام آية: ٥٩.

(٦) تفسير الطبري ٧/ ١٣٦.

خمس لا يعلمها إلا الله: لا يعلم ما تغيض الأرحام إلا الله، ولا يعلم ما في غد إلا الله، ولا يعلم متى يأتي المطر أحد إلا الله، ولا تدري نفس بأي أرض تموت إلا الله، ولا يعلم متى تقوم الساعة إلا الله»[1].

قال الشيخ أبو محمد بن أبي جمرة[2]: «استعار للغيب مفاتيح اقتداء بما نطق به الكتاب العزيز: ﴿وعنده مفاتح الغيب﴾ وليقرب الأمر على السامع؛ لأن أمور الغيب لا يحصيها إلا عالمها، وأقرب الأشياء إلى الاطلاع على ما غاب: الأبواب، والمفاتيح أيسر الأشياء لفتح الباب، فإذا كان أيسر الأشياء لا يعرف موضعها فما فوقها أحرى ألا يعرف» ثم قال: «المراد بنفي العلم عن الغيب الحقيقي، فإن لبعض الغيوب أسباباً قد يستدل بها عليها لكن ليس ذلك حقيقياً»[3].

قلت: والغيب الذي يدعي التجانيون أن مشايخهم يعلمونه هو من الغيب الحقيقي الذي لا يعلمه إلا الله ولا سبيل للبشر إلى معرفته، كما هو واضح من نصوصهم السابقة، كقولهم:

«.. ومن إخباره بالغيب من طريق كشفه رضي الله عنه إخباره بأمور لم تقع إلا بعد وفاته إما بالتصريح أو بالتلويح»[4] ومعلوم أن الأمور التي لم تقع من الغيب الذي لا يعلمه إلا الله وحده. وكادعائهم «أن الشيخ يرى أحوال مريده كما يرى الأشياء في الزجاجة»[5] وكادعائهم أن النبي ﷺ أعطي مفاتح الغيب وأنهم ورثوها منه، مع أن الآية والحديث صريحان في نفي ذلك. نعوذ بالله من الخذلان ونسأل الله لنا ولهم الهداية والتوفيق.

مذهب أهل السنة والجماعة وحكم من ادّعى شيئاً من علم الغيب :

مذهب أهل السنة والجماعة أن الله وحده هو الذي يعلم الغيب دون سواه لا ملك مقرب

---

(١) رواه البخاري (صحيح البخاري مع شرحه فتح الباري ١٣/ ٣٦١).

(٢) هو عبدالله بن سعد بن سعيد بن أبي جمرة الأزدي الأندلسي أبو محمد، من العلماء بالحديث مالكي المذهب، أصله من الأندلس، من كتبه «جمع النهاية» واختصر به صحيح البخاري ويعرف بمختصر ابن أبي جمرة و«بهجة النفوس» شرح جمع النهاية و«المرائي الحسان» في الحديث. توفي بمصر سنة ٦٩٥هـ، الأعلام ٤/ ٢٢١.

(٣) فتح الباري ١٣/ ٣٦٥.

(٤) انظر ص١٠٣.

(٥) انظر ص١٠٣.

ولا نبي مرسل،وأنه يطلع من يرتضيه من رسله على بعض الغيب إذا شاء متى شاء، كما أوحى إلى نبينا محمد ﷺ هذا القرآن وكان غيباً في علم الله.

ثم إن الغيب ينقسم إلى قسمين:

الغيب المطلق :

وهو ما يعلمه الله وحده دون من سواه، فالله كما استأثر بعلم بعض المغيبات فإنه سبحانه وتعالى قد أحاط علماً بجميع المغيبات كما قال تعالى: ﴿قل لا يعلم من في السموات والأرض الغيب إلا الله﴾[1] وهو المقصود عند الإطلاق.

الغيب المقيد :

وهو ما غاب عن بعض المخلوقين دون بعض، كالذي يعلمه الملائكة عن أمر عالمهم ولا يعلمه البشر، وكالذي يعلمه بعض البشر دون بعض، وذلك ما يتوصل إليه بمعرفة الأسباب الموصلة إليه سواء كانت عقلية كالمسائل الرياضية، أو علمية كالمخترعات الحديثة كالهاتف والحاسب الآلي «الكمبيوتر» وغيرها، وكالأمور المختصة بكل شخص من الأمور العادية إذ هي معلومة له غيب عند غيره، وهذا لا يدخل في عموم معنى الغيب الوارد في كتاب الله[2]، ومن ادّعى معرفة شيء من علم الغيب الذي لا يعلمه إلا الله فقد كفر، كما قرر ذلك العلماء المحققون؛ لمخالفته لصريح القرآن والسنة.

ومن ذهب إلى الكهنة والمنجمين الذين يدعون علم الغيب فقد ارتكب كبيرة من كبائر الذنوب لقول النبي ﷺ: «من أتى عرافاً فسأله عن شيء لم تقبل له صلاة أربعين ليلة»[3] وما أخذ من مال على ذلك فهو حرام، وأقوال العلماء في ذلك صريحة وواضحة نذكر جملة منها فيما يلي لبيان هذا الأمر:

قال أبو حيان ـ رحمه الله ـ مشنعاً على هؤلاء المتصوفة في دعوى علم الغيب مع جهالتهم بالأحكام الشرعية عند تفسير قوله تعالى: ﴿وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو﴾[4]: «..ولقد يظهر من هؤلاء المنتسبة إلى الصوف أشياء من ادّعاء علم المغيبات والاطلاع على علم عواقب أتباعهم وأنهم معهم في الجنة مقطوع لهم ولأتباعهم بها، يخبرون بذلك على رؤوس

(١) سورة النمل آية: ٦٥.

(٢) مجموع الفتاوى ١٦/ ١١٠، تفسير المنار ٧/ ٤٢٢.

(٣) رواه مسلم (صحيح مسلم المطبوع مع شرح النووي ١٤/ ٢٢٧) المطبعة المصرية.

(٤) سورة الأنعام آية: ٥٩.

المنابـر ولا ينكر ذلـك أحد، هذا مـع خلوهم عـن العلوم، يوهمـون أنهم يعلمـون الغيب، وفي صحيح مسلم عـن عائشة رضـي الله عنها: «ومن زعم أن محمـداً يخبر بمـا يكون في غـد فقد أعظم علـى الله الفريـة» والله تعالى يقـول: ﴿قل لا يعلـم من في السمـوات والأرض الغيب إلا الله﴾[1].

وقد كثرت هـذه الدعاوى والخرافات في ديـار مصر، وقام بها ناس صبيـان العقول يسمون بالشيوخ عجزوا عن مدارك العقل والنقل وأعياهم طلاب العلوم:

فارتمـوا يدّعـون أمراً عظيمـاً ... لم يكن للخليـل لا والكليـم
بينما المرء منهم في انسفـــال ... أبصر اللوح ما بـه من رقـوم
فجنى العلم منـه غضاً طريـاً ... ودرى ما يكون قبـل الهجـوم
إن عقلي لفي عقال إذا مـــا ... أنا صدقت بافتراء عظيم[2] »

وقال القـرطبي في تكفير مـن ادّعى شيئاً من علـم الغيب: «قال علمـاؤنا: أضاف سبحـانه علم الغيب إلى نفسـه في غير ما آية من كتـابه إلا من اصطفى من عباده (رسله)، فمـن قال إنه ينزل الغيث غداً وجـزم به فهو كافر، أخبر عنـه بأمارة ادعاها أم لا، وكذلك من قـال: إنه يعلـم ما في الرحم فهو كافر، فإن لـم يجزم وقال: إن النـوء ينزل الله به الماء عادة، وإنه سبب الماء عادة، وإنه سبب الماء على ما قدره وسبق في علمه؛ لـم يكفر، إلا أنه يستحب له ألا يتكلم به فإن فيه تشبيهاً بكلمة أهل الكفر جهلاً بلطف حكمته؛ لأنه ينـزل متى شاء مرة بنوء كذا ومرة دون النوء، قال الله تعـالى[3]: «أصبح من عبـادي مؤمن بي وكـافر» (بالكـواكب)».. قال: وأمـا من ادَّعى الكسب في مستقبـل العمر فهو كـافر، أو أخبر عن الكـوائن المجملة أو المفصلة فـي أن تكون قبل أن تكون فلا ريبة في كفره أيضاً»[4].

وقال القـرطبي في حكم اتخاذ المنجمين والـذهاب إليهم وأن من فعل ذلـك فقد ارتكب

---

(١) رواه مسلم (صحيح مسلم المطبوع مـع شرح النووي ٣/ ٩ المطبعة المصرية) ولفظـه في مسلم «وقالت ومن زعم أنه يخبر بما يكون في غد فقـد أعظم على الله الفرية ،والله يقول: ﴿قل لا يعلم من في السموات والأرض الغيب إلا الله﴾.

(٢) البحر المحيط ٤/ ١٤٥، ٤/ ٤٣٦، ٥/ ٩٣ مطابع النصر الحديثة، الرياض.

(٣) أي في الحديث القدسي الذي رواه البخاري (صحيح البخـاري المطبوع مع شرحه فتح الباري ٢/ ٣٣٣) ورواه مسلم (صحيح مسلم مع شرح النووي ٢: ٥٩ـ٦١).

(٤) تفسير القرطبي ٧/ ٢، ٣ دار الكتاب العربي.

من كبائر الذنوب: «قال علماؤنا: وقد انقلبت الأحوال في هذه الأزمان بإتيان المنجمين والكهان لاسيما في الديار المصرية، فقد شاع في رؤسائهم وأتباعهم وأمرائهم اتخاذ المنجمين، بل انخدع كثير من المتسببين للفقه والدين فجاؤوا إلى هؤلاء الكهنة والعرافين فبهرجوا عليهم بالمحال، واستخرجوا منهم الأموال، فحصلوا من أموالهم على السراب والآل، ومن أديانهم على الفساد والضلال، وكل ذلك من الكبائر؛ لقوله عليه السلام[1]: «لم تقبل له صلاة أربعين ليلة» فكيف بمن اتخذهم وأنفق عليهم معتمداً على أقوالهم[2]؟

وقال أبو عمر بن عبدالبر في تحريم أخذ شيء من المال على الكهانة وادعاء علم الغيب، قال: «ومن المكاسب المجمع على تحريمها الربا ومهور البغايا والسحت والرشاوى، وأخذ الأجرة على النياحة والغناء، وعلى الكهانة وادّعاء علم الغيب وأخبار السماء، وعلى الرمز واللعب والباطل كله»[3].

ومن مجموع هذه الأقوال يتبين أن من ادّعى شيئاً من علم الغيب فقد كفر، وأن من ذهب إلى كاهن أو عراف ممن يدعون علم الغيب فقد ارتكب كبيرة من كبائر الذنوب، وأن ما أخذ على ذلك من مال فقد أجمع العلماء على تحريمه. والله أعلم.

---

(١) سبق تخريجه ص ١٠٩.

(٢) تفسير القرطبي ٧/ ٣.

(٣) الكافي لأبي عمر بن عبدالبر ١/ ٤٤٤ ـ مكتبة الرياض الحديثة الطبعة الأولى ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٨م.

الباب الثاني
عقيدتهم في القرآن وفي الرسول ﷺ
وفي اليوم الآخر

تحدثـت في الباب السـابق عن أهم انحـرافات التجـانية في عقيـدتهم في الله كإيمـانهم بوحدة الوجود والفناء، وادعائهم أن بعض المشايخ يعلمون الغيب.

وفي هذا البـاب سأتحدث عن أهم انحـرافاتهم في عقيـدتهم في القرآن وفي الـرسول ﷺ وفي اليوم الآخر، في الفصول التالية :

الفصل الأول: عقيدتهم في القرآن.

الفصل الثاني: عقيدتهم في الرسول ﷺ، وفيه خمسة مباحث.

الفصل الثالث: عقيدتهم في اليوم الآخر، وفيه ثلاثةمباحث.

الفصل الأول
عقيدتهم في القرآن

يعتقد كثير من التجانيين بأن «صلاة الفاتح لما أغلق» أفضل من القرآن الكريم، وقبل أن نذكر النصوص التي وردت في كتبهم في ذلك نذكر نص صلاة الفاتح لما أغلق التي يزعم التجانيون أنها أفضل من القرآن الكريم :

صلاة الفاتح لما أغلق :

«اللهم صل على سيدنا محمد الفاتح لما أغلق، والخاتم لما سبق، ناصر الحق بالحق، الهادي إلى صراطك المستقيم، وعلى آله حق قدره ومقداره العظيم»[1].

ذكر بعض النصوص التي تبين إيمانهم بذلك :

قال مؤلف جواهر المعاني: «.. ثم أمرني بالرجوع ﷺ إلى صلاة الفاتح لما أغلق، فلما أمرني بالرجوع إليها سألته ﷺ عن فضلها فأخبرني أولاً بأن المرة الواحدة منها تعدل من القرآن ست مرات، ثم أخبرني ثانياً أن المرة الواحدة منها تعدل من كل تسبيح وقع في الكون ومن كل ذكر ومن كل دعاء كبير أو صغير ومن القرآن ستة آلاف مرة لأنه من الأذكار»[2].

ولما سئل التجاني عن تفضيله لورده على القرآن أجاب عن هذه المعارضة قائلاً: «لامعارضة بين هذا وبين ما ورد من فضل القرآن والكلمة الشريفة؛ لأن فضل القرآن والكلمة الشريفة عام أريد به العموم وهذا خاص ولامعارضة بينهما؛ لأنه كان ﷺ يلقي الأحكام للعامة في حياته، يعني إذا حرم شيئاً حرمه على الجميع وإذا افترض شيئاً افترضه على الجميع وهكذا سائر الأحكام الشرعية الظاهرة، ومع ذلك كان ﷺ يلقي الأحكام الخاصة للخاصة.. فلما انتقل إلى الدار الآخرة، وهو كحياته ﷺ في الدنيا سواء، صار يوحي إلى أمته الأمر الخاص للخاص ولامدخل للأمر العام فإنه انقطع بموته ﷺ... إلخ»[3].

---

(١) أحزاب وأوراد التجاني ١٢ تحقيق محمد الحافظ، الطبعة الخامسة.

(٢) جواهر المعاني ١/ ١٣٦، الجيش الكفيل بأخذ الثار.

(٣) جواهر المعاني ١/ ١٤١، الدرة الخريدة ٤/ ٢٠٣.

ثم هم أيضاً يعتقدون أنها من كلام الله، وفي ذلك يقول مؤلف الرماح: إن من شروطها: «أن يعتقد أنها من كلام الله»[1].

وقال مؤلف بغية المستفيد: «.. مع اعتقاد المصلي أنها ليست من تأليف البكري ولا غيره، وأنها وردت من الحضرة القدسية مكتوبة بقلم القدرة في صحيفة نورانية..»[2].

وقال مؤلف الدرة الخريدة: «.. واعتقاد المصلي بها أنها في صحيفة من نور أنزلت بأقلام قدرة إلهية وليست من تأليف زيد ولا عمرو بل هي من كلامه سبحانه، وأنها لم تكن من تأليف البكري وفي «جع[3]» والفضل الذي فيها لا يحصل إلا بشرطين: الأول: الإذن، الثاني: أن يعتقد الذاكر أن هذه الصلاة من كلام الله تعالى كالأحاديث القدسية وليست من تأليف مؤلف»[4].

المناقشـــة :

١ ـ إن هذه الصلاة التي يزعم التجانيون أن شيخهم تلقاها من النبي ﷺ لم تروـ كاملة ـ مسندة مرفوعة إلى النبي ﷺ لا في حديث صحيح ولا حسن ولا ضعيف، لا في حديث قدسي ولا في غيره[5]، فكيف يزعمون أنها من كلام الله كالأحاديث القدسية ؟

٢ ـ أنه قد ورد بعض هذه الصلاة في صلاة منسوبة إلى الإمام علي رضي الله عنه، فقد جاء في كتاب «الشفاء» للقاضي عياض ما نصه: «وعن سلامة الكندي: كان علي يعلمنا الصلاة على النبي: اللهم داحي المدحوات، وبارئ المسموكات، اجعل شرائف صلواتك، ونوامي بركاتك، ورأفة تحننك على محمد عبدك ورسولك، الفاتح لما أغلق، والخاتم لما سبق، والمعلن الحق بالحق، والدافع لجيشات الأباطيل كما حمل، فاضطلع بأمرك لطاعتك...[6] إلخ».

والمذكور منها في هذه الصلاة قوله: «الفاتح لما أغلق، الخاتم لما سبق، المعلن الحق

---

(١) رماح حزب الرحيم ٢/ ١٣٩.

(٢) بغية المستفيد ٣٧٥.

(٣) هذا الرمز يرمز به مؤلف الدرة الخريدة لكتاب الجامع لابن المشري (الدرة الخريدة ١/ ٤).

(٤) الدرة الخريدة ٤/ ١٢٨، ٢١٩.

(٥) مشتهى الخارف الجاني ١٦١.

(٦) الشفاء للقاضي ٢/ ١٦٣ـ١٦٤، دار الوفا للطباعة والنشر، دمشق.

بالحق» إلا أنهم يبدلون «المعلن» في الجملة الأخيرة بـ «ناصر» فيقولون: ناصر الحق بالحق.

وقد رواها الحافظ ابن كثير فقال: «رويناه من طريق سعيد بن منصور ويزيد بن هارون وزيد ابن الحباب ثلاثتهم عن نوح بن قيس: حدثنا سلامة الكندي أن علياً رضي الله عنه كان يعلم الناس هذا الدعاء: «اللهم داحي المدحوات، وبارىء المسموكات، وجبار القلوب على فطرها، شقيها وسعيدها، اجعل شرائف صلواتك، ونوامي بركاتك، ورأفة تحننك على محمد عبدك ورسولك، الفاتح لما أغلق، والخاتم لما سبق، والمعلن الحق بالحق، والدافع لجيشات الأباطيل، كما حمل فاضطلع بأمرك لطاعتك.. إلخ» وقد حكم عليها ابن كثير بأنها موقوفة على عليّ، ثم قال ابن كثير: «هذا مشهور من كلام علي رضي الله عنه.. إلا أن في إسناده نظراً، قال شيخنا أبو الحجاج المزي[1] : سلامة الكندي هذا ليس بمعروف ولم يدرك علياً. كذا قال»[2].

فتبين من ذلك أن هذا الأثر المذكور لم يرو عن علي رضي الله عنه بسند صحيح متصل.

٣ ـ إن تفضيل التجاني صلاة الفاتح لما أغلق على القرآن استهزاء واستهتار بكتاب الله؛ لأن التفضيل في غير مقام الاستهزاء والتهكم لابد فيه من مشاركة المفضول للفاضل في أصل الفضل، فلا يقال: فلان أعلم من الحمار، إلا على جهة التهكم.

بل لو أنه قال بأن القرآن أفضل من صلاة الفاتح لما أغلق؛ لكان في ذلك تنقيصاً له :

ألم تر أن السيف ينقص قدره ... إذا قيل إن السيف أمضى من العصا

فكيف وقد فضل صلاة الفاتح على القرآن[3]؟

٤ ـ إن في قوله هذا صدًّا عن كتاب الله، وصرفاً للناس عن قراءته وتدبر معانيه، وداعياً إلى هجره، فإذا كانت صلاة الفاتح لما أغلق وهي لا تتجاوز ثلاثة أسطر تعدل ستة آلاف ختمة من القرآن، فإن من يعتقد ذلك سينصرف عن قراءة القرآن إلى هذه الصلاة التي لا تتطلب منه وقتاً ولا جهداً.

---

(١) يوسف بن عبدالرحمن بن يوسف أبو الحجاج المزي، ولد سنة ٦٥٤ بظاهر حلب، محدث الديار الشامية في وقته، من مؤلفاته «تهذيب الكمال في أسماء الرجال» و«تحفة الأشراف في معرفة الأطراف» توفي سنة ٧٤٢، الأعلام ٩/ ٣١٣.

(٢) تفسير ابن كثير ٣/ ٥٠٩ دار إحياء الكتب العربية.

(٣) مشتهى الخارف الجاني ١٦٦، ١٦٧.

ثم إن في صرفهم عن قراءة القرآن صرفاً لهم عن طريق الإسلام الصحيح، حتى يصبح هؤلاء المسلمون أسرى لخرافات الصوفية وعقائدها[1]، يقول التلمساني[2] وهو من أئمة الصوفية: «القرآن كله شرك وإنما التوحيد في كلامنا»[3].

٥ ـ قوله حينما سئل عن تفضيله لورده على القرآن: «لا معارضة بينهما؛ لأنه كان ﷺ يلقي الأحكام العامة للعامة، فلما انتقل إلى الدار الآخرة.. صار يوحي إلى أمته الأمر الخاص.. إلخ».

سيأتي بيان بطلان ذلك، وأن التكليف انقطع بموته ﷺ، في مبحث إيمانهم بأن النبي ﷺ لم يبلغ ما أوحي إليه، فارجع إليه وفقك الله[4].

٦ ـ قوله في بغية المستفيد: «فتحصل أن الفضل الذي تلقاه سيدنا من الحضرة المحمدية لا يحصل إلا مع الإذن الصحيح من الشيخ رضي الله عنه ولو بواسطة أو وسائط»[5] مردود؛ فإن توقف حصول الثواب على الإذن من التجاني أو واسطة من الوسائط يتنافى مع دعوى تلقي صلاة الفاتح عن الرسول ﷺ؛ لأن الذكر المتلقى عنه ﷺ لا يحتاج إلى إذن أحد ؛ لأن الله سبحانه وتعالى قد أذن لعباده بل أمرهم بذلك كما في قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكراً كثيراً وسبحوه بكرة وأصيلاً[6] ﴾.

وقال جل من قائل: ﴿إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً﴾[7] فدعوى توقف حصول الثواب على إذن الشيخ أو واسطة من الوسائط دعوى مجردة عن الدليل بل هي دعوى منافية للدليل الصحيح الثابت عن الله ورسوله.

٧ ـ وإذا كانت هذه الصلاة من كلام الله فكيف يصح للتجاني أن يزيد فيها لفظ «سيدنا»

---

(١) مصرع الشرك والخرافة ٥٢٣ تأليف خالد محمد علي الحاج، مطابع الدوحة الحديثة.

(٢) هو شعيب بن الحسن الأندلسي التلمساني أبو مدين، من مشاهير الصوفية وأصله من الأندلس وأقام بفاس وسكن بجاية وتوفي بتلمسان سنة ٩٥٤هـ وعمره قريب من الثمانين، عنوان الدراية ٢٢، ٣٢ الطبعة الأولى، الأعلام ٣/ ٢٤٤.

(٣) مجموعة الرسائل والمسائل ١/ ١٤٥.

(٤) انظر ص ١٤١.

(٥) بغية المستفيد ٣٧٥، الدرة الخريدة ٤/ ٢١٨، ٢١٩.

(٦) سورة الأحزاب ٤١، ٤٢.

(٧) سورة الأحزاب ٥٦.

ويزعم أن الله يقول: «اللهم صل على سيدنا محمد..» أفلا يدري أن الرسول ﷺ ليس سيداً لله بل الله هو السيد[1] سبحانه وتعالى؟

٨ ـ ومما يدل على بطلان ما زعموه تناقضهم، فتارة يقول: هي من كلام الله نزلت بقلم القدرة، وتارة يقول: هي أفضل من كلام الله، وتارة يقولون: هي من كلام الله كالأحاديث القدسية.

مذهب أهل السنة والجماعة وحكم من اعتقد أن صلاة الفاتح لما أغلق من كلام الله أو أنها أفضل من القرآن الكريم:

ذهب أهل السنة والجماعة إلى أن القرآن كلام الله نزل به جبريل عليه السلام على محمد ﷺ بلسان عربي مبين المتعبد بتلاوته، منه بدأ وإليه يعود، ليس بمخلوق ولا يشبه كلام المخلوقين، وفضل القرآن على غيره من سائر الكلام كفضل الله على خلقه[2].

حكم من اعتقد أن صلاة الفاتح لما أغلق من كلام الله أو أنها أفضل من القرآن الكريم:

زعم التجاني أن النبي ﷺ هو الذي أخبره بأن صلاة الفاتح لما أغلق من كلام الله تعالى، فكيف تكون هذه الصلاة من كلام الله تعالى ولم يبلغها النبي ﷺ لأصحابه ولا دونوها في مصاحفهم؟ والله تعالى يقول: ﴿يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته﴾[3] ويقول سبحانه وتعالى: ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾[4] كما أنها لم ترد عن النبي ﷺ في حديث صحيح ولا ضعيف[5].

ومن العجب أن يتصور التجاني هذا القول وأن ينطق به لسانه مع معرفته أنه كذب على رسول الله ﷺ، وقد قال جمهور العلماء: من اعتقد حل الكذب على النبي ﷺ فقد كفر[6]. وقد قال النبي ﷺ: «من تعمد عليَّ كذباً فليتبوأ مقعده من النار[7]».

---

(١) الهدية الهادية ١٠٦.

(٢) شرح الطحاوية ١٧٩، ٣٥٢ ـ ٣٥٤.

(٣) سورة المائدة آية: ٦٧.

(٤) سورة الحجر آية: ٩.

(٥) انظر ص ١١٤، ١١٥.

(٦) فتح الباري ١/ ٢٠٢.

(٧) رواه البخاري (صحيح البخاري مع شرحه فتح الباري ١/ ٢٠١).

قال محمد الخضر الشنقيطي: «فحيث إن تعمد الكذب على النبي ﷺ قال بعض العلماء إنه كفر[١] .. يكون تعمد الكذب على الله كفراً اتفاقاً»[٢].

ومما جاء في تغليظ الكذب على الله:

١ ـ قوله تعالى: ﴿ومن أظلم ممن افترى على الله كذباً أو قال أوحي إليّ ولم يوح إليه شيء ومن قال سأنزل مثل ما أنزل الله﴾[٣].

قال أبو حيان: «بدأ أولاً بالعام وهو افتراء الكذب على الله وهو أعم من أن يكون ذلك الافتراء بادعاء وحي أو غيره، ثم ثانياً الخاص وهو افتراء منسوب إلى وحي من الله تعالى.. ثم ثالثاً بأخص مما قبله؛ لأن الوحي قد يكون بإنزال القرآن وبغيره»[٤].

٢ ـ ومنها قول الله تعالى: ﴿ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب وأكثرهم لا يعقلون﴾[٥].

قال أبو حيان: «نص الشعبي وغيره أن المفترين هم المبتدعون، وأن الذين لا يعقلون هم الأتباع»[٦].

كما زعم التجاني أن صلاة الفاتح لما أغلق أفضل من القرآن ستة آلاف مرة[٧].

ومن زعم أن شيئاً من كلام البشر أفضل من القرآن فقد كفر بما أنزل على محمد، وذلك لأن القرآن كلام الله وفضل كلام الله على سائر الكلام كفضل الله على خلقه. فتفضيل كلام بعض المخلوقين على كلام الله كتفضيل بعض المخلوقين على الله، وفاعل ذلك لا يشك في كفره[٨].

ومما يدل على ذلك:

١ ـ ما رواه أبو سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يقول الرب تبارك

---

(١) وبه قال أبو محمد الجويني وابن المنير (فتح الباري ١/ ٢٠٢).

(٢) مشتهى الخارف الجاني ١٦٢.

(٣) سورة الأنعام آية: ٩٣.

(٤) البحر المحيط ٤/ ١٨٠ مطابع النصر بالرياض.

(٥) سورة المائدة آية: ١٠٣.

(٦) البحر المحيط ٤/ ٣٤.

(٧) انظر ص١١٣.

(٨) مشتهى الخارف الجاني ١٦٥.

وتعالى: من شغلـه القرآن عن ذكرى ومسألتـي أعطيته أفضل ما أعطي الســائلين، وفضل كلام الله على سائر الكلام كفضل الله على خلقه»[1].

٢ ـ ما رواه أبو هريرة بلفظ: «فضل القرآن على سائر الكلام كفضل الرحمن على سائر خلقه»[2].

٣ ـ أن الكلام صفـة من صفات الله[3]، والكلام في الصفـات فرع عن الكـلام في الذات، فكمـا أن ذات الله لا تشبهها ذوات المخلـوقين فـإن كلام الله لا يشبهـه كلام المخلـوقين. وقـد تحداهـم الله تعالى أن يـأتوا بمثله فقـال سبحانـه: ﴿قل لئن اجتمعت الإنـس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا﴾[4].

قال ابن كثيـر في تفسيره: «نبه تعالى على شـرف هذا القرآن العظيم فأخبر أنـه لو اجتمعت الإنس والجن كلهم واتفقوا على أن يأتوا بمثل ما أنزل على رسول الله ﷺ لما أطاقوا ذلك ولما استطاعوه ولو تعاونوا وتساعدوا وتضافـروا، فإن هذا أمر لا يستطاع، وكيف يشبه كلام المخلوقين كلام الخالق الذي لا نظير له ولا مثال له ولا عديل له؟»[5]اهـ.

فمن سوَّى صلاة الفاتح لما أغلق بكلام الله سبحانـه وتعالى فقد كفر؛ لأنه سوَّى بين كلام الخالق وكلام المخلـوق، فكيف بمن فضل صلاة الفاتح لما أغلق علـى كلام الله؟ فلاشك أن ذلك أشدّ كفراً.

والله أعلم.

---

(١) رواه الترمذي وقال: هذا حديث حسن غريب، جامع الترمذي مع شرحه تحفة الأحوذي ٨/ ٢٤٤، ٤٤٥.

(٢) رواه أبو يعلى في معجمه والبيهقي في شعب الإيمان، وقال السيوطي: صحيح (الجامع الصغير ٢/ ٥٧).

(٣) الهدية الهادية ١٠٥.

(٤) سورة الإسراء آية: ٨٨.

(٥) تفسير ابن كثير ٣/ ٩٣.

الفصل الثاني
عقيدتهم في الرسول ﷺ

تحدَّثت في الفصل السابق عن أهم انحراف للتجانية في عقيدتهم في القرآن وهو تفضيلهم لصلاة الفاتح لما أغلق على القرآن الكريم. وسأتحدث في هذا الفصل عن أهم انحرافاتهم في عقيدتهم في الرسول ﷺ في المباحث التالية:

المبحث الأول : إيمانهم برؤية النبي ﷺ يقظة بعد موته.
المبحث الثاني: إيمانهم بأن النبي ﷺ قد كتم شيئاً من أمر الدين.
المبحث الثالث: إيمانهم بجواز التوسل بذات النبي ﷺ وبعباد الله الصالحين.
المبحث الرابع: الغلو في حق النبي ﷺ وبالشيخ التجاني واعتقاد أنهم أرباب مع الله.
المبحث الخامس: إيمانهم بأن التجاني خاتم الأولياء، كما أن محمداً ﷺ خاتم الأنبياء.

المبحث الأول
إيمانهم برؤية النبي ﷺ يقظة بعد موته

وفيه مطلبان :
المطلب الأول: في رؤية النبي ﷺ يقظة بعد موته.
المطلب الثاني: فيما يدعون تلقيه عن النبي ﷺ يقظة بعد موته في الدنيا.

المطلب الأول

رؤية النبي ﷺ يقظة بعد موته في الدنيا

ذكر بعض النصوص التي تصرح بإيمانهم برؤية النبي ﷺ يقظة بعد موته في الدنيا:

لما كانت هذه الطريقة تقوم على ادِّعاء رؤية النبي ﷺ يقظة بعد موته في الدنيا والأخذ منه مباشرة، إذ كل ما قالوه من أفكار وما ذكروه من أوراد زعموا أن شيخهم قد أخذها عن النبي ﷺ يقظة لا مناماً.. كان لابد من مناقشة هذا الموضوع بشيء من التفصيل، إذ بسقوطه وبطلانه يتبين بطلان جميع ما زعموه، فأقول وبالله التوفيق:

إن النصوص التي تصرّح بإيمانهم برؤية النبي ﷺ يقظة بعد موته في كتبهم أكثر من أن تُحصى، وسنذكر فيما يلي بعض الأمثلة على ذلك من كتب مختلفة:

قال في جواهر المعاني: «قال رضي الله عنه: أخبرني سيد الوجود يقظة لا مناماً قال لي: أنت من الآمنين، ومن رآك من الآمنين إن مات على الإيمان..إلخ»[1].

وقال في رماح حزب الرحيم: «ولا يكمل العبد في مقام العرفان حتى يصير يجتمع برسول الله ﷺ يقظة ومشافهة.. إلخ»[2].

وقال في بغية المستفيد: «.. منهم من يرى روحه في اليقظة متشكلة بصورته الشريفة، ومنهم من يرى حقيقة ذاته الشريفة وكأنه معه في حياته ﷺ، وهؤلاء هم أهل المقام الأعلى في رؤيته ﷺ»[3].

وقال في الدرة الخريدة: «وأما الذي هو أفضل وأعز من دخول الجنة فهو رؤية سيد الوجود ﷺ في اليقظة، فيراه الولي اليوم كما يراه الصحابة رضي الله عنهم فهي أفضل من الجنة...[4]».

---

(١) جواهر المعاني ١/ ١٢٩. وانظر أيضاً: جواهر المعاني ١/ ٣٠، ٣١ جواهر المعاني ٢/ ٢٢٨.

(٢) رماح حزب الرحيم ١/ ١٩٩.

(٣) بغية المستفيد ٧٩، ٨٠.

(٤) الدرة الخريدة شرح الياقوتة الفريدة ١/ ٤٧.

الأدلــة والمناقشـــة :

الدليـــل الأول :

يستدل التجـانيون على إمكان رؤيـة النبي ﷺ يقظة بعد موتـه في الدنيا بمـا رواه البخاري ومسلم وأبو داود عن أبي هـريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسـول الله ﷺ يقول: «من رآني في المنام فسيراني في اليقظـة، ولا يتمثل الشيطان بي»[1] قالوا: فالحديـث صريح في رؤية النبي ﷺ يقظة بعد موته في الدنيا، قال ابـن أبي جمرة: «ودعوى الخصوص بغير مخصص منه عليه السلام تعسف»[2].

المناقشة :

أولاً: أن الحديث على هذه الرواية[3] ليس نصاً صريحاً في رؤيـة النبي ﷺ يقظة بعد موته في الدنيا كما يزعم التجانيون، بل الحـديث محتمل؛ ولذا اختلف العلماء في معناه وأولوه على عدة تأويلات:

(أ) قال ابـن التين: «المراد به: مـن آمن به في حيـاته ولم يـره ـ لكونـه حينئذ غائبـاً عنه ـ فيكون بهذا مبشراً لكل من آمن به ولم يره أن لابد أن يراه في اليقظة قبل موته»[4].

(ب) قال ابـن بطّال[5]: «معناه: سيـرى تأويل تلك الرؤيـا في اليقظة وصحتها وخـروجها على الوجه الحق»[6].

---

(١) رواه البخـاري (صحيح البخاري المطبـوع مع شـرحه فتح البـاري: ١٢/ ٣٨٣) واللفظ لـه. ورواه مسلم (صحيح مسلـم على شـرح النووي ١٥/ ٢٦)، ورواه أبـو داود (سنن أبـي داود مع شـرحـه عون المعبـود ١٣/ ٣٦٦).

(٢) رماح حزب الرحيم ١/ ٢٠٥.

(٣) ورد الحديث بعدة روايات إحداها قوله: «سيراني فـي اليقظة» والثانية: «لكأنما رآني في اليقظة» والثالثة: «فقد رآني فـي اليقظة» قال ابن حجـر: «وجل أحاديث البـاب كالثالثة إلا قـوله في اليقظـة» (فتح الباري ١٢/ ٣٨٣).

(٤) فتح الباري ١٢/ ٣٨٥.

(٥) هوعلي بن خلف بـن عبدالملك بن بطال وكنيته أبوالحسن، مـن أهل قرطبة، عالم بالحـديث، له شرح البخاري، توفي سنة ٤٤٩ هـ (الأعلام ٥/ ٩٦).

(٦) فتح الباري ١٢/ ٨٥ شرح المواهب اللدنيةللزرقاني ٥: ٢٩٣ الطبعة الأولى.

وقيل: إنه على التشبيه والتمثيل، ويدل على ذلك قوله في الرواية الثانية: «لكأنما رآني في اليقظة»[1].

وقيل: المعنى أنه يراه يقظة في الآخرة، وفي هذا بشارة لرائيه بأن يموت مسلماً؛ لأنه لا يراه تلك الرؤية الخاصة باعتبار القرب إلا من تحقق موته على الإسلام. وهذا قول الدماميني[2] ونصره محمد الخضر الشنقيطي[3]، وهو الذي أميل إليه.

أنه يراه في المرآة التي كانت له إن أمكنه ذلك، وهو قول ابن أبي جمرة. قال في الفتح: «وهذا من أبعد المحامل»[4].

أنه يراه حقيقة في الدنيا ويخاطبه[5].

ثانياً : أن هذا الاحتمال الأخير باطل وذلك من وجهين:

الأول: أنه مستحيل شرعاً، ووجه ذلك :

١ ـ أن النبي ﷺ قد مات فادعاء حياته بعد موته ﷺ قبل يوم القيامة مستحيل شرعاً؛ لما يلزم منه مخالفته لقوله تعالى: ﴿إنك ميت وإنهم ميتون﴾[6].

ولا يتأتى على ذلك أن الأنبياء أحياء في قبورهم وكذلك الشهداء، ولا ما ورد عن النبي ﷺ من أنه ترد عليه روحه حتى يرد السلام على من سلّم عليه[7]، فإن تلك حياة برزخية تختلف عن هذه الحياة ولذا يقتصر في شأنها على ما ورد في النصوص، ثم إنه يلزم من ذلك أن يطالبوا بالتكاليف وأن يخرجوا ليجاهدوا أعداء الله، واللازم باطل وإذا بطل اللازم بطل الملزوم.

٢ ـ أن حمله على رؤية النبي ﷺ يقظة في الدنيا بعد وفاته يلزم منه ادّعاء الكذب على

---

(١) فتح الباري ١٢/ ٣٨٥.

(٢) شرح المواهب اللدنية للزرقاني ٥/ ٢٨٩، فتح الباري ١٢/ ٣٨٥.

(٣) مشتهى الخارف الجاني ٥٤، ٥٥.

(٤) فتح الباري ١٢/ ٣٨٥.

(٥) فتح الباري ١٢/ ٣٨٥.

(٦) سورة الزمر آية: ٣٠.

(٧) رواه أبو داود وسكت عنه (سنن أبي داود مع شرحه عون المعبود ٦/ ٢٦). ورواه أحمد في المسند (المسند ٢/ ٥٢٧). قال ابن القيم: وقد صح إسناد هذا الحديث وسألت شيخنا ابن تيمية عن سماع يزيد بن عبدالله عن أبي هريرة فقال: «كأنه أدركه وفي سماعه منه نظر..»اهـ (عون المعبود ٦/ ٣٠).

رسول الله ﷺ وذلك مستحيل؛ لأن النبي ﷺ معصوم عن الكذب، وبيان ذلك: أن النبي ﷺ قال: «من رآني في المنام فسيراني في اليقظة»[١].

فعلق الجواب على الشرط، ومن المعلوم أن جمعاً كثيراً من سلف الأمة وخلفها قد رأوه في المنام ولم يذكر أحد منهم أنه رآه في اليقظة، وخبر الصادق ﷺ لا يتخلف[٢].

الثاني: أنه مستحيل عقلاً:

قال القرطبي: «وهذا القول يدرك فساده ببادئ العقول إذ يلزم عليه ألا يراه أحد إلا على صورته التي مات عليها.

وأن لا يراه رائيان في آن واحد في مكانين.

وأن يحيا الآن ويخرج من قبره ويمشي في الأسواق ويخاطبوه، ويلزم منه أن يخلو قبره الشريف من جسده الشريف فلا يبقى في قبره منه شيء فيزار مجرد القبر ويسلم على غائب؛ لأنه جائز أن يرى في الليل والنهار مع اتصال الأوقات على حقيقته في غير قبره، وهذه جهالات لا يلتزم بها من له أدنى مسكة من العقل»[٣].

واعترض على هذا بأن النبي ﷺ يمكن أن يراه شخصان في مكانين مختلفين في وقت واحد، كما ترى الشمس أو القمر في أماكن متعددة في آن واحد من جماعة كثيرين[٤].

وأجيب عن هذا الاعتراض بأن النبي ﷺ بشر كان يأكل الطعام ويمشي في الأسواق، ولم يكن له حجم الشمس وارتفاعها حتى يمكن أن يراه جمع كثير في وقت واحد، ثم إن النبي ﷺ إذا كان في بيته لا يراه إلا من كان معه في البيت دون من كان خارجه، وكذلك الشمس فإنها لو رؤيت داخل بيت في جرمها لاستحال رؤية جرمها في بيت آخر[٥].

ثالثاً: أنه على فرض صحة هذا الاحتمال لا يليق بعالم بله غيره أن يصرف هذا الدليل إلى هذا الاحتمال؛ لأن من القواعد الأصولية: أن الدليل إذا تطرق إليه الاحتمال بطل به الاستدلال، فكيف إذا كان هذا الاحتمال ينقضه نفس الحديث ويرده الشرع والعقل[٦]؟

---

(١) سبق تخريجه ص١٢٢.

(٢) فتح الباري ١٢/ ٣٨٥.

(٣) شرح الزرقاني على المواهب اللدنية ٥/ ٢٩٣، فتح الباري ١٢/ ٣٨٤.

(٤) علماء تزكية النفس: ٥٠.

(٥) شرح المواهب اللدنية للزرقاني ٥/ ٢٩٥.

(٦) مشتهى الخارف الجاني: ٥٥، ٥٦.

رابعاً : ما نقلوه عن ابن أبي جمرة من قولـه: «ومن يدّعي الخصوص فيه بغير مخصص منه عليه السلام فمتعسف»[(١)].

مردود بأن الحديث ليس نصًا صريحاً في رؤية النبي ﷺ يقظة بعد موته في الدنيا ولا في الآخرة، فتخصيصه بالدنيا بغير مخصص تعسف أيضاً.. لكن لما كان تأويله برؤية النبي ﷺ يقظة بعد موته في الدنيا مخالفاً للشرع والعقل؛ حمله جمهور العلماء على رؤية النبي ﷺ يقظة في الآخرة. والله أعلم.

الدليل الثاني :

قال في رماح حزب الرحيم: «إن رؤية النبي ﷺ داخلة تحت قدرة الله تعالى، فالمنكر لها منكر لقدرة الله على ذلك، ومن أنكر قدرة الله فقد كفر. والله سبحانه وتعالى الذي أحيا الميت ببعض البقرة: ﴿فقلنا اضربوه ببعضها﴾[(٢)]، والذي جعل دعاء إبراهيم سبباً لإحياء الطيور: ﴿ثم ادعهن يأتينك سعياً﴾[(٣)]، وجعل تعجب العزير سبباً لموته وموت حماره ثم لإحيائهما بعد مائة سنة، قادر على أن يجعل رؤيته ﷺ في النوم سبباً لرؤيته في اليقظة»[(٤)]اهـ. ملخصاً.

وقال محمد الحافظ التجاني: «وأصل الاجتماع الروحي اجتماع النبي ﷺ ليلة الإسراء بالأنبياء عليهم السلام وهم في الدار الآخرة، وكان الكليم سيدنا موسى عليه السلام سبباً في تخفيف الصلوات عن هذه الأمة وهو في الدار الآخرة، وصح أن سيدنا أبا بكر الصديق رضي الله عنه أنفذ وصية ثابت بن قيس بن شماس وقد أوصى بها بعد استشهاده.

أخرج الحاكم في المستدرك: عن ثابت عن أنس: أن ثابت بن قيس جاء يوم اليمامة وقد تحنط ولبس كفنه وقد انهزم أصحابه، فقال: اللهم إني أبرأ إليك مما جاء به هؤلاء، وأعتذر إليك مما صنع هؤلاء، فبئس ما عودتكم أقرانكم، خلوا بيننا وبين أقراننا ساعة. ثم حمل فقاتل ساعة فقتل وكانت درعه قد سرقت، فرآه رجل فيما يرى النائم فقال: إن درعي في قدر تحت إكاف بمكان كذا وكذا وأوصى بوصايا، فطلب الدرع فوجد حيث قال فأنفذوا وصيته. «قال الحاكم: صحيح على شرط مسلم وأقره الذهبي»[(٥)].

---

(١) انظر ص١٢٢.

(٢) سورة البقرة آية: ٧٣.

(٣) سورة البقرة آية: ٢٦٠.

(٤) رماح حزب الرحيم ١/ ٢٠٥، رسالة علماء تزكية النفس ١٨.

(٥) قال الحاكم: صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه (المستدرك ٣/ ٢٣٥).

وعن مسلم أبي سعيد مولى عثمان بن عفان أن عثمان بن عفان أعتق عشرين عبداً مملوكاً ودعا بسراويل فشدها عليه ـ ولم يلبسهـا في جاهلية ولا إسلام ـ وقال: إني رأيت رسول الله ﷺ البارحـة في المنام وأبا بكـر وعمر قالوا لي: اصبـر فإنك تفطر عنـدنا القابلة. ثـم دعا بمصحف فنشر بين يـديه فقتل وهو بين يديـه «رواه أبو يعلى في الكبير ورجـاله ثقات وله طـرق أخرى غير هذا»[1] ا هـ.

وقال محمد الحـافظ: «وهذا يثبت أن روح الحي تجتمع بأرواح الأموات فـي النوم، والذي يجمعهم في النوم يجمعهم في اليقظة والجميع في العالم تحت سلطانه» [2]اهـ.

المناقشة :

١ ـ إن الذين ينكرون رؤية النبي ﷺ يقظة بعد مـوته في الدنيا هـم من أعلم الناس بقدرة الله تعالى: ﴿وما كـان الله ليعجزه من شيء في السموات ولا في الأرض إنه كـان عليماً قديراً﴾[3]. فالله تعالى قادر على أن يجعل عباده كلهم مـؤمنين: ﴿ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعاً أفأنت تكره الناس حتـى يكونوا مؤمنين﴾[4] وكما أنه قادر علـى أن يجعل المبتدع سنياً ملتزماً، ولكـن هكذا شاء الله عز وجل: ﴿ولو شئنـا لآتينا كل نفس هداها ولكـن حق القول مني لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين﴾[5].

فمن اعتقـد أن النبي ﷺ لا يـرى يقظة بعـد مـوته فـي الدنيـا فقد بنـى ذلك على أن هـذه المسألة من المســائل الاعتقادية ـ لا أنه منكـر لقدرة الله ـ والأصل في الأمور الاعتقـادية الحظر حتى يرد دليل يرفع هـذا الحظر، وليس هناك دليل شرعي معتبر يرفـع هذا الحظر، بل دلّ الشرع والعقل على خلاف ذلك.

٢ ـ أن قدرة الله تعالى متعلقة بكل شيء إذ هو القـادر على كل شيء سبحانه، فلا تلازم إذا بين قدرة الله تعالى وبين رؤية النبي ﷺ يقظة بعد موتـه في الدنيا، إذ لو قلنا بذلك للزم من هذا القول إبـاحة جميع المحـرمات، وتحريـم جميع المباحـات، وإلغاء جميع الشـرائع، وإفساد

---

(١) قال الهيثمي: رواه عبدالله وأبو يعلى في الكبير ورجالهما ثقات. (مجمع الزوائد ٧/ ٢٣٢ ط الثانية).

(٢) رسالة علماء تزكية النفس ٥٧، ٦١.

(٣) سورة فاطر آية ٤٤.

(٤) سورة يونس آية ٩٩.

(٥) سورة السجدة آية ١٣.

العباد والبلاد؛ لأن الله قادر على ذلك جميعاً، فمن الممكن أن نبيح الزنا لأن إباحته داخلة تحت قدرة الله، ومن الممكن أن نحرم الصلاة لأن تحريمها داخل تحت قدرة الله، فإذا بطل اللازم بطل الملزوم. والله أعلم.

٣ ـ أن رؤية النبي ﷺ يقظة بعد موته في الدنيا قد أنكرها جمع غفير من العلماء والأئمة كابن حجر العسقلاني وأبي بكر ابن العربي وابن تيمية والألوسي وغيرهم، فهل معنى هذا أنهم يجهلون قدرة الله عز وجل؟ سبحانك هذا بهتان عظيم.

٤ ـ إن ما استدل به محمد الحافظ من إمكان رؤية النبي ﷺ يقظة بعد موته في الدنيا قياساً على رؤية النبي ﷺ للأنبياء ليلة الإسراء يقظة في الدنيا لا يصح، وبيان ذلك:

(أ) أن الإسراء والمعراج كانا معجزة للنبي ﷺ خاصة لا يقاس عليه غيره.

(ب) أن رؤية النبي ﷺ يقظة بعد موته في الدنيا أمر من أمور الاعتقاد لا يجوز فيها القياس؛ لأنها توقيفية.

٥ ـ أن كل ما ذكره من الآثار فغاية ما فيها رؤى منامية وهذه ثابتة للنبي ﷺ ولسائر أمته في الأحاديث الصحيحة[١]، والنزاع في اليقظة لا في المنام.

٦ ـ قوله: «.. وهذا يثبت أن روح الحي تجتمع بأرواح الأموات في النوم، والذي يجمعهم في النوم يجمعهم في اليقظة والجميع في العالم تحت سلطانه»[٢].

يجاب عنه من وجهين:

(أ) أن هذا قياس لا يصح؛ لأن الرؤية في النوم قد جاءت بذكرها الأحاديث الصحيحة بخلاف رؤية اليقظة، فقد دل الشرع والعقل على خلافها، فلا يصح قياس ما دلّ الدليل على منعه على ما دل الدليل على إثباته.

(ب) أن قوله: «.. والذي يجمعهم في النوم يجمعهم في اليقظة والجميع في العالم تحت سلطانه» غاية ما فيه الاستدلال بقدرة الله تعالى وقد سبق الجواب عنه[٣].

الدليل الثالث:

أن رؤية النبي ﷺ يقظة بعد موته في الدنيا كرامة يمنحها الله من يشاء من عباده، فالمنكر

---

(١) انظر ص١٣٣.

(٢) انظر ص١٢٦.

(٣) انظر ص١٢٦.

لها منكر لكرامات الأولياء الثابتة بـالكتاب والسنة والآثار المسندة، ففي الكتاب قصة أصحاب الكهف وقصة الخضر مع موسى وقصة آصف بن برخيا مع سليمان.. وغيرها.

وفي السنة قصـة الثلاثة الـذين انطبق عليهم الغار وحديـث جريج وكلام الطفل ببـراءته.. وغيرها كثير.

ومن الآثار قصة عمر رضي الله عنه مع سارية.

ومن العقـل والنظر وقـوعها المتكـرر تكراراً ينتهي إلـى حد القطع بشهـادة الكتاب والسنـة والإجماع[1].

المناقشـــة :

١ ـ إن هـذا الدليل لا يرد علـى محل النزاع إذ لا تلازم بيـن إنكار رؤية النبي ﷺ يقظـة بعد موته في الـدنيا وبين إنكار الكرامة، فقـد أنكر رؤية النبي ﷺ يقظة بعد موتـه جمع من العلماء المثبتين لكرامات الأولياء كابن حجر العسقلاني والقرطبي وابن العربي والأهدل وغيرهم.

٢ ـ إن رؤية النبي ﷺ يقظة بعد موته في الدنيا ليست من باب الكرامة، وبيان ذلك:

(أ) أن الكرامة هبة من الله تعالى لمن يشـاء من عباده الصالحين لا تطلب ابتداء[2]، وهم يقولون بطلبها ابتداء.

(ب) أن الكرامة لا تـدرك بالتعلم، وهم يقولـون بأنها تدرك بـالتعلم عن طريق كثرة الـذكر والرياضة[3].

قال الشيخ صنع الله الحلبي الحنفي: «أما اعتقادهم أن هـذه التصرفات لهم من الكرامات فهو من المغالطة؛ لأن الكـرامة شيء من عند الله يكرم بها أولياءه لا قصـد لهم فيها ولا تحدٍّ ولا قدرة ولا علم، كما في قصة مريم بنت عمران وأسيد بن حضير وأبي مسلم الخولاني»[4] اهـ.

(جـ) أن الكـرامة أمر خارق للعـادة لا يخالف النصوص الشرعيـة الثابتة بالكتـاب والسنة، ورؤية النبي ﷺ يقظة بعد موته في الدنيا معارضة لنص شرعي[5] كما أنها مستحيلة عقلاً[6].

---

(١) الجيش الكفيل بأخذ الثأر: ٥٤، ٥٧.

(٢) مجموع الفتاوى ١١/ ٣٦٠.

(٣) بغية المستفيد ٧٩، ٨٠.

(٤) تيسير العزيز الحميد ١٩٨ المكتب الإسلامي.

(٥) انظر ص ١٢٢ ـ ١٢٣.

(٦) انظر ص١٢٣.

(د) أن الكرامة غالباً لا تحدث إلا مرة واحدة في العمر وربما مرة واحدة على امتداد الزمان، بينما يرى التجانيون أن رؤية النبي ﷺ يقظة بعد موته في الدنيا تقع لآلاف البشر في الوقت الواحد، وكل ذلك يبطل القول بأنها من باب الكرامة. والله أعلم.

الدليل الرابع :

«أن رؤية النبي ﷺ يقظة بعد موته في الدنيا قد وقعت لجمع غفير من سلف هذه الأمة منهم الشيخ أبو مدين المغربي شيخ الجماعة، والشيخ عبدالرحمن القناوي، والشيخ أبو العباس المرسي، والشيخ أبو السعود بن أبي العشائر، وإبراهيم المتبولي، والشيخ جلال الدين السيوطي، وغيرهم»[1].

المناقشة :

١ ـ إذا ظهر في كلام الأولياء والصالحين ما يخالف الشرع والعقل فينبغي أن يحمل على أحسن المحامل ويصار إلى تأويله، إذ قد ينقل عنهم الكلام ويفهم على غير ما أرادوا ؛ لتفاوت المدارك واختلاف العقول، فمن ذلك مثلاً ما قاله أبو العباس المرسي: «لو حجب عني النبي ﷺ طرفة عين ما عددت نفسي من المسلمين» قال الشيخ الأهدل[2]: «فهذا كلام فيه تجوز يقع مثله في كلام الشيوخ والصالحين، والمراد به أنه لم يحجب حجاب غفلة ونسيان عن دوام المراقبة واستحضارها في الأعمال والأقوال، ولم يرد أنه لم يحجب عن الروح الشخصية فذلك مستحيل»[3].

أما من لم يبلغ درجة أولئك في الصلاح والتقوى فلا عبرة بما يقوله، إنما هو شيطان تمثل له وأخبر قرينه بخبر كاذب، بل قد يتمثل الشيطان لعباد الله الصالحين كما حدث لعبدالقادر الجيلاني فقد رأى الشيطان في النوم فقال له: أنا ربك قد أبحت لك المحرمات. فقال: اخسأ يا لعين. فقيل له: بم عرفت أنه شيطان؟ قال: «بقوله: أبحت لك المحرمات، وبقوله: أنا ربك

---

(١) رماح حزب الرحيم ١/ ١٩٩. الجيش الكفيل بأخذ الثأر ٦٤، ٦٥.

(٢) هو حسين بن عبدالرحمن بن محمد الحسيني العلوي الهاشمي بدر الدين أبو محمد، والأهدل: أحد أجداده، ولد في أبيات حسين في اليمن سنة ٧٨٩هـ وانتقل إلى زبيد ومنها إلى مكة، مفتي الديار اليمنية، من كتبه: «كشف الغطاء عن حقائق التوحيد» و«اللمعة المقنعة في ذكر فرقة المبتدعة» توفي في أبيات حسين سنة ٨٥٥هـ (الأعلام ٢/ ٢٥٩).

(٣) شرح المواهب اللدنية للزرقاني ٥/ ٣٠٠، ٣٠١.

ولم يقل أنا الله»[1].

وقد روى سليمان بن حرب عن حماد بن زيد عن أيوب قال: «كان محمد ـ يعني ابن سيرين ـ إذا قص عليه رجل أنه رأى النبي ﷺ قال: صف لي الذي رأيته، فإن وصف له صفة لا يعرفها قال: لم تره»[2].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: «والضلّال من أهل القبلة يرون من يعظمونه[3]، إما النبي ﷺ وإما غيره من الأنبياء يقظة ويخاطبهم ويخاطبونه وقد يستفتونه ويسألونه عن أحاديث فيجيبهم.. ثم قال: لكن كثيراً من الناس يكذب بهذا، وكثيراً منهم إذا صدق به يظن أنه من الآيات الإلهية، وأن الذي رأى ذلك رآه لصلاحه ودينه ولم يعلم أنه من الشيطان، وأنه بحسب قلة علم الرجل يضله الشيطان، ومن كان أقل علماً قال له ما يعلم أنه مخالف للشريعة.. وهو وإن ظن أنه قد استفاد شيئاً فالذي خسره من دينه أكثر»[4].

٢ ـ أن ما وقع لهؤلاء الشيوخ هل ثبت عنهم أنه كان يقظة أو مناماً؟ وإذا ثبت أنه كان يقظة فهل ثبت عنهم بسند صحيح يوثق به؟ وإذا ثبت أنه كان يقظة بسند صحيح يوثق به، فهل هم معصومون من تلبيس الشيطان عليهم؟

كل هذه الأسئلة لانجد الجواب عليها[5]!!

٣ ـ أن رؤية النبي ﷺ يقظة بعد موته لم تنقل عن أحد من أهل القرون الثلاثة المشهود لهم بالخيرة من المصطفى ﷺ إذ كيف يظهر النبي ﷺ للمفضول ولا يظهر للفاضل؟

وقد حدثت حوادث كانت الحاجة فيها إلى ظهوره شديدة جداً، منها:

١ ـ اختلاف المهاجرين والأنصار على الخلافة وبقي النزاع بينهم مستمراً ثلاثة أيام حتى شغلهم ذلك عن دفن النبي ﷺ، فلو ظهر لهم وأخبرهم بأن الخليفة أبا بكر رضي الله عنه

---

(١) شرح المواهب اللدنية للزرقاني ٥/ ٢٩٨.

(٢) قال ابن حجر في فتح الباري: «سنده صحيح» ١٢/ ٣٨٣، ٣٨٤.

(٣) كذا في الأصل ولعل الأقرب إلى الصواب: «يظنونه» ويؤيد ذلك ما ورد في (الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان) حيث قال شيخ الإسلام رحمه الله: «ومنهم من يرى أشخاصاً في اليقظة يدّعي أحدهم أنه نبي أو صدّيق أو شيخ من الصالحين.. إلخ» الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان ص٨٢ (مخطوط في المكتبة السعودية بالرياض) تحت رقم ٣١٨/ ٨٦.

(٤) مجموع الفتاوى ٢٧/ ٣٩١، ٣٩٢، الجواب الباهر ٥٤، ٥٥ المطبعة السلفية.

(٥) شرح المواهب اللدنية للزرقاني ٥/ ٢٩٨.

لانقطع النزاع، فكيف لا يظهر في اليقظة لأفضل الناس بعده في أمرهم؟

٢ ـ اختلاف أبي بكر رضي الله عنه مع فاطمة الزهراء رضي الله عنها على الميراث، واشتداد حزنها على أبيها بعد وفاته.

٣ ـ ما وقع بين طلحة والزبير وعائشة من جهة وعلي بن أبي طالب من جهة أخرى، حتى وقعت حرب الجمل فقتل فيها خلق كثير من الصحابة.

٤ ـ خلاف علي رضي الله عنه مع الخوارج، وما وقع بين علي ومعاوية من النزاع[١].

ففي كل هذه الحوادث لم يروا أن النبي ﷺ ظهر لأصحابه يقظة ليفصل بينهم مع أنهم أصحابه، فكيف يظهر لمن هو دونهم منزلة وتقوى؟ والله أعلم.

الدليل الخامس:

أن رؤية النبي ﷺ يقظة قد قال بها علماء كثيرون قبل التجاني كالإمام السيوطي، وابن أبي جمرة، والشيخ يوسف بن إسماعيل النبهاني[٢]، وابن حجر المكي الهيتمي، والغزالي، وابن الحاج[٣]، والسبكي، والعفيف اليافعي[٤].

قال الإمام السيوطي: بعد أن ذكر حديث البخاري: «من رآني في المنام فسيراني في اليقظة ولا يتمثل الشيطان بي»[٥] وبعض النقول عن بعض العلماء.. قال: «فحصل من مجموع هذه النقول والأحاديث أن النبي ﷺ حي بجسده وروحه وأنه يتصرف ويسير حيث شاء في أقطار الأرض في الملكوت وهو بهيئته التي كان عليها قبل وفاته لم يتبدل منه شيء، وأنه مغيب عن الأبصار كما غيبت الملائكة مع كونها أحياء بأجسادهم، فإذا أراد الله رفع الحجاب

---

(١) شرح المواهب اللدنية للزرقاني ٥/ ٢٩٥، غاية الأماني في الرد على النبهاني ١/ ٢٢٦.

(٢) يوسف بن إسماعيل بن يوسف النبهاني، نسبته إلى بني نبهان من فلسطين، ولد سنة ١٢٦٥هـ، له كتب منها: «معجم الشيوخ» خلط فيها الصالح بالطالح وله كتاب «جامع كرامات الأولياء» ولمحمود شكري الألوسي كتابان في الرد عليه الأول: «غاية الأماني في الرد على النبهاني» والثاني: «الآية الكبرى في الرد على الرائية الصغرى» توفي سنة (١٣٥٠هـ) في قريته «أجزم» (الأعلام ٩/ ٢٨٩، ٢٩٠).

(٣) هو محمد بن محمد بن محمد بن الحاج أبو عبدالله المالكي الفاسي، نزيل مصر، كف بصره في آخر عمره، له كتاب «مدخل الشرع الشريف» وله شمس الأنوار، وكنز الأسرار، توفي بالقاهرة سنة ٧٣٧هـ (الأعلام ٧/ ٢٦٤).

(٤) الجيش الكفيل بأخذ الثار ٥٨، رسالة علماء تزكية النفس ٣٨، ٣٩.

(٥) سبق تخريجه انظر ص ١٢٢.

عمن أراد برؤيته رآه على هيئته التي هو عليها، لا مانع من ذلك ولا داعي للتخصيص برؤية المثال»[1].

وقال الغزالي: بعد مدح الصوفية وبيان أنهم خير خلق الله: «حتى إنهم في يقظتهم يشاهدون الملائكة وأرواح الأنبياء ويسمعون منهم أصواتهم ويقتبسون منهم فوائد، ثم يترقى الحال من مشاهدة الصورة والأمثال إلى درجات يضيق عنها نطاق النطق»[2] انتهى.

المناقشة:

هذا الدليل مردود من وجهين:

الأول: أن الله سبحانه وتعالى حينما بعث نبيه ﷺ أنزل عليه القرآن وآتاه الحكمة فحد الحدود وبين الشرائع والأحكام، فما دلَّت الشريعة المطهرة على إثباته أثبتناه، وما دلت على نفيه نفيناه، وما اختلف فيه رد إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ إذ هما المرجع في هذا الباب.

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول﴾[3] ولم يمت النبي ﷺ إلا وقد أكمل الله به الدين وأتم به على عباده النعمة كما قال: ﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً﴾[4].

ولم يرد في القرآن شيء يدل على رؤية النبي ﷺ يقظة بعد موته في الدنيا وكذلك لم يرو شيء في السنة المطهرة، وأما الحديث السابق[5] فقد بينا آنفاً بطلان الاستدلال به على رؤيته ﷺ يقظة بعد موته ووجه الحق فيه. والله أعلم.

الثاني: أن الله تعالى قد حفظ كتابه: ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾[6] وقد عصم الله نبيه ﷺ فلا يبلغ عن ربه إلا الحق: ﴿وما ينطق عن الهوى. إن هو إلا وحي يوحى﴾[7].

وكلام العلماء يؤخذ منه ويرد مهما بلغت منزلتهم علماً وتقوى وورعاً، فهم مقيدون

---

(١) الحاوي للفتاوي ٢/ ٤٣٥.

(٢) المنقذ من الضلال للغزالي ٣١ مطبعة شمس الحرية.

(٣) سورة النساء، آية ٥٩.

(٤) سورة المائدة آية ٣.

(٥) انظر ص١٣١.

(٦) سورة الحجر آية ٩.

(٧) سورة النجم آية: ٣، ٤.

بالكتاب والسنة إذ هما المحك فما وافقهما قُبل، وما خالفهما ردّ، وعبارات العلماء في هذا المعنى كثيرة.

وهناك كثير من العلماء الأجلاء الذين لهم باع طويل في خدمة كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، ومع ذلك لم يسلموا من الزلل، والأمثلة على ذلك كثيرة في باب العقائد وفي باب الفروع، وقد تركت ذكرها أدباً مع علماء الشريعة.

مذهب أهل السنة والجماعة في رؤية النبي ﷺ يقظة بعد موته في الدنيا، وحكم من قال: إنه يرى النبي ﷺ بعد موته يقظة:

قبل الحديث عن رؤية النبي ﷺ يقظة بعد موته يحسن أن نشير إلى حكم رؤيته في المنام فنقول وبالله التوفيق:

إن رؤية النبي ﷺ في المنام حق؛ لورود الأحاديث الصحيحة بذلك، ومن ذلك ما رواه البخاري في صحيحه بالسند المتصل عن أبي سعيد الخدري أنه سمع النبي ﷺ يقول: «من رآني فقد رأى الحق فإن الشيطان لا يتكونني»[1].

وعن أنس رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «من رآني في المنام فقد رآني فإن الشيطان لا يتمثل بي، ورؤيا المؤمن جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة»[2].

وقال أبو قتادة رضي الله عنه: قال النبي ﷺ: «من رآني فقد رأى الحق»[3].

وأما رؤيته ﷺ بعد موته فمذهب أهل السنة والجماعة أنه لا يرى يقظة، ومن رأى ما يوهم ذلك فإنه من تلبيس الشيطان ـ لعنه الله ـ ولا يتأتى عليه حديث: «فإن الشيطان لا يتمثل بي».

فإن الشيطان كما أخبر ﷺ لا يتمثل به، لكن الشيطان يخبر قرينه بخبر كاذب كما فعل ذلك مع الجيلاني[4].

وفي ذلك يقول شيخ الإسلام ابن تيمية عليه رحمة الله: «وقد ثبت في الصحيح عن النبي

---

(١) رواه البخاري (صحيح البخاري مع شرحه فتح الباري ١٢/ ٣٨٣).

(٢) رواه البخاري (صحيح البخاري مع شرحه فتح الباري ١٢/ ٣٨٣)، وروى مسلم الجزء الأول منه (صحيح مسلم مع شرح النووي ١٥/ ٢٤).

(٣) رواه البخاري (صحيح البخاري مع شرحه فتح الباري ١٢/ ٣٨٣)، ورواه مسلم في صحيحه المطبوع مع شرح النووي ١٥/ ٢٦).

(٤) انظر ص١٢٩.

ﷺ أنه قال: «من رآني في المنام فقد رآني حقاً، فإن الشيطان لايتمثل في صورتي»[1] فهذا في رؤية المنام؛ لأن رؤية المنام تكون حقاً وتكون من الشيطان فمنعه الله أن يتمثل به في المنام.

أما في اليقظة فلا يراه أحد بعينه في الدنيا، فمن ظن أن المرئي هو الميت[2] فقد أتي من جهله، ولهذا لم يقع مثل هذا لأحد من الصحابة والتابعين لهم بإحسان، وبعض من رأى هذا أو صدق من قال إنه رآه اعتقد أن الشخص الواحد يكون بمكانين في حالة واحدة فخالف صريح المعقول، ومنهم من يقول: إن هذه رقيقة ذلك المرئي (أي قرينته وشبحه)، أو هذه روحانيته وهذا معناه لشكل (لعلها تشكل) ولا يعرفون أنه جني تصور بصورته، ومنهم من يظن أن ذلك ملك، والملك يتميز عن الجني بأشياء كثيرة.. والشياطين يوالون من يفعل ما يحبونه من الشرك والفسوق والعصيان، فتارة يخبرونه ببعض الأمور الغائبة ليكاشف بها، وتارة يؤذون من يريد أذاه بقتل أو تمريض.. وتارة يسرقون له ما يسرقون من أموال الناس.. فيعتقد أنها من كرامات الأولياء وإنما يكون مسروقاً.. إلخ»[3].

وقد سبق أن ذكرنا قول القرطبي في استحالة رؤيته ﷺ يقظة بعد موته[4].

وقال القاضي أبو بكر بن العربي: «وشذ بعض الصالحين فزعم أنها تقع بعين الرأس حقيقة»[5].

والأدلة على عدم إمكان رؤية النبي ﷺ بعد موته في اليقظة كثيرة أشرنا إلى كثير منها في المناقشة، ونلخصها فيما يلي:

١ ـ أن رؤية النبي ﷺ يقظة من باب العقائد، والعقائد مبنية على التوقيف، فلا يجزم بنفي شيء أو إثباته إلا بدليل يصح الاعتماد عليه، ولم يرد في الكتاب ولا في السنة ما يدل على إثباتها، ولم يدعيها أحد ـ فيما نعلم ـ من الصحابة ولا من التابعين ولا من أتباعهم، وهذا من أدلة الاستدلال عند أهل الأصول وهو ما يعرف عندهم: «بانتفاء المدرك».

أما حديث: «فسيراني في اليقظة» فقد بيّنّا كلام العلماء على هذه الرواية ووجه الحق فيها

---

(١) رواه مسلم بنحوه (صحيح مسلم مع شرح النووي ١٥/ ٢٦).

(٢) كذا في الأصل ولعل الصواب «النبي».

(٣) قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة ٢٩، ٣٠ المطبعة السلفية.

(٤) انظر ص ١٢٤.

(٥) شرح المواهب اللدنية للزرقاني ٥/ ٢٩٩.

فارجع إليه[1] وفقك الله للصواب.

٢ ـ أن رؤية النبي ﷺ يقظة بعد موته في الدنيا مستحيلة شرعاً وعقلاً، وقد سبق بيان ذلك[2].

٣ ـ أنه قد حدثت حوادث خطيرة في صدر الإسلام كانت الحاجة فيها إلى ظهوره ﷺ شديدة جداً، ومع ذلك لم يذكر أحد أنه ﷺ رؤي يقظة فكيف يظهر للمفضول ولا يظهر للفاضل[3].

فمن قال بأن النبي ﷺ يرى يقظة بعد موته في الدنيا فقد أتى بقول يدرك فساده بأوائل العقول، قال القسطلاني: قال في المواهب اللدنية: «وبالجملة فالقول برؤيته ﷺ بعد موته بعين الرأس في اليقظة يدرك فساده بأوائل العقول؛ لاستلزامه خروجه من قبره ومشيه في الأسواق ومخاطبته للناس ومخاطبة الناس له.. إلخ»[4].

وقد سبق ذكر قول القرطبي في ذلك[5].

---

(١) انظر ص١٢٢.

(٢) انظر ص١٢٤.

(٣) شرح المواهب اللدنية للزرقاني ٥/ ٢٩٥،غاية الأماني في الرد على النبهاني ١/ ٢٦٦.

(٤) المواهب اللدنية مع شرح الزرقاني ٥/ ٢٩٩.

(٥) انظر ص١٢٤.

المطلب الثاني
فيما يدعون تلقيه عن النبي ﷺ بعد موته يقظة

ذكـــر بعـض النصوص التـي تبين عملهم فيما يـدعون تلقيه عـن النبي ﷺ بعد موتـه في اليقظة:

كما يزعم التجانيون أنهم يرون النبي ﷺ يقظة، فإنهـم يزعمون أنهم يستفتونه ويسألونه عن أمور دينهم ودنيـاهم ويتلقون منه الأوراد ويصحح لهـم الأحاديث فيعملون بذلـك، وفيما يلي بعض النصوص الـدالة على ذلك وهذه النصوص منهـا ما يدل على اعتقادهـم ذلـك، ومنها ما يدل على تطبيقهم لهذا الاعتقاد.

فمما يدل على اعتقادهم ذلك :

ما جـاء في بغية المستفيد: «.. عـن الشيخ أحمد الزواوي كـان يقول: طريقنـا أن نكثر من الصلاة عليـه ﷺ حتى نصير من جلسائه ونصحبـه يقظة مثل أصحـابه، ونسأله عن أمـور ديننا وعن الأحاديث التي ضعفهـا الحفاظ عندنا ونعمل بقـوله فيها. اهـ. قال مـؤلف بغية المستفيد تعليقاً : إلى غير هذه العبارات المشيرة إلى كيفية الطريقة المحمدية»[١][٢].

وأما ما يدل على تطبيقهم لذلك فمنه :

١ ـ قـال مؤلف جـواهر المعـاني عن الصلاة المسمـاة بياقوتـة الحقائق: «هي مـن إملاء رسول الله ﷺ من لفظه الشريف على شيخنا يقظة لا مناماً»[٣].

٢ ـ وقال أيضاً : «.. سـأل سيد الوجود، وعلم الشهود ﷺ في كل نفـس مشهود، عن نسبه وهل هو من الأبناء والأولاد، أو مـن الآل والأحفاد؟ فأجابه ﷺ بقوله: «أنت ولـدي حقاً» كررها ثلاثـاً ﷺ، وقال: نسبك إلى الحسن بـن علي صحيح، وهذا السـؤال من سيدنا رضـي الله عنه لسيد الوجود يقظة لا مناماً، وبشره ﷺ بأمور عظام جسام ﷺ وشرّف وكرّم ومجّد وعظّم»[٤].

---

(١) تسمى الطريقة التجانية عندهم بالطريقة المحمدية والأحمدية والإبراهيمية والحنفية.

(٢) بغية المستفيد ٧٩.

(٣) جواهر المعاني ٢/ ٢٢٨.

(٤) جواهر المعاني ١/ ٣٠، ٣١.

وقال أيضاً فيما يرويه عن شيخه التجاني: «قال: رأيته مرة ﷺ، وسألته عن الحديث الوارد في سيدنا عيسى عليه السلام، قلت لـه: ورد عنك راويتان صحيحتان واحدة قلت فيها يمكث بعد نزوله أربعين، وقلت في الأخرى سبعاً.. ما الصحيحة منها؟ قال ﷺ: رواية السبع»[١].

(ب) المناقشـــة :

١ ـ لـو سلمنا جدلاً ـ وهـو محال ـ أن النبي ﷺ يرى يقظـة، فالحق أنه لا عمل إلا بـالكتاب والسنـة، والسنة هـي ما أضيف إلـى النبي ﷺ من قـول أو فعل أو تقـرير أو وصـف، وما ادعـاه التجانيون مـن الإخبار عن النبي ﷺ يقظة بعد مـوته فليس داخلاً في تعريف السنـة، فلا يمكن أن يسمى حديثاً مرفوعاً ولا موقوفاً ولا مرسلاً ولا مضطرباً ولا شاذاً.

قال محمـد الخضر الشنقيطـي: «فإن كانـت مرفـوعة متصلـة الإسناد كمـا يقول صـاحب المنية:

وكل ما يروى فعن خير الورى مترجـــم لفظـــــه بالامرا[٢]

فعلى هذا يكون ما قالوه وحياً مرويـاً عن النبي ﷺ لقوله تعالى: ﴿وما ينطق عن الهوى. إن هو إلا وحي يوحى﴾[٣] ويكون هو صحابيـاً والناقلون عنه تابعيون، أو تكون غير مـرفوعة متصلة الإسناد لاستحـالة وجود الصحـابة في القرن الثـاني عشر، فتكون مـروية عن النبي ﷺ مبـاشرة وهذا غير معقـول، اللهم إلا أن يقولوا: إن شريعتهم لما كـانت مخترعة غير داخلـة تحت قانون شرعي وجب أن يخترع لها اصطلاح غير داخل في اصطلاح المحدثين»[٤].

٢ ـ أنه يشترط فيمـا روي عن النبي ﷺ في حياته صحة السند وعدالـة الرواة، فكيف برؤى لا نشك في بطلانها لمخالفتها للأدلة النقلية والعقلية.

٣ ـ أن اتصال النبي ﷺ بـالناس قد انقطع بوفاته كما دل علـى ذلك الكتاب والسنة، فمن ذلك حديث ابن عباس رضي الله عنهما عن النبـي ﷺ قال: «إنكم محشورون حفاة عراة غرلاً، ثم قرأ: ﴿كمـا بدأنا أول خلـق نعيده وعداً علينـا إنا كنا فـاعلين﴾ وأول من يكسى يوم القيـامة إبراهيم، وإن أنـاساً من أصحابي يؤخـذ بهم ذات الشمال فأقول: أصحابي أصحـابي، فيقال:

---

(١) جواهر المعاني ١/ ٥٥.

(٢) منية المريد ٧ مكتبة القاهرة.

(٣) سورة النجم آية ٣، ٤.

(٤) مشتهى الخارف الجاني: ٤٤، ٤٥.

إنهم لم يزالوا مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم، فأقول: كما قال العبد الصالح: ﴿وكنت عليهم شهيداً ما دمت فيهم .. إلى قوله .. الحكيم﴾»[1].

قال الألوسي: «ومعنى الجملتين : أني ما دمت فيهم كنت مشاهداً لأحوالهم فيمكن لي بيانها، فلما توفيتني كنت أنت المشاهد لها لا غيرك فلا أعلم حالهم ولا يمكنني بيانها»[2].

ففي الحديث كما ترى تصريح بانقطاع الاتصال بين الرسول ﷺ وبين الناس بعد مماته.

وقال ابن القيم: «فالعلم اللدني نوعان: لدني رحماني، ولدني شيطاني، والمحك هو الوحي، ولا وحي بعد رسول الله ﷺ»[3].

٤ ـ وقد اختلف الأصوليون هل يجوز للرسول ﷺ تأخير البيان إلى وقت الحاجة أو لا يجوز له ذلك؟ أما تأخير البيان إلى ما بعد وفاته ﷺ فلم يقل به عاقل فضلاً عن عالم منصف يطلب الحق ويتحرى الحقيقة.

٥ ـ وسئل الشيخ التجاني: «أيكذب عليك؟ قال: نعم، إذا سمعتم عني شيئاً فزنوه بميزان الشرع، فما وافق فاعملوا به وما خالف فاتركوه[4]».

قلت: وقد عرضنا ذلك على الكتاب والسنة فبان بطلانه وبعده عن الحق، فوجب عليهم رده أخذاً بوصية شيخهم، كيف لا، وقد بان لهم الدليل.

وسيأتي لهذه المسألة زيادة بيان في المبحث الثاني من هذا الفصل[5].

مذهب أهل السنة والجماعة فيما يدعون تلقيه عن النبي ﷺ بعد موته:

١ ـ سبق أن بيّنا بالأدلة[6] مذهب أهل السنة والجماعة في رؤية النبي ﷺ بعد موته يقظة وأنها من تخييل الشيطان وتوهيمه، وبناء على ذلك فإن ما يدعون أنهم تلقوه عن النبي ﷺ بعد موته يقظة في الدنيا ليس من النبي ﷺ وإنما هو من تخييل الشيطان وتوهيمه.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «والمقصود أن الصحابة رضوان الله عليهم لم يطمع الشيطان

---

(١) رواه البخاري (صحيح البخاري المطبوع مع شرحه فتح الباري ٦/ ٣٨٦، ٣٨٧)، ورواه مسلم (صحيح مسلم مع شرح النووي ١٧/ ١٩٤).

(٢) روح المعاني ٧/ ٦٩، إدارة الطباعة المنيرية.

(٣) مدارج السالكين ٢/ ٢٦١.

(٤) رسالة «الانتصاف» ١ (الحلقة الثالثة) محمد الحافظ التجاني.

(٥) انظر ص١٤١.

(٦) انظر ص١٣٣.

أن يضلهم كما أضل غيرهم من أهل البدع الذين تأولوا القرآن على غير تأويله، أو جهلوا السنة، أو رأوا أو سمعوا أموراً من الخوارق فظنوها من جنس آيات الأنبياء والصالحين، وكانت من أفعال الشياطين.. فأهل الهند يرون من يعظمونه[1] من شيوخهم الكفار وغيرهم، والنصارى يرون من يعظمونه[2] من الأنبياء والحواريين وغيرهم، والضلّال من أهل القبلة يرون من يعظمونه[3]، إما النبي ﷺ، وإما غيره من الأنبياء يقظة، ويخاطبهم ويخاطبونه، وقد يستفتونه ويسألونه عن أحاديث فيجيبهم، ومنهم من يخيل إليه أن الحجرة قد انشقت وخرج منها النبي ﷺ وعانقه هو وصاحبيه.. وهذا وأمثاله، أعرف ممن وقع له هذا وأشباهه عدداً كثيراً، وقد حدَّثني بما وقع له في ذلك وبما أخبره به غيره من الصادقين من يطول هذا الموضوع بذكرهم.. ولكن كثيراً من الناس يكذب بهذا، وكثيراً منهم إذا صدق به ظن أنه من الآيات الإلهية وأن الذي رأى ذلك رآه لصلاحه ودينه، ولم يعلم أنه من الشيطان وأنه بحسب قلة علم الرجل يضله الشيطان»[4].

٢ ـ أن النبي ﷺ إذا رؤي في المنام وتكلم بشيء أو أمر بشيء أو نهى عن شيء، فإن كان موافقاً للكتاب والسنة ولم ينحرف حكماً شرعياً ولا قاعدة دينية؛ علم أن الرؤيا حق وأن الكلام حق، وتكون الرؤيا بشارة وتأنيساً للرائي، ولا يجوز إثبات حكم شرعي بمجرد الرؤيا.

قال الإمام النووي رحمه الله في حديث: «من رآني في المنام فقد رآني»[5]: «فإن معنى الحديث أن رؤيته صحيحة وليست من أضغاث الأحلام وتلبيس الشيطان، ولكن لا يجوز إثبات حكم شرعي به؛ لأن حال النوم ليست حالة ضبط وتحقيق لما يسمعه الرائي، وقد اتفقوا على أن من شرط من تقبل روايته وشهادته أن يكون متيقظاً لا مغفلاً ولا سيء الحفظ ولا كثير الخطأ ولا مختل الضبط، والنائم ليس بهذه الصفة فلم تقبل روايته لاختلال ضبطه، هذا كله في منام يتعلق بإثبات حكم على خلاف ما يحكم به الولاة، أما إذا رأى النبي ﷺ يأمره بفعل ما هو مندوب إليه، أو ينهاه عن منهي عنه، أو يرشده إلى فعل مصلحة، فلا خوف في استحباب العمل على وفقه؛ لأن ذلك ليس حكماً بمجرد المنام بل تقرر من أصل ذلك

---

(١) كذا في الأصل والأقرب إلى الصواب «يظنونه».

(٢، ٣) كذا في الأصل والأقرب إلى الصواب «يظنونه».

(٤) مجموع الفتاوى ٢٧/ ٣٩٠، ٣٩٢.

(٥) سبق تخريجه انظر ص ١٣٣.

الشيء، والله أعلم»[1].

وإن كان الأمر مخالفاً لما تلقاه الصحابة رضي الله عنهم عن النبي ﷺ فلا يغير بسبب ما رآه النائم ما تقرر في الشرع، وقد حكى الإمام النووي الاتفاق على ذلك[2]، ومن الأمثلة على ذلك ما روي أن رجلاً رأى النبي ﷺ في النوم فقال له: اذهب إلى موضع كذا فاحفره فإن فيه ركازاً فخذه لك ولا خمس عليك فيه، فلما أصبح ذهب إلى ذلك الموضع فحفره فوجد الركاز فيه، فاستفتى علماء عصره فأفتوه بأن لا خمس عليه لصحة الرؤيا، وأفتى العز بن عبدالسلام بأن عليه الخمس وقال: «أكثر ما ينزل منامه منزلة حديث صحيح وقد عارضه ما هو أصح منه وهو حديث: «في الركاز الخمس»[3].

فإذا كان هذا هو مذهب أهل السنة والجماعة فيما يدعي النائم أنه أخذه عن النبي ﷺ في النوم مع ثبوت رؤيته ﷺ في المنام في الأحاديث الصحيحة[4]، فكيف بما يزعمون أنهم أخذوه عن النبي ﷺ بعد موته في اليقظة مع أنها مردودة بالشرع والعقل كما سبق[5]؟

---

(١) شرح الإمام النووي على صحيح مسلم ١/ ١١٥.

(٢) شرح الإمام النووي على صحيح مسلم ١/ ١١٥، الموافقات للشاطبي ٢/ ١٩٤، شرح المواهب اللدنية للزرقاني ٥/ ٢٩٤، المدخل لابن الحاج ٤/ ٣٠٣.

(٣) شرح الزرقاني على الموطأ ٢/ ١٠١، ط عبدالحميد أحمد حنفي، وقد نقلها أيضاً السيوطي والعزيزي والعطار في حاشيته على جمع الجوامع، وأبو عبدالله قنون في تعليقه على الموطأ.

(٤) انظر ص١٣٣.

(٥) انظر ص١٣٤.

المبحث الثاني
إيمانهم بأن النبي ﷺ كتم شيئاً مما أوحي إليه

ذكر بعض النصوص التي تدل على إيمانهم بأن النبي ﷺ كتم شيئاً مما أوحي إليه:

بعد أن ذكرنا في المبحث السابق رؤية النبي ﷺ يقظة بعد موته، وحكم ما يدعون أنهم تلقوه عن النبي ﷺ فيها، ناسب أن نذكر هذا الفصل؛ لأن ما عزوه إلى النبي ﷺ بعد موته من الأوراد والأخبار فيه اتهام للنبي ﷺ بعدم تبليغ ذلك للأمة وكتمه عنها.

والنصوص التي تدل على إيمانهم بأن النبي لم يبلغ جميع ما أنزل إليه من ربه وأنه كتم شيئاً منه، كثيرة جداً نذكر منها:

١ ـ قال مؤلف جواهر المعاني: «وسألته رضي الله عنه: هل خبر سيد الوجود بعد موته كحياته سواء؟ فأجاب رضي الله عنه بما نصه:

الأمر العام الذي كان يأتيه عاماً للأمة طوي بساط ذلك بموته ﷺ، وبقي الأمر الخاص الذي كان يلقيه للخاص فإن ذلك في حياته وبعد مماته دائماً لا ينقطع»[(١)].

ثم قال: «.. ولا يقال: إن خبره بعد موته ليس كخبره في حياته، بل هما سيان في جميع ما أخبر به ﷺ، إلا في التفصيل المتقدم من العام للعام، والخاص للخاص»[(٢)].

٢ ـ وقال مؤلف الجيش الكفيل: «وسئل: هل كان ﷺ عالماً بفضل صلاة الفاتح لما أغلق؟ فقال: نعم كان عالماً به. قالوا: ولِمَ لم يذكره لأصحابه؟ قال: لعلمه ﷺ بتأخير وقته وعدم وجود من يظهره الله على يديه في ذلك الوقت»[(٣)].

---

(١) جواهر المعاني ١/ ١٤٠، رماح حزب الرحيم ١/ ١٤٦، الدرة الخريدة ١/ ٧٠، ميزاب الرحمة الربانية ٢١١.

(٢) جواهر المعاني ١/ ١٤١، الدرة الخريدة ٤/ ٢٠٣، ميزاب الرحمة الربانية ٢١١.

(٣) الجيش الكفيل بأخذ الثأر ١١٠، جواهر المعاني ١/ ١٤١.

الأدلة والمناقشة :

الدليل الأول :

قال مؤلف الجيش الكفيل بأخذ الثأر: وفي فقه الأعيان للشيخ سيدي المختار الكنتي رحمه الله تعالى ما نصه: قال عليه الصلاةوالسلام: «أخذت ليلة أسري بي ثلاثة علوم: علم أخذ علي العهد أن أبلغه للخاص والعام، وعلم أخذ علي العهد أن لا أبلغه إلا لخواص أصحابي الذين يقدرون على حمله، وعلم لا يقدر على حمله غيري فأخذ علي العهد ألا أخبر به أحداً».

ثم قال: «فإذا تقرر هذا علمت ضرورة أنه ﷺ لم يؤمر بتبليغ كل ما علمه، كيف وعنده علم الأولين والآخرين؟»[1].

*** المناقشـــة :**

١ ـ إن هذا الحديث مكذوب على النبي ﷺ، فقد قال محمد بن عبدالباقي الزرقاني: «قال الشامي... وهو كذب بلا شك اهـ. والعجب من النعماني حيث أورد الروايتين بطولهما ساكتاً عليهما قائلاً: ولا يستبعد وقوع هذا كله في بعض ليلة»[2].

٢ ـ وعلى فرض صحة الحديث فإنه معارض بنصوص الكتاب والسنة التي تدل على أن النبي ﷺ قد بلغ جميع ما أوحي إليه من ربه ولم ينقص منه حرفاً ولم يزد عليه حرفاً، فمن الكتاب: قوله تعالى: ﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً﴾[3].

وقوله تعالى: ﴿يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك و إن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس﴾[4].

---

(١) الجيش الكفيل بأخذ الثأر ١١٠، ١١١، رشق السهام١١٢.

(٢) وهذا الحديث ذكر في بعض الكتب الصوفية فقد ذكره حسن فهمي النامرواني في كتابه: (الاقتصاد وشرح قصيدة البردة١٤٠ المطبعة العامرية) عند قول البوصيري:

كيما تفوز بوصل أي مستتر ... عن العيون وسر أي مكتتم

كما ذكره ابن عطاءالله في كتابه: المنن، ومحمد بن القاسم القادري في حاشيته على شرح خالد الأزهر على البردة.

(٣) سورة المائدة آية ٣.

(٤) سورة المائدة ٦٧.

ومن السنة ما ورد عن أبي جحيفة قال: «قلت لعلي: هل عندكم كتاب؟ قال: لا، إلا كتاب الله، أو فهم أعطيه رجل مسلم، أو ما في هذه الصحيفة، قال: قلت: فما هذه الصحيفة؟ قال: العقل وفكاك الأسير وألا يقتل مسلم بكافر»[1].

٣ ـ قوله: «فإذا تقرر هذا علمت ضرورة أنه ﷺ لم يؤمر بتبليغ كل ما علمه» يحتمل الحق والباطل، فإن أراد أن النبي ﷺ قد يخص بعض أمته بشيء لا تنبني عليه الأحكام الشرعية فهذا حق، كما أخبر حذيفة وحده بأسماء المنافقين.

وإن أراد أنه قد يخص بعض أمته بشيء ما أمر بتبليغه من الشرع فهذا باطل؛ لعموم آيات التبليغ وإكمال الدين السابق ذكرها قريباً[2].

* الدليل الثاني :

ما صح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «حفظت من رسول الله ﷺ وعاءين، فأما أحدهما فبثثته، وأما الآخر فلو بثثته قطع هذا البلعوم»[3] قال مؤلف بغية المستفيد: «ومعلوم أنه لا يقطع منه البلعوم إلا بإفتاء من لم يطلعه الله تعالى على ما اختص به من العلم الذي يتحققه في باطنه عن رسول الله ﷺ.. وروي مثل ذلك عن مولانا علي كرم الله وجهه، قال الشيخ محيي الدين رضي الله عنه: «وذلك لأنهم يعلمون من الله تعالى ما لا يعلمه غيرهم. قال: وهؤلاء هم حملة العلم الذين كان يقول فيهم علي بن أبي طالب حين يضرب بيده على صدره ويتنهد : «إن ههنا علوماً لو وجدت لها حملة» اهـ. وكثيراً ما تجري هذه العبارة على لسان سيدنا الشيخ رضي الله عنه كما يعلم من استقراء كلامه في رسائله وغيرها»[4].

* المناقشة :

١ ـ إن الجواب الذي كتمه أبو هريرة في أول الأمر لم يكن فيه شيء من علم الدين ومعرفة الله وتوحيده ولا شيء من الأحكام التكليفية، إذ أن هذا مما لا يجوز كتمه. وقد قيل: إن الذي في ذلك الجراب أحاديث الفتن التي تكون بين المسلمين والملاحم التي تكون بين المسلمين والكفار، ولهذا لما كان مقتل عثمان وفتنة ابن الزبير ونحو ذلك قال ابن عمر: لو

---

(١) رواه البخاري (صحيح البخاري المطبوع مع شرحه فتح الباري ١/ ٢٠٤).

(٢) انظر ص ١٤٢.

(٣) رواه البخاري (صحيح البخاري المطبوع مع شرحه فتح الباري ١/ ٢١٦).

(٤) بغية المستفيد ٦٦ ـ ٦٧.

أخبركم أبـو هريرة أنكـم تقتلون خليفتكم وتهدمـون البيت وغير ذلك لقلتـم: كذب أبو هـريرة، فكان أبـو هريـرة يمتنع من التحـديث بأحـاديث الفتن قبـل وقوعهـا؛ لأن ذلك مما لا تحتملـه رؤوس العوام، وقيل: إنه إنمـا كان يمتنع خوفاً من أن يسطـو عليه أمراء بني أمية؛ لمـا يعرفه من الأحاديث التي تبين أسامي أمراء السوء، فكان أبـو هريرة يكني عن بعضها ولا يصرح خوفاً على نفسه، كقـوله: «أعـوذ بالله من رأس ستيـن وإمارة الصبيـان» يشير بـذلك إلى خلافـة يزيـد بن معاوية؛ لأنها كانت سنة ستين من الهجرة، واستجاب الله دعاءه ومات قبلها بسنة[(1)].

٢ ـ أن أبا هريرة مـن الصحابة المكثرين لرواية الحديث، ولـو كانت من الأحكام التكليفية لما وسعـه كتمانها لمـا روي عنه من قولـه: «إن الناس يقولـون: أكثر أبو هـريرة، ولولا آيتـان في كتـاب الله مـا حدثـت حديثـاً. ثـم يتلو: ﴿إن الـذين يكتمـون مـا أنـزلنا مـن البينـات.. إلى.. الرحيم﴾.. الحديث»[(2)].

٣ ـ إن جهل ما كتمه أبو هريرة لا يضر المـؤمن وليست مما يقرب إلى الله تعالى من الأقوال والأعمال.

***الدليل الثالث :**

قال مؤلف رشق السهام :

«وقد خـص بني عبدالدار بـالسدانـة، وخزيمة بأن شهـادته شهـادة عدلين، وأبا بكـر بفتح خوخته، وغيـر ذلك من الأحكام الظاهـرة، وخص حذيفة بـالسر، فظهر بما قـررنا أن تخصيص النبي ﷺ بعض الصحـابة أو الصالحين بعدهـم بمزية لا تعارض أصـلاً شرعياً لا يعد كتمـاناً، وأنه محمـول على أنه مما خير فـي تبليغه لا ما أمر بتبليغـه للعامة، وأن من قال: إنـه أخبره ﷺ بشيء لم يخبر بـه الصحابة لا يعتقد أنه مما أمـر بتبليغه لا يعد ناسباً لـه الكتمان المستحيل في حقه، سيما إذا كان هذا الشيء الذي ذكر داخلاً تحت النصوص الشرعية»[(3)].

*** المناقشة :**

١ ـ إن ما خص النبـي ﷺ به المذكورين ليس من علـم معرفة الله وتوحيده وشـرعه، إذ هذا

---

(١) مجمـوعة الـرسـائل والمسـائل (رسالـة الحجج العقليـة والنقليـة) ١١٢، فتح البـاري ١/ ٢١٦، ٢١٧، مشتهى الخارف الجاني: ١٥.

(٢) رواه البخاري (صحيح البخاري المطبوع مع شرحه فتح الباري ١/ ٢١٣).

(٣) رشق السهام : ١١٦، ١١٧.

مما لا يجوز أن يخص به أحد دون أحد.

٢ ـ أن السر الذي خص به النبي ﷺ حذيفة رضي الله عنه هو معرفته بأعيان المنافقين كما ثبت في الصحيح[١]، ولهذا كان عمر لا يصلي إلا على من صلى عليه حذيفة رضي الله عنه؛ لنهي الله عن الصلاة على المنافقين، وجهل المؤمن بأسماء المنافقين لا يضره[٢].

٣ ـ أن عطف الصالحين على الصحابة في قوله:

«فظهر بما قررنا أن تخصيص النبي ﷺ بعض الصحابة أو الصالحين بعدهم بمزية.. إلخ» مردود؛ لأن النبي ﷺ له أن يخص من شاء من الصحابة بما شاء، أما الصالحين بعدهم فلا سبيل إلى ذلك بعد موته ﷺ وانقطاع الوحي.

وبهذا يتبين أنه لا دليل في هذا على دعوى التجانيين أن النبي ﷺ قد خص التجاني وأتباعه بأشياء كتمها عن صحابته رضي الله عنه، فهو دليل في غير محل النزاع. والله أعلم.

* **الدليل الرابع**: واستدلوا بما ترجم به البخاري (باب من خص بالعلم قوماً دون قوم كراهية ألا يفهموا)[٣].

* **المناقشة**:

وهذا الدليل مردود؛ لأن مراد البخاري رضي الله أن الناس مختلفون ففيهم العلماء وفيهم العوام وفيهم من هو بين بين، فكل إنسان يخاطب على قدر عقله، إذ لو حدثت العوام ببعض الأحاديث لافتتنوا ورموك بالعظائم، ولذلك قال: «كراهية ألا يفهموا».

ولو رجعنا إلى الأحاديث التي ذكرها البخاري تحت هذا الباب لتبين لنا أن هذا مراده، فقد أورد الأثر المروي عن عليّ رضي الله عنه قال: «حدثوا الناس بما يعرفون، أتحبون أن يكذّب الله

---

(١) رواه مسلم (صحيح مسلم مع شرح النووي ٧/ ١٢٤) ونصه: «حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة، حدثنا أسود ابن عامر، حدثنا شعبة بن الحجاج عن قتادة عن أبي نضرة عن قيس قال: قلت لعمار: أرأيتم صنيعكم هذا الذي صنعتم في أمر علي، أرأياً رأيتموه أو شيئاً عهده إليكم رسول الله ﷺ، فقال: ما عهد إلينا رسول الله ﷺ شيئاً لم يعهده إلى الناس كافة ولكن حذيفة أخبرني عن النبي ﷺ قال: قال النبي ﷺ: في أصحابي اثنا عشر منافقاً منهم ثمانية تكفيكهم الدبيلة وأربعة لم أحفظ ما قال شعبة فيهم».

(٢) مجموعة الرسائل والمسائل: ١١٢، ١١٣.

(٣) رشق السهام ١١٦ مطبعة الأمنية، الرباط.

ورسوله؟»[1] وهذا ليس فيه شيء من الكتم المزعوم.

وما رواه أنس بن مالك: «أن النبي ﷺ ـ ومعاذ رديفه على الرحل ـ قال: يا معاذ بن جبل. قال: لبيك يارسول الله وسعديك، ثلاثاً. قال: ما من أحد يشهد ألا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله صدقاً من قلبه إلا حرمه الله على النار. قال: يا رسول الله أفلا أخبر به الناس فيستبشروا؟ قال: إذن يتكلوا» وأخبر بها معاذ عند موته تأثماً[2].

يجاب عنه بأن معاذاً لو كان يعتبر ذلك سراً لايسعه التحدث به لما تحدث به عند موته خوفاً من الإثم، ولذلك قال الحافظ ابن حجر العسقلاني: «دل صنيع معاذ على أنه عرف أن النهي عن التبشير كان على التنزيه لا على التحريم، وإلا لما كان يخبر به أصلاً، أو عرف أن النهي مقيد بالاتكال فأخبر به من لا يخشى عليه ذلك. ثم قال الحافظ: «والأول ـ أي حمله على التنزيه ـ أَوْجَه؛ لكونه أخّر ذلك إلى وقت موته»[3] اهـ.

وبهذا يتبين أنه لا دليل لهم في حديث معاذ على ما ادّعوه.

وبعد مناقشة هذه الأدلة نعود إلى مناقشة ما يحتاج إلى مناقشة من النصوص السابقة فنقول وبالله التوفيق :

(أ) قوله: «وبقي الأمر الخاص الذي كان يلقيه للخاص، وأن ذلك في حياته وبعد مماته دائماً لا ينقطع»[4].

هذا القول مردود من وجوه :

١ ـ أنه لا دليل عليه من الكتاب ولا من السنة، ولا يجوز قبول شيء من أمر الدين إلا بالوحي من كتاب أو سنة ، وذلك لأن السنة وحي من عند الله: ﴿وما ينطق عن الهوى. إن هو إلا وحي يوحى﴾[5] والرسول ﷺ لا يكذب على الله، لقوله ﷺ في حديث تأبير النخل.. وفيه: «.. فقال: إن كان ينفعهم ذلك فليصنعوه فإني إنما ظننت ظناً فلا تؤاخذوني بالظن، ولكن إذا حدثتكم عن الله شيئاً فخذوا به فإني لن أكذب على الله عز وجل»[6] ولم يرو عن النبي ﷺ

---

(١) رواه البخاري (صحيح البخاري المطبوع مع شرحه فتح الباري ١/ ٢٢٥).

(٢) رواه البخاري (صحيح البخاري المطبوع مع شرحه فتح الباري ١/ ٢٢٦).

(٣) فتح الباري ١/ ٢٢٧.

(٤) انظر ص١٤١.

(٥) سورة النجم آية: ٣، ٤.

(٦) رواه مسلم (صحيح مسلم المطبوع مع شرح النووي ١٥/ ١١٦، ١١٧).

شيء في ذلك حتى يؤخذ به.

٢ ـ أن النبي ﷺ قد بين في حياته لأمته أحكام الدين كاملة كما في حديث جبريل، حينما سأل جبريل النبي ﷺ عن الإسلام والإيمان والإحسان، وفيه: «.. ثم أدبر فقال: ردوه، فلم يروا شيئاً. فقال: هذا جبريل جاء يعلم الناس دينهم»[١] فما خرج عن هذه الثلاثة فليس من الدين، ومنه الخاص الذي زعم التجانيون أن النبي ﷺ يلقيه للخاص فليس من الدين وليس مما يقرب إلى الله تعالى؛ لأن النبي ﷺ بيّن لأمته كل شيء يقربها إلى الله وحذرها من كل شيء يحول بينها وبين مغفرته ورضاه، كما قال ﷺ:

«.. وإني قد تركت فيكم ما لن تضلوا بعده إن اعتصمتم به: كتاب الله»[٢].

وقال ﷺ: «تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما: كتاب الله وسنة نبيه[٣]» وما كان كذلك فلا يجوز اعتقاده والعمل به[٤].

٣ ـ أن هذا القول فيه اتهام للنبي ﷺ بكتمان بعض ما أوحي إليه عن جميع أصحابه رضي الله عنهم، وهذا مخالف لكثير من الآيات والأحاديث التي تدل على أن النبي ﷺ قد بلّغ ما أنزل إليه من ربه، كقوله تعالى: ﴿يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس﴾[٥].

وقوله تعالى: ﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً﴾[٦].

وحديث أبي جحيفة السابق[٧]، وما خالف الكتاب والسنة فهو قول باطل قطعاً.

٤ ـ أن هذا النص يدل على أمر خطير وهو عدم انقطاع خبر السماء عن الناس بوفاة الرسول ﷺ، وهو خلاف ما ثبت عن أبي بكر وعمر وأم أيمن رضي الله عنهم. فعن أنس رضي الله عنه قال: «قال أبو بكر رضي الله عنه بعد وفاة رسول الله ﷺ لعمر: انطلق بنا إلى أم أيمن نزورها كما

---

(١) رواه البخاري (صحيح البخاري المطبوع مع شرحه فتح الباري ١/ ١١٤.

(٢) رواه أبو داود (سنن أبي داود المطبوع مع شرحه عون المعبود ٥/ ٣٧٧، ٣٧٨).

(٣) رواه مالك في الموطأ (موطأ مالك المطبوع مع شرحه الزرقاني ٤/ ٢٤٦).

(٤) الهدية الهادية ١٨ الطبعة الثانية.

(٥) سورة المائدة آية ٦٧.

(٦) سورة المائدة آية ٣.

(٧) انظر ص ١٤٣.

وفي رواية لمسلم عن عائشة أنها قالت: «.. ولو كـان محمد ﷺ كاتماً شيئاً مما أنزل عليه لكتم هذه الآيـة: ﴿وإذ تقول للذي أنعم الله عليه وأنعمت عليـه أمسك عليك زوجك واتق الله وتخفي في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه﴾[1].

ومنها حديث أبي جحيفة السابق[2].

فهذه الأحـاديث كلها تدل علـى أن النبي ﷺ قد بلَّغ كل مـا أوحي إليه ولم يكتم منـه شيئاً كما يزعم التجانيون.

* الإجمـــاع :

أجمع المسلمون علـى أن الرسول ﷺ قد بلـغ رسالة ربه ولم يكتـم منها حرفاً واحـداً، قال الرازي فـي التفسير الكبير: «أجمع المسلمـون على أنه لا يجـوز على الرسول ﷺ أن يخـون في الوحي والتنـزيل وأن يترك بعض مـا يوحى إليه؛ لأن تجـويزه يؤدي إلى الشك فـي كل الشرائع والتكاليـف وذلك يقدح فـي النبوة، وأيضـاً فالمقصـود من الرسـالة تبليـغ تكاليف الله تعـالى وأحكامـه، فإذا لم تحصل هـذه الفائدة فقد خـرجت الرسـالة عن أن تفيـد فائدتها المطلـوبة منها»[3].

ومن اعتقد أن النبي ﷺ قد كتم شيئـاً مما أوحاه الله إليه فقد كفر؛ لمخالفتـه لصريح القرآن والسنة المطهرة وإجماع الأمة.

قال أبو محمد ابن حزم رحمه الله: «.. واعلمـوا أن رسول الله ﷺ لـم يكتم من الشريعة كلمة فما فوقهـا، ولا أطلع أخص الناس به من زوجـة أو ابنة عم أو ابن عم أو صـاحب على شيء من الشريعة كتمـه عن الأحمر والأسود ورعاة الغنم، ولا كـان عنده عليه السلام سر ولا رمـز ولا باطن غير ما دعا النـاس كلهم إليه، ولو كتمهم شيئاً لما بلغ كمـا أمر، ومن قال هذا فهو كافـر، فإياكم وكل قول لـم يبين سبيلـه ولا وضح دليله، ولا تعوجوا عما مضى عليـه نبيكم ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم»[4].

= أنها قالـت: «.. ومن زعم أن رسول الله ﷺ كتم شيئاً مـن كتاب الله فقد أعظم على الله الفـرية، والله يقول: ﴿يا أيهـا الرسـول بلغ ما أنـزل إليك من ربك وإن لـم تفعل فما بلغت رسـالته﴾.. الحـديث» (صحيح مسلم بشرح النووي ٣: ٨، ٩).

(١) رواه مسلم (صحيح مسلم مع شرح النووي ٣/ ١٠).

(٢) انظر ص١٤٣.   (٣) التفسير الكبير ١٧/ ١٩٣ المطبعة البهية المصرية.

(٤) الفصل في الملل والأهواء والنحل ٢/ ١١٦ مكتبة المثنى ببغداد.

المبحث الثالث

إيمانهم بجواز التوسل بذات النبي ﷺ وبعباد الله الصالحين

ذكر بعض النصوص التي تدل على إيمانهم بجواز التوسل بذات النبي ﷺ وعباد الله الصالحين :

يؤمن التجانيون بجواز التوسل بذات النبي ﷺ وبالشيخ التجاني، ومؤلفاتهم مليئة بالنصوص التي تدل على ذلك، وسنورد هنا نصين فقط لمجرد الدلالة على هذا الاعتقاد، وسيرد في الأدلة ما يؤيد ذلك ويدعمه، ومن أراد الاستزادة فليراجع كتب الطريق كجواهر المعاني، وكرماح حزب الرحيم، وكالبغية وغيرها..

١ ـ قال مؤلف رماح حزب الرحيم مشيراً إلى كيفية التوسل بالنبي ﷺ، وبالشيخ التجاني فقال: «وأما كيفية التوسل به رضي الله عنه وبجده ﷺ فهي أنك مهما أردت حاجة من حوائج الدنيا والآخرة فصل على رسول الله ﷺ بصلاة الفاتح لما أغلق مائة[1]، وأهد ثوابها لرسول الله ﷺ بنية قضاء الحاجة التي تريدها ثم تقول: يارب توسلت إليك بحبيبك ورسولك وعظيم القدر عندك سيدنا محمد ﷺ في قضاء الحاجة التي أريدها ـ مائة مرة ـ ثم تقول: أسألك وأتوجه إليك بجاه القطب الكامل سيدنا أحمد بن محمد التجاني وجاهه عندك أن تعطيني كذا وكذا، وتسمي حاجتك بعينها عشراً..»[2].

٢ ـ وقال مؤلف الدرة الخريدة: «من زار من الإخوان الأحمديين شيخاً من المشايخ حياً كان أو ميتاً بقصد التوسل به والاستمداد غير شيخنا أبي الفيض[3].. فقد خرج عن طريقة الأحمدية ولا إذن عنده فيها، بل انسلخ منها انسلاخ الجلد عن النعاج، وانفصل عنها انفصال البيض عن الدجاج..[4] إلخ».

---

(١) سبق ذكرها انظر ص ١١٣.

(٢) رماح حزب الرحيم في نحور حزب الرجيم ١/ ٢٦٥.

(٣) هي كنية التجاني وسموه بذلك لكثرة ما يفيضه عليهم من الخير كما يزعمون.

(٤) الدرة الخريدة ٣/ ١٤٤.

الأدلــة والمناقشـــة :

الدليل الأول :

يستدلون بقوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا إليه الوسيلة﴾[1].

وجه الدلالة منها أنه حينما سئل عن معنى هذه الآية قال: «معناها: اتقوا الله وخافوه من شدة عقابه وابتغوا إليه الوسيلة وهي الأعمال الصالحات التي فيها رضاه سبحانه وتعالى، ويؤخذ من هذه الآية على طريق الإشارة: وابتغوا إليه الوسيلة التي تنقطعون بها عن غيره لتصلوا به، ولا وسيلة أعظم من النبي ﷺ، ولا وسيلة إلى النبي ﷺ أعظم من الصلاة عليه ﷺ، ومن جملة ما يبتغي الوسيلة إلى الله تعالى الشيخ الكامل فإنه أعظم الوسائل إلى الله تعالى والسلام»[2]اهـ.

***المناقشـــة :**

١ ـ إن هذه الآية لا دلالة فيها على أن المقصود بالوسيلة هو النبي ﷺ، فهي دليل في غير محل النزاع.

٢ ـ إن الوسيلة التي وردت في الآية بمعنى القربة وهي التقرب إلى الله بالأعمال الصالحة كالصلاة وسائر الطاعات، وهي التي أشار لها التجاني في بداية جوابه فيا ليته اقتصر على ذلك.. وهذا المعنى هو الذي اتفق عليه الأئمة من المفسرين.

«قال ابن كثير عند قوله تعالى: ﴿وابتغوا إليه الوسيلة﴾[3] :

«قال سفيان الثوري عن طلحة عن عطاء عن ابن عباس: أي: القربة. وكذا قال مجاهد، وأبو وائل، والحسن، وقتادة، وعبدالله بن كثير، والسدي، وابن زيد، وغير واحد، وقال قتادة: أي تقربوا إليه بطاعته والعمل بما يرضيه.. » ثم قال ابن كثير بعد ذلك: «وهذا الذي قال هؤلاء الأئمة لا خلاف بين المفسرين فيه»[4].

فهذا ما ورد عن السلف في تفسير هذه الآية، ولم يقل أحد منهم: إن المقصود بالوسيلة هو النبي ﷺ، أو أحد المشايخ كالتجاني أو غيره، فتفسير هذه الآية بهذا التفسير مع إجماع

---

(١) سورة المائدة آية: ٣٥.

(٢) جواهر المعاني ١/ ٢١٧.

(٣) سورة المائدة: ٣٥.

(٤) تفسير ابن كثير ٢/ ٥٢ دار إحياء الكتب العربية ـ الحلبي، تفسير القرطبي ٦/ ١٥٩.

العلماء على خلافه تفسير باطل؛ ولهذا قال الألوسي رحمه الله: «واستدل بعض الناس بهذه الآية على مشروعية الاستغاثة بالصالحين وجعلهم وسيلة بين الله تعالى وبين العباد، والقسم على الله بهم بأن يقال: اللهم إنا نقسم عليك بفلان أن تعطينا كذا. ومنهم من يقول للغائب أو الميت من عباد الله الصالحين: يا فلان ادع الله تعالى ليرزقني كذا وكذا. ويزعمون أن ذلك من باب ابتغاء الوسيلة.. وكل ذلك بعيد عن الحق بمراحل»[1].

* الدليل الثاني :

ويستدلون بما يروى عن النبي ﷺ أنه قال: «توسلوا بجاهي فإن جاهي عند الله عظيم». قال ابن عباس رضي الله عنهما: «لم يخلق الله جاهاً أعظم من جاه النبي ﷺ»[2].

* المناقشة :

١ ـ إن هذا الحديث مكذوب على النبي ﷺ، فقد أورده شيخ الإسلام ابن تيمية بلفظ: «إذا سألتم الله فاسألوه بجاهي، فإن جاهي عند الله عظيم» ثم قال: «وهذا الحديث كذب ليس في شيء من كتب المسلمين التي يعتمد عليها»[3].

وقال السهسواني: «لم يروه أحد من أهل العلم ولا هو في شيء من كتب الحديث»[4][5].

٢ ـ إن التوسل بجاه النبي ﷺ وغيره، قال بالمنع منه جماهير العلماء، ولا أعلم مخالفاً في ذلك إلا العز بن عبد السلام[6] فأجاز التوسل بجاه النبي ﷺ خاصة، وعلّق القول بذلك على صحة الحديث الذي رواه الترمذي عن عثمان بن حنيف رضي الله عنه: «أن رجلاً ضرير البصر أتى النبي ﷺ فقال: ادع الله تعالى أن يعافيني. فقال: إن شئت دعوت وإن شئت صبرت فهو خير لك. فقال: ادعه. قال: فأمره أن يتوضأ فيحسن وضوءه ويدعو بهذا الدعاء: «اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد نبي الرحمة، إني توجهت بك إلى ربي في حاجتي هذه لتقضى لي، اللهم فشفعه في»[7].

---

(١) روح المعاني ٦/ ١٢٤ ـ ١٢٥ دار إحياء التراث.

(٢) بغية المستفيد ١٢٥.

(٣) قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة ١٣٢ ط السلفية.

(٤) صيانة الإنسان ١٨٨ المطبعة السلفية.

(٥) وقال الألباني: «لا أصل له» سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة ١: ٣٠ الطبعة الثالثة.

(٦) صيانة الإنسان ١٨٢، تيسير العزيز الحميد ٢٢٨، ٢١٢. ومما ينبغي التنبيه إليه أن العز بن عبد السلام ممن سلك طريق التصوف.

(٧) رواه الترمذي وقال: «هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه من حديث إلى جعفر وهو غير =

وفي الجواب عنه نقول:

إن هذا الحديث قد اختلف العلماء في صحته؛ لاختلافهم في أبي جعفر راوي الحديث، فإن كان الخطمي فهو ثقة والحديث صحيح، وإن كان غيره فهو محل نظر، والراجح أن الحديث صحيح وأن أبا جعفر الذي عليه مدار الحديث هو الخطمي ويدل على ذلك أمور:

(أ) أن الخطمي هو الذي يروي عن عمارة بن خزيمة، ويروي عنه شعبة كما في إسناد هذا الحديث[1].

(ب) أنه قد جاء في بعض نسخ الترمذي التصريح بأن أبا جعفر هو الخطمي كما في النسخة المطبوعة سنة (١٢٩٢هـ) في مطبعة بولاق[2] وهي من أقدم الطبعات، ويؤيد ذلك أن أحمد رواه في المسند[3] في رواية له وصرح بأنه الخطمي.

(جـ) أن أكثر العلماء قالوا بأنه الخطمي وأن الحديث صحيح.

فقد رواه ابن ماجه في سننه وقال: «هذا حديث صحيح»[4].

ورواه الحاكم في المستدرك وقال: «هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه»[5].

وقال ابن تيمية رحمه الله: «وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح غريب لا يعرف إلا من هذا الوجه من حديث أبي جعفر وهو غير الخطمي، هكذا وقع في الترمذي، وسائر العلماء قالوا : هو أبو جعفر الخطمي، وهو الصواب»[6][7].

وبهذا يترجح صحة هذا الحديث. والله أعلم.

٢ ـ ثم إن هذا الحديث ليس فيه دليل على جواز التوسل بذات النبي ﷺ أو بجاهه، إذ هو على تقدير حذف مضاف، أي بدعاء نبيك أو بشفاعته، ويدل على هذا المعنى أمور كثيرة منها:

= الخطمي» (جامع الترمذي المطبوع مع شرحه تحفة الأحوذي ١٠/ ٣٢، ٣٤).

(١) تهذيب التهذيب ٨/ ١٥١ دار صادر.

(٢) جامع الترمذي ٢/ ٢٧٧ طبعة بولاق.

(٣) المسند ٤/ ١٣٨ السطر ٢٧.

(٤) سنن ابن ماجه ١/ ٤٤١ ط الحلبي.

(٥) المستدرك ١/ ٣١٣، ٥١٩.

(٦) قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة ٩٦ ط السلفية.

(٧) وقال الألباني: «والصواب أنه الخطمي نفسه» انظر التوسل أنواعه وأحكامه للألباني ٧٠ الطبعة الثانية.

(أ) قول الأعرابي أول الحديث: «ادع الله أن يعافيني» وقوله بعد ذلك: «فادعه».

(ب) قول النبي ﷺ: «إن شئت دعوت وإن شئت صبرت وهو خير».

(جـ) قول الأعرابي في دعائه «اللهم فشفعه في».

(د) أن مجيء الأعرابي إلى النبي ﷺ كان بقصد أن يدعو له، إذ لو كان قصده التوسل بذاته أو بجاهه لكان يكفيه أن يجلس في بيته ويدعو قائلاً مثلاً: اللهم ردّ إليّ بصري بجاه نبيك محمد ﷺ.

فهذه الأمور كلها تدل دلالة صريحة على أن قصد الأعرابي كان هو التوسل بدعاء النبي ﷺ، وذلك جائز مشروع[1].

٣ ـ وأخيراً فإن هذا الحديث دليل في غير موضع الاستدلال، فالأعرابي طلب من النبي ﷺ أن يدعو له مع حضوره في حياته ﷺ، فأين هذا من دعاء الأموات والالتجاء إليهم في الشدائد[2]؟

وبهذا يتبين القول الحق. والله أعلم.

*** الدليل الثالث :**

استدلوا بقياس الخالق على المخلوقين، فقال مؤلف الدرة الخريدة: «.. وتأمل بيوت الحكام تجدها لابد فيها من الواسطة، ففي سلوكنا للوسائط سلوك للأدب معهم وسرعة لقضاء حوائجنا، ومن أين لأمثالنا أن يعرف أدب خطاب الله عز وجل؟»[3].

*** المناقشـــة :**

والرد على هذا من وجوه :

١ ـ أن هذا قياس فاسد، إذ الوسائط التي تكون بين الناس والملوك تكون على أحد ثلاثة وجوه، والله سبحانه وتعالى منزه عنها جميعاً، وهذه الوجوه تتلخص فيما يلي:

(أ) فالوساطة بين الناس والحكام تكون لإخبارهم بما لا يعرفون من أمر رعاياهم، والله سبحانه وتعالى عالم الغيب والشهادة فهو ليس بحاجة إلى مثل هذا، ومن نسب الجهل إلى الله فقد كفر.

---

(١) قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة ١٣٦ ط السلفية.

(٢) قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة ١٣٩، ١٤٠.

(٣) الدرة الخريدة ٤/ ٨٠.

(ب) أن الملك قد يكون عاجزاً عن تدبير أمور رعيته وقمع أعدائه فلابد له ممن يعينه على ذلك، والله سبحانه وتعالى منزه عن ذلك فليس له ظهير ولا معين، وهو على كل شيء قدير.

(جـ) أن الملك قد يكون ظالماً لرعيته لا يريد النفع لهم إلا بمحرك يحركه من الخارج، فإذا خاطب الملك من يخافه أو يرجوه تحركت إرادته، والله سبحانه منزه عن كل ذلك، فهو رب كل شيء ومليكه وهو أرحم بعباده من الوالدة بولدها[1].

٢ ـ أنه لو كان هناك ملكان، أحدهما يقوم بقضاء حوائج الناس بلا واسطة والآخر يقوم بقضائها بواسطة، فلاشك أن الأفضل هو الذي يقوم بقضاء حوائج الناس بلا واسطة، فلماذا شبهتم الله بالمفضول دون الفاضل؟ ثم كيف تشبهونه تعالى بظلمة الحكام الذين جعلوا على أبوابهم حجاباً فلا يصل إليهم أحد إلا بشفاعة ووساطة؟ ﴿وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون﴾[2][3].

٣ ـ قولهم: «فمن أين لأمثالنا أن يعرف أدب خطاب الله عز وجل؟».

قلت: إن أدب دعاء الله تعالى ومسألته قد بينه الله في كتابه وعلى لسان نبيه ﷺ، فقال سبحانه: ﴿وقال ربكم ادعوني أستجب لكم﴾[4] وقد أخذ العلماء من هذه الآية معنى لطيفاً وهو عدم اتخاذ الوسائل؛ لأن الله تعالى هو الذي تولى القول بنفسه كما قرن بين الدعاء والإجابة.

وأدب سؤال الله تعالى ودعاؤه معروف مشهور، فلابد من دعاء الله بقلب مخلص خاشع مع فعل الأسباب واجتناب الموانع التي تحول بين الدعاء والاستجابة[5].

---

(١) مجموع الفتاوى ١/ ١٢٦، ١٢٧.

(٢) سورة الزمر آية ٦٧.

(٣) التوصل إلى حقيقة التوسل ٣٤٢ الطبعة الثالثة.

(٤) سورة المؤمن آية ٦٠.

(٥) فالدعاء له آداب وشروط منها: ١ ـ أن يدعو الله مخلصاً من قلبه.
٢ ـ ألا يعتدي في دعائه. ٣ ـ ألا يدعو بإثم أو قطيعة رحم.
٤ ـ أن يكون مطعمه ومشربه وملبسه حلال.
٥ ـ ألا يستبطئ الإجابة.
٦ ـ أن يعزم في الدعاء فلا يقول: رب اغفر لي إن شئت.

مذهب أهل السنة والجماعة وحكم التوسل :

معنى الوسيلة :

قبل الحديث عن مذهب أهل السنة والجماعة في التوسل، لابد من الإشارة إلى معنى الوسيلة كما وردت في القرآن الكريم والسنة المطهرة وفي كلام الصحابة وفي لغة العرب:

فمعنى الوسيلة في اللغة: هي المنزلة والدرجة والقربة[١]، ومعناها في القرآن الكريم: القربة، وهي التقرب إلى الله تعالى بالطاعات من واجبات ومستحبات، قال الله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا إليه الوسيلة﴾[٢] وقال سبحانه: ﴿قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا. أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه إن عذاب ربك كان محذوراً﴾[٣].

ومعناها في الحديث النبوي الشريف درجة في الجنة فقد ورد عن النبي ﷺ أنه قال: «..ثم سلوا الله لي الوسيلة فإنها منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله وأرجو أن أكون أنا هو، فمن سأل لي الوسيلة حلت له الشفاعة»[٤].

فهذه الوسيلة درجة للنبي ﷺ خاصة، وقد أمرنا أن نسأل الله له هذه الوسيلة عقب كل أذان في الدعاء المشهور: «اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت محمداً الوسيلة والفضيلة وابعثه مقاماً محموداً الذي وعدته»[٥].

ومعناها في كلام الصحابة طلب الدعاء منه ﷺ في حياته وطلب شفاعته في الآخرة، ومنه قول عمر في حديث العباس: «اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبيك فتسقينا، وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا.. قال.. فيسقون»[٦].

فهم توسلوا بدعاء النبي ﷺ في حياته وبدعاء العباس بعد وفاة الرسول ﷺ لا بذاته، إذ لو كانوا توسلوا بذاته لما عدلوا عن رسول الله ﷺ.

---

(١) لسان العرب ١٤/ ٢٥٠، القاموس المحيط ٤/ ٦٥، مختار الصحاح ٧٤٧، مطبعة مصطفى الحلبي.

(٢) سورة المائدة آية ٣٥.

(٣) سورة الإسراء ٥٦، ٥٧.

(٤) رواه مسلم (صحيح مسلم المطبوع مع شرح النووي ٤/ ٨٥).

(٥) رواه البخاري (صحيح البخاري المطبوع مع شرحه فتح الباري ٢/ ٩٤)، رواه أبو داود (سنن أبي داود المطبوع مع شرحه عون المعبود ٢/ ٢٣١، ٢٣٢).

(٦) رواه البخاري (صحيح البخاري المطبوع مع شرحه فتح الباري ٢/ ٤٩٤).

وأما التوسل في اصطلاح كثير من المتأخرين فيراد به الإقسام بالنبي ﷺ والسؤال به، كما يقسمون بغيره من الأنبياء والصالحين ومن يعتقد فيهم الصلاح[1].

حكم التوسل عند أهل السنة :

والتوسل عند أهل السنة والجماعة ينقسم إلى قسمين :

١ ـ توسل مشروع.

٢ ـ توسل محرم ممنوع.

وإليك بيان كل وحد منهما.

١ ـ التوسل المشروع ينقسم إلى ثلاثة أقسام :

(أ) التوسل بأسماء الله الحسنى وصفاته العلى، وهذا ثابت في الكتاب والسنة، قال الله تعالى: ﴿ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها﴾[2].

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «كنت مع رسول الله ﷺ جالساً، يعني ورجل قائم يصلي، فلما ركع وسجد وتشهد دعا فقال في دعائه: اللهم إني أسألك بأن لك الحمد لا إله إلا أنت المنان بديع السموات والأرض، يا ذا الجلال والإكرام يا حي يا قيوم إني أسألك. فقال النبي ﷺ لأصحابه: تدرون بما دعا؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: والذي نفسي بيده لقد دعا باسمه العظيم الذي إذا دعي به أجاب وإذا سئل به أعطى»[3].

(ب) التوسل بالأعمال الصالحة وهو ثابت بالكتاب والسنة، أما الكتاب فقوله تعالى: ﴿وابتغوا إليه الوسيلة﴾[4] وقوله تعالى: ﴿يبتغون إلى ربهم الوسيلة﴾[5] والمراد بالوسيلة كما سبق[6]: القربة، وهي التقرب لله بالطاعات. وأما السنة فما روي عن ابن عمر رضي الله عنه عن

---

(١) قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة ٤٨، ٥٠ ط السلفية.

(٢) سورة الأعراف آية ١٨٠.

(٣) رواه النسائي (سنن النسائي ٣/ ٥٢) ورواه ابن ماجه (سنن ابن ماجه ٢/ ١٢٦٨) ورواه أحمد (المسند ٣/ ١٢٠، ١٥٨، ٢٤٥، ٢٦٥) ورواه الحاكم في المستدرك ١/ ٥٠٣، ٥٠٤، وقال: «هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه».

(٤) سورة المائدة آية ٣٥.

(٥) سورة الإسراء آية ٥٧.

(٦) انظر ص١٥٢.

رسـول الله ﷺ قال: «بينمـا ثـلاثة نفـر يتمـاشون أخـذهم المطـر فمـالوا إلـى غار فـي الجبل، فـانحطت على فم غـارهم صخـرة من الجبل فـأطبقت عليهم فقـال بعضهم لبعض: انظـروا أعمالاًعملتموها لله صالحة فادعوا الله بها لعله يفرجها.. الحديث»[١].

ومن التوسل بالأعمال الصـالحة التوسل بالإيمان بالنبي ﷺ وتصديقه فـي رسالته، وطاعته فيمـا أمر بـه واجتناب مـا نهى عنـه، ونصرتـه حياً وميتـاً، ومعاداة مـن عاداه ومـوالاة من والاه، والتوسل بمحبة الصالحين وتوقيرهم وإجلالهم، ونحو ذلك، فهذا التوسل هو عين دين الإسلام.

ومن التوسل المشروع: أن يدعو الله سبحانه بإضـافته إلى عباده الصالحين كما في حديث عائشـة رضي الله عنها: «اللهم رب جبريـل وميكائيل وإسرافيـل.. الحديث»[٢] ومنه حديث: «.. اللهم رب محمد النبـي اغفر لي ذنبي، وأذهب غيظ قلبـي، وأجرني من مضـلات الفتن ما أحييتنا»[٣].

ومن التوسـل بالأعمال الصـالحة: التوسل بـالصلاة على النبي ﷺ، ومن ذلـك ما ورد في حـديث أبي بـن كعب في فضـل الصلاة علـى النبي ﷺ وفيـه قـال: «إذاً تكفى همك ويغفـر ذنبك»[٤].

(جـ) التوسل بـدعاء النبي ﷺ لمن توسل به فـي حياته، وكذا التوسل بـدعاء الصالحين، ومنه قول عمـر رضي الله عنه: «اللهم إنا كنا نتـوسل إليك بنبينا ﷺ فتسقينا، وإنـا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنـا. قال: فيسقون»[٥] فهم كانوا يتـوسلون بدعاء النبي ﷺ في حياتـه، ثم توسلوا بدعاء العباس بعد وفاته.

ومنه قـول الأعرابي حيـن أصابت الناس سنـة على عهد رسـول الله ﷺ قال: «يـا رسول الله هلك المال وجـاع العيال فادع الله لنا. فرفع يـديه ـ ومانـرى في السماء قزعة ـ فـو الذي نفسي

---

(١) رواه البخاري (صحيح البخاري المطبوع مع شرحه فتح الباري ١٠/ ٤٠٤).

(٢) رواه مسلم (صحيح مسلم مع شرح النووي ٦/ ٥٦، ٥٧).

(٣) رواه أحمـد في المسنـد ٦/ ٣٠٢. وقـال الهيثمي: «عنـد التـرمـذي بعضـه، رواه أحمـد وإسنـاده حسن» (مجمع الزوائد ١٠/ ١٧٦).

(٤) رواه الترمـذي (جامع الترمـذي مع شرحـه تحفةالأحوذي ٧/ ١٥٣، ١٥٤) وقـال الترمذي: «هـذا حديث حسن» وقـال الهيثمي: رواه التـرمـذي ولفظه: «إذاً تكفـى همك ويغفـر ذنبك» رواه أحمـد وإسناده جيـد (مجمع الزوائد ١٠/ ١٦٠).

(٥) رواه البخاري (صحيح البخاري مع شرحه الفتح ٢/ ٤٩٤).

بيده ما وضعها حتى ثار السحاب أمثال الجبال.. الحديث»[1].

ومن التوسل بدعاء الصالحين ما روي عن أبي الزبير عن صفوان بن عبدالله بن صفوان.. قال: قدمت الشام فأتيت أبا الدرداء في منزله فلم أجده ووجدت أم الدرداء، فقالت: أتريد الحج العام؟ فقلت: نعم. قالت: فادع الله لنا بخير فإن النبي ﷺ كان يقول: «دعوة المرء المسلم لأخيه بظهر الغيب مستجابة، عند رأسه ملك موكل كلما دعا لأخيه بخير قال الملك الموكل به: آمين، ولك بمثل» قال: فخرجت إلى السوق فلقيت أبا الدرداء فقال لي مثل ذلك، يرويه عن النبي ﷺ[2].

ولا يتوقف دعاء المسلم لأخيه على فاضل أو مفضول، فقد طلب النبي ﷺ من عمر بن الخطاب أن يدعو له، فقد روي أن عمر بن الخطاب استأذن النبي ﷺ في العمرة، فقال له النبي ﷺ: «أي أخي أشركنا في دعائك ولا تنسنا»[3].

كما يكون هذا التوسل يوم القيامة حيث يتوسلون بشفاعته ﷺ الثابتة بالأحاديث الصحيحة[4].

وأما التوسل المحرم الممنوع فينقسم إلى ثلاثة أقسام:

(أ) أن يكون بذات الشخص المتوسل به سواء كان النبي ﷺ أو غيره.

(ب) أن يكون بجاه الشخص المتوسل به سواء كان النبي ﷺ أو غيره.

(جـ) أن يقسم على الله بالمتوسل به.

وسنتناول كل قسم من هذه الأقسام الثلاثة فيما يلي:

(أ) التوسل بذات الشخص المتوسل به، وهو ما يقصدون به الاستغاثة بالمخلوق - سواء كان النبي ﷺ أو غيره - فيما لا يقدر عليه إلا الله، وذلك غير جائز لأمور:

---

(١) رواه البخاري (صحيح البخاري المطبوع مع شرحه فتح الباري ٢/ ٤١٣)، ورواه مسلم (صحيح مسلم مع شرح النووي ٦/ ١٩١) بنحوه.

(٢) رواه مسلم (صحيح مسلم مع شرح النووي ١٧/ ٥٠).

(٣) رواه الترمذي وقال: هذا حديث حسن صحيح (جامع الترمذي مع شرحه تحفة الأحوذي ١٠/ ٧)، ورواه أبو داود (سنن أبي داود مع شرحه عون المعبود ٤/ ٣٦٥)، ورواه ابن ماجه (سنن ابن ماجه ٢/ ٩٦٦) بلفظ: «يا أخي أشركنا في شيء من دعائك ولا تنسنا».

(٤) انظر: صحيح البخاري المطبوع مع شرحه فتح الباري ١٣/ ٣٩٢، ٣٩٣.

١ ـ أنه لم يرد دليل شرعي يدل عليه لا في كتاب الله ولا في سنة رسول الله ﷺ.

٢ ـ أن الدليل دل على خلافه، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ومن يدع مع الله إلهاً آخر لا برهان له به فإنما حسابه عند ربه إنه لا يفلح الكافرون﴾[١].

وقوله تعالى: ﴿ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيامة.. الآية﴾[٢].

وقوله تعالى: ﴿قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا. أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه إن عذاب ربك كان محذوراً﴾[٣].

وغير ذلك من الآيات التي تدل على نفي اتخاذ الوسائل ودعاء غير الله سبحانه، بل الواجب إخلاص العبادة له وحده فلا ينفع ولا يضر ولا يعطي ولا يمنع إلا الله وحده.

وحكم هذا النوع أنه شرك بالله تعالى، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله حينما سئل عن رجلين تناظرا فقال أحدهما: لابد لنا من واسطة بيننا وبين الله. فقال رحمه الله: «.. الحمد لله رب العالمين، إن أراد أنه لابد لنا من واسطة تبلغنا أمر الله فهذا حق، فإن الخلق لا يعلمون ما يحبه الله ويرضاه وما أمر به وما نهى عنه، ولا يعرفون ما يستحقه من أسمائه الحسنى وصفاته العلى وأمثال ذلك، إلا بالرسل الذين أرسلهم الله لعباده.. إلى أن قال.. وإن أراد بالواسطة أنه لابد من واسطة في جلب المنافع ودفع المضار مثل أن يكون واسطة في رزق العباد ونصرهم وهداهم، يسألونه ذلك ويرجون[٤] إليه؛ فهذا من أعظم الشرك الذي كفَّر الله به المشركين حيث اتخذوا من دون الله أولياء وشفعاء يجتلبون المنافع ويجتنبون المضار.. ثم قال.. وقال تعالى: ﴿ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عباداً لي من دون الله ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون. ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أرباباً أيأمركم بالكفر بعد إذ أنتم مسلمون﴾[٥].

---

(١) سورة المؤمنون آية ١١٧.

(٢) سورة الأحقاف آية ٥.

(٣) سورة الإسراء آية ٥٦، ٥٧.

(٤) كذا في الأصل ولعلها «يرجعون».

(٥) سورة آل عمران آية ٧٩، ٨٠.

فبين سبحانه أن اتخاذ الملائكة والنبيين أرباباً كفر، فمن جعل الملائكة والأنبياء وسائط يدعوهم ويتوكل عليهم ويسألهم جلب المنافع ودفع المضار، مثل أن يسألهم غفران الذنب وهداية القلوب وتفريج الكروب وسد الفاقات فهو كافر بإجماع المسلمين»[١].

وقال أيضاً: «وإن أثبتم وسائط بين الله وبين خلقه كالحجّاب الذين بين الملك ورعيته بحيث يكونون هم يرفعون إلى الله حوائج خلقه، فالله إنما يهدي عباده ويرزقهم بتوسطهم، فالخلق يسألونهم وهم يسألون الله، كما أن الوسائط عند الملوك يسألون الملوك الحوائج للناس لقربهم منهم والناس يسألونهم أدباً منهم أن يباشروا سؤال الملك، أو لأن طلبهم من الوسائط أنفع لهم من طلبهم من الملك؛ لكونهم أقرب إلى الملك من الطالب للحوائج، فمن أثبتهم وسائط على هذا الوجه فهو كافر مشرك يجب أن يستتاب فإن تاب وإلا قتل»[٢].

وقال الشيخ محمد بن عبدالوهاب: «من جعل بينه وبين الله وسائط يدعوهم ويسألهم الشفاعة ويتوكل عليهم كفر إجماعاً»[٣].

(ب) التوسل بجاه النبي ﷺ أو غيره من عباد الله الصالحين، كأن يقول المتوسل: بحق فلان أو بجاهه وحرمته ونحو ذلك، فهذا موضع خلاف بين العلماء، فقد أجازه العز بن عبدالسلام بالنبي ﷺ خاصة، معلقاً القول به على صحة حديث الأعمى، وقد سبق بيان ذلك[٤].

وحكم هذا النوع أنه بدعة مذمومة وليس بشرك؛ لعدم ورود نص بذلك، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «الثالثة[٥] أن يقال: أسألك بفلان أو بجاه فلان عندك، ونحو ذلك الذي تقدم عن أبي حنيفة وأبي يوسف أنه منهي عنه، وتقدم أيضاً أن هذا ليس بمشهور عن الصحابة بل عدلوا عنه إلى التوسل بدعاء العباس وغيره»[٦][٧].

(جـ) أما التوسل بالإقسام على الله بالمتوسل به كأن يقول: اللهم إني أقسمت عليك

---

(١) مجموع الفتاوى ١/ ١٢١، ١٢٤.

(٢) مجموع الفتاوى١/ ١٢٦.

(٣) رسالة نواقض الإسلام ٢٨٣ مطبوعة ضمن الجامع الفريد، طبعة الجميح.

(٤) انظر ص١٥٤ وما بعدها.

(٥) أي المرتبة الثالثة من مراتب الدعاء البدعي.

(٦) قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة ٥٦.

(٧) صيانة الإنسان ١٨٥، ٢٠١.

بفلان أن تشفي مريضي أو تقضي حاجتي ونحو ذلك.

وحكم هذا النوع التحريم، وذلك لأن الإقسام بالمخلوق لا يجوز شرعاً.

وقد قال النبي ﷺ: «من حلف بغير الله فقد كفر وأشرك»[(١)].

وقد ثبت عنه ﷺ أنه قال: «إن الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم، ليحلف حالف بالله أو ليسكت»[(٢)].

ومن هذا يتبين أن الإقسام بالمخلوق شرك، فكيف بالإقسام بالمخلوق على الخالق؟ إذ هذا تقرب إلى الله تعالى بالشرك به[(٣)].

من هذا يتبين أن التوسل الممنوع على ثلاثة أقسام:

فالتوسل بذات المتوسل به، بمعنى دعاء المخلوق والاستغاثة به فيما لا يقدر عليه إلا الله سبحانه والإقسام به على الله: شرك بالله ومخالفة للنصوص الصحيحة.

وأما التوسل بالجاه ونحوه فهو محل نظر، وجمهور العلماء على منعه، وأنه بدعة مذمومة ينبغي للمؤمن العدول عنها إلى الألفاظ الصريحة الصحيحة.

ومن هذا يتبين أن من توسل بذوات الأنبياء والمشايخ واستغاث بهم على الله فقد أشرك مع الله غيره، ومن توسل بجاه أحد منهم فقد ارتكب بدعة محرمة.

جنبنا الله وإياكم مواطن الزلل والسوء.

---

(١) رواه الترمذي وقال: «هذا حديث حسن» (جامع الترمذي مع شرحه تحفة الأحوذي ٥/ ١٣٥، ١٣٦)، ورواه أحمد في المسند ١/ ٤٧، ٢/ ٣٤، وأخرجه الحاكم في المستدرك ١/ ١٨، وقال: «هذا حديث صحيح على شرط الشيخين».

(٢) رواه الترمذي وقال: «هذا حديث حسن صحيح» (جامع الترمذي مع شرحه تحفة الأحوذي ٥/ ١٣٤، ١٣٥) ورواه أحمد في المسند ٢/ ٧.

(٣) شرح الطحاوية ٢٦٢ الطبعة الرابعة.

المبحث الرابع
الغلو في حق النبي ﷺ وفي الشيخ التجاني واعتقاد أنهم أربابٌ مع الله

ذكر بعض النصوص التي تثبت غلوهم في حق النبي والتجاني:

إن عقيدة الغلو في النبي ﷺ والمشايخ موجودة لدى كثير من المبتدعة والصوفية، والتجانيةُ ممن يقعون في شرك الربوبية فيعتقدون أن النبي ﷺ أو الشيخ التجاني يعطي ويمنع، ويشفي ويمرض، ويجيب دعاء المضطر وغير ذلك، وسنذكر فيما يلي بعض النصوص التي تبين ذلك.

أولاً: الغلو في حق النبي ﷺ:

١ ـ قال مؤلف جواهر المعاني: «..لاشك أنه ﷺ في هذا الميدان تام في نفسه لا يطرأ عليه النقص بوجه من الوجوه، كامل ﷺ يفيض الكمالات على جميع الوجود من العلوم والمعارف والأسرار والأنوار والأحوال والفيوضات والتجليات والمواهب والمنح وجميع وجوه العطايا، فكل ما يفيضه الحق سبحانه وتعالى على الوجود مطلقاً ومقيداً أو كثيراً أو قليلاً مما اشتهر أو شذ إنما يفيضه بواسطة الرسول ﷺ، فمن ظن أن يصل شيء إلى الوجود بغير واسطة رسول الله ﷺ فقد جهل أمر الله، وإن لم يتب خسر الدنيا والآخرة بهذا الاعتقاد..»[(١)].

٢ ـ ونقل مؤلف كتاب رماح حزب الرحيم عن التجاني قوله: «إن روح النبي ﷺ وروحي هكذا (وأشار بأصبعيه السبابة والتي تليها) فروحه تمد الأنبياء وروحي تمد الأقطاب والعارفين والأولياء»[(٢)].

٣ ـ وقال مؤلف بغية المستفيد: «قال رضي الله عنه: إن الفيوض التي تفيض من ذات سيد الوجود ﷺ تتلقاها ذوات الأنبياء، وكل ما فاض وبرز من ذوات الأنبياء تتلقاه ذاتي، ومني يتفرق على جميع الخلائق من نشأة العالم إلى النفخ في الصور.. وقال: لا يتلقى ولي فيضاً من الله تعالى إلا بوساطته رضي الله عنه من حيث لا يشعر به، ومدده الخاص به إنما يتلقاه من

---

(١) جواهر المعاني ٢/ ٢٣٣.

(٢) رماح حزب الرحيم ٢/ ١٤٢.

النبي ﷺ»[1].

٤ ـ قال مؤلف الدرة الخريدة: «.. ومن توهم أنه ﷺ انقطع جميع مدده على أمته بموته ﷺ كسائر الأموات، فقد جهل رتبة النبي ﷺ وأساء الأدب معه ويخشى عليه أن يموت كافراً إن لم يتب من هذا الاعتقاد»[2].

ثانياً : الغلو في حق الشيخ التجاني :

١ ـ قال مؤلف بغية المستفيد: «.. وقول الناظم: وليس يخلو من مقدم.. أراد به الناظم رحمه الله تعالى دفع ما يتوهم من انقطاع التربية بهذه الطريقة بوفاة الشيخ رضي الله عنه وبتطاول العهد، والرد على من يقول: إن الشيخ الميت لاتنفع صحبته لانقطاع المدد بموته كما قيل بذلك، ويريد أن يسحب الحكم على شيخنا أيضاً رضي الله عنه، وقد تقدّم أن هذه الطريقة المحمديّة لايزال مددها جارياً مدى الدهور والأعصار، على أيدي من يصله الإذن الصحيح فيها في سائر البلاد والأقطار، بضمان من نبينا ﷺ المصطفى المختار، وسابق عناية من ربنا الفاعل المختار، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم»[3].

٢ ـ وقال مؤلف الدرة الخريدة: «..فسيدي أبو الفيض أصل جميع الوسائل المتقدمة والمتأخرة، وشيخ المشايخ، وبرزخ البرازخ، والمنبع الذي تنفجر منه العلوم والفيوض والمعارف والأسرار لجميع الأولياء والأقطاب والعارفين والأحباب..»[4].

٣ ـ قال في منية المريد :

وكم تصرّف لذا الولي	في العالم العلوي والسفلي
وكم علمنا له من إبراء	حليف أمراض بلا دواء
وكم له من دفع خطب هائل	ونصر مظلوم وردع صائل
وكم إغاثة لذي أسفار	في الضنك في البحار والبراري

وقال قبل هذا :

وكل ما ينال كل عارف	من الخلال ومن المعارف

(١) بغية المستفيد ٢٢٥، رماح حزب الرحيم ٢/ ٥، ميدان الفضل والإفضال ١٣.

(٢) الدرة الخريدة ٤/ ٢٠٣، جواهر المعاني ١/ ١٤١، ميزاب الرحمة الربانية ٢١١.

(٣) بغية المستفيد ٢٩٣.

(٤) الدرة الخريدة ١/ ٢٦.

فشيخنا أمده من النبي وحزبه بنيله للرتب[1]

وقال أيضاً:

لاشك أن شيخنا التجاني ممد كل عارف صمداني

يعطي ويمنع ويسلب فمن كمثله من الورى في ذا الزمن[2]

(ب) الأدلة والمناقشة:

* الدليل الأول:

يستدلون بقول الرسول ﷺ: «إنما أنا قاسم والله معطي»[3].

وجه الاستدلال من الحديث ذكره مؤلف جواهر المعاني فقال: «أخبر أن العطاء الأول هو الاقتطاع الإلهي كان متصلاً بالقسم على ما نفذت به المشيئة الإلهية، والاقتطاع أولاً كان من الله لجميع خلقه، والتقسيم هو تناوله من يد الملك أو من حضرته وتوصيله إلى من أمر بإعطائه كان عنه ﷺ، فهو في ذلك بمنزلة العبد الذي يأمره الملك بتوصيل العطايا إلى الناس فهو يوصلها إلى أربابها على قدر ما أراده الملك، فهذا معنى الحديث وهو: إنما أنا قاسم والله معطي»[4].

*المناقشة:

١ ـ إن هذا المعنى الذي ذكروه وهو أن النبي ﷺ واسطة بين الله وبين خلقه، وأنه قاسم ما يقع في ملك الله من الخير والشر بمنزلة العبد مع الملك، باطل يرده الكتاب والسنة.

فإن الله سبحانه وتعالى هو المتصرف دون من سواه، وهو المالك للضر والنفع: ﴿قل فمن

---

(١) منية المريد ٨.

(٢) بغية المستفيد ٢٦٦.

(٣) رواه البخاري بلفظ: «من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين وإنما أنا قاسم والله يعطي ولن تزال هذه الأمة قائمة على أمر الله لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله» صحيح البخاري المطبوع مع شرحه فتح الباري ١/ ١٦٤، ٦/ ٢١٧، ورواه مسلم، صحيح مسلم مع شرح النووي ٧/ ١٢٨، ١٤/ ١١٤، ورواه أحمد في المسند ٢/ ٢٣٤.

(٤) جواهر المعاني ٢/ ٢٧٩، ميزاب الرحمة الربانية ١٦٠.

يملك لكم من الله شيئاً إن أراد بكم ضراً أو أراد بكم نفعاً بل كان الله بما تعملون خبيراً﴾[1].

وقال سبحانه: ﴿قل من يرزقكم من السماء والأرض أمّن يملك السمع والأبصار ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ومن يدبّر الأمر فسيقولون الله فقل أفلا تتقون﴾[2].

وقوله سبحانه وتعالى: ﴿ولا على الذين إذا ما أتوك لتحملهم قلت لا أجد ما أحملكم عليه تولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزناً ألا يجدوا ما ينفقون﴾[3].

فلو كان النبي ﷺ قاسم ما يقع في ملك الله لما رد هؤلاء الصحابة الكرام، ولأعطاهم ما يتقوون به على أداء الجهاد في سبيل الله.

فالله وحده هو المتصرف وهو المعطي والقاسم، فله الحكم وإليه ترجعون.

وفي الحديث: «.. واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف»[4].

٢ ـ أن المعنى الصحيح للحديث كما ذكره الأئمة عليهم رحمة الله، أن الله سبحانه هو المعطي وحده والرسول قاسم يقسم ما بين يديه من الأموال والغنائم بينكم، فالله هو المعطي حقيقة، وهذا المعنى هو الذي ذكره البخاري رحمه الله تعالى في كتاب فرض الخمس، باب قول الله تعالى: ﴿فأن لله خمسه وللرسول﴾[5][6] فهو قاسم لشيء معين لا مطلقاً.

فليس المعنى أنه قاسم كل ما يقع في ملك الله من خير أو شر في حياته ﷺ وبعد مماته كما يدّعيه التجانيون وسائر المتصوفة المنحرفين.

الدليل الثاني: قال مؤلف الدرة الخريدة: «فإذا استمد من شيخه جاءه المدد» ﴿وإن

---

(١) سورة الفتح آية ١١.

(٢) سورة يونس آية ٣١.

(٣) سورة التوبة آية ٩٢.

(٤) رواه الترمذي وقال: «هذا حديث حسن صحيح» (جامع الترمذي المطبوع مع شرحه تحفة الأحوذي ٧/ ٢١٩، ٢٢٠).

(٥) سورة الأنفال آية ٤١.

(٦) فتح الباري ٦/ ٢١٧.

استنصروكم في الدين فعليكم النصر﴾[1][2].

*المناقشــــة :

إن هذه الآية دليل في غير محل النزاع، فهم يستدلون بها على أن المشايخ يمدون أتباعهم في الحيـاة وبعد الممـات، وهذا الاستـدلال بينـه وبين الحق كمـا بين المشرق والمغـرب، إذ المعنى الصحيـح لهذه الآيـة كما أجمع عليـه أئمة المفسـرين رحمهم الله أنهـا في المـؤمنين الذين لم يهـاجروا من دار الحرب، فإن طلبوا منكم العـون والنصر فأعينوهم، قال القـرطبي عند تفسير هـذه الآية: ﴿وإن استنصروكـم في الدين﴾ : «يـريد إن دعوا هـؤلاء المؤمنون الـذين لم يهاجروا من أرض الحرب عـونكم بنفير أو مال لاستنقاذهم، فأعينوهم فـذلك فرض عليكم فلا تخذلـوهم إلا أن يستنصـروكم على قوم بينكـم وبينهم ميثاق فـلا تنصروهم عليهـم ولا تنقضوا العهد حتى تتم مدته»[3].

ويدل على أن هذا هـو المعنى المقصود قوله تعالى في الآيـة: ﴿إلا على قوم بينكم وبينهم ميثاق﴾ فـالآية خاصة فـي إغاثة المسلمين لإخوانهـم في دار الحرب وليس فيها دليـل على ما أرادوه البتة.

وهذا الاستدلال ظاهر البطلان فلا يلتفت إليه.

*الدليل الثالث :

«.. وسألته رضي الله عنه: لم كان الناس يستغيثـون بذكر الصالحين دون الله عز وجل، وحق سيدي فلان.. فقال: لأنه إذا سأل الله فلم يجب وقع لـه وسواس في وجود الحق سبحانه فيقع بما هـو أدهى وأمر، فكـان من المصلحة ما فعلـه أهل الديـوان من ربط عقول النـاس بعباد الله الصالحين؛ لأنهم إذا وقع لهم وسواس في كونهم أولياء الله فإن ذلك لا يضر»[4] اهـ.

*المناقشة :

١ ـ هذا الدليـل واضح البطلان؛ لأن عدم إجابـة السؤال ليست موضعـاً للشك في وجود الله تعالى؛ لأن النبي ﷺ أخبرنا أن العبد إذا سأل الله فلا يخلـو من أحد ثلاثة أمور: إما أن تعجل

---

(١) سورة الأنفال آية ٧٢.

(٢) الدرة الخريدة ٣/ ٢٣٠.

(٣) تفسير القرطبي ٨/ ٥٧، تفسير الطبري ١٠/ ٣٨.

(٤) الدرة الخريدة ٣/ ٩٠.

له دعـوته في الـدنيا، وإما أن تـدخره له في الآخـرة، وإما أن يصرف عنـه من السوء مثلهـا، قال النبي ﷺ: «مـا على الأرض مسلم يـدعو الله تعالـى بدعـوة إلا آتاه الله إياهـا أو صرف عنـه من السوء مثلها ما لم يدع بإثم أو قطيعة رحم. فقال رجل من القوم: إذاً نكثر. قال: الله أكثر»[1].

وفي رواية لأحمد: «ما من مسلم يدعو بدعوة ليس فيها إثم ولا قطيعة رحم إلا أعطاه الله بها إحدى ثلاث: إمـا أن تعجل له دعوته، وإما أن يـدخرها له في الآخرة، وإمـا أن يصرف عنه من السوء مثلها. قالوا: إذاً نكثر. قال: الله أكثر»[2].

٢ ـ ثم يقـال ثانياً: كيف يباح مـا حرم الله سبحانه وتعـالى بالنص الصريـح لاحتمال وقوع وسواس في قلب رجل لم يتمكن الإيمان من قلبه؟

***بعد منـاقشة هذه الأدلـة نعود إلى منـاقشة ما يحتـاج إلى مناقشـة من النصوص السـابقة فنقول وبالله التوفيق:**

(أ) قول التجاني: «إن روح النبي ﷺ وروحي هكذا (وأشـار بإصبعيه السبابة والتي تليها) فروحه تمد الأنبياء وروحي تمد الأقطاب والعارفين والأولياء...»[3].

***المناقشة :**

هذا القول مردود من وجوه:

١ ـ أن هذا القول لا دليـل عليه من كتاب ولا من سنة ولا من أثر ولا مـن إجماع، فهو قول لا يعتمد على دليل شرعي ثابت، وكل ما لم يعتمد على دليل فهو واه «باطل».

٢ ـ أن النبي ﷺ قـد جاء بعد الأنبياء جميعاً، فكيـف يتصور أنه يمد الأنبياء الـذين سبقوه بمئات السنين؟ فلو قيل: إنه يمـد من جاء بعده أو في حياته، فهذا مع بطـلانه أقرب تصوراً من أنه يمد من كان قبله، فهذا مما تحيله العقول والشرائع.

٣ ـ أن المدد عند إطلاقه يراد به المدد الحسـي كالرزق والإبراء والإعانة، ويراد به المعنوي كالهدايـة والتوفيق والإلهام، والرسول ﷺ مع حـرصه الشديد على دخول عمـه أبي طالب في الإسلام لـم يستطع ذلك فقد كـان يقول له: أي عـم قل: لا إله إلا الله كلمـة أحاج لك بهـا عند

(١) رواه الترمذي وقال: «هذا حديث حسن غريب صحيح من هـذا الوجه» جامع الترمذي المطبوع مع شرحه تحفة الأحوذي ١٠/ ٢٤، ٢٥، ورواه أحمد في المسند بنحوه ٥/ ٣٢٩.

(٢) رواه أحمد في المسند ٣/ ١٨.

(٣) انظر ص ١٦٥ ـ ١٦٦.

الله.. وأبى أن يقول: لا إله إلا الله.. فأنزل الله سبحانه وتعالى في أبي طالب: ﴿إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء﴾[1][2].

فنفى الله سبحانه وتعالى عن رسوله ﷺ هداية التوفيق والإلهام[3] وأثبتها لنفسه جل وعلا، فإذا كان الرسول ﷺ لم يستطع هداية عمه وهو من أقرب الناس إليه فكيف بغيره؟

٤ ـ أن النبي ﷺ لا يملك لنفسه ضراً ولا نفعاً وإنما يطلب الخير والمدد من الله تعالى، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿قل لا أملك لنفسي نفعاً ولا ضراً إلا ما شاء الله﴾[4].

فإذا كان النبي ﷺ وهو المرسل من عند الله لا يملك لنفسه ضراً ولا نفعاً فكيف يملك لغيره؟ ثم كيف يملك غيره من سائر الناس من أصحاب الطرق الذين يدعون التصرف والنفع والضر؟

٥ ـ قوله: «وروحي تمد الأقطاب والعارفين والأولياء»[5] من أين له هذه الخصوصية، أمن كتاب الله أم من سنة رسول الله ﷺ؟ والرسول ﷺ وهو المبعوث رحمة للعالمين لم يكن له شيء من هذا، وكذلك صحابته الكرام لم يخصوا بشيء من ذلك، فكيف يخص بها هذا الرجل في القرن الثاني عشر الهجري؟ إلا أنها الخرافة التي لا تنتشر إلا بين جهلة وعوام الناس.

(ب) قولهم عن الرسول ﷺ: «ومن توهم أنه ﷺ انقطع مدده عن أمته بموته ﷺ كسائر الأموات، فقد جهل رتبة النبي ﷺ وأساء الأدب معه، ويخشى عليه أن يموت كافراً إذا لم يتب من هذا الاعتقاد»[6].

وقولهم عن شيخهم التجاني: «..أراد به الناظم دفع ما قد يتوهم من انقطاع التربية بهذه الطريقة لوفاة الشيخ رضي الله عنه وبتطاول العهد، والرد على من يقول: إن الشيخ الميت لا تنفعه صحبته لانقطاع مدده بموته كما قيل بذلك، ويريد أن يسحب الحكم بذلك على

---

(١) رواه البخاري (صحيح البخاري المطبوع مع شرحه فتح الباري ٨/ ٥٠٦).

(٢) سورة القصص آية ٥٦.

(٣) الهداية نوعان: هداية التوفيق والإلهام وهذه لله خاصة، وهداية الدلالة والإرشاد وهذه ثابتة للنبي ﷺ بقوله تعالى: ﴿وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم﴾.

(٤) سورة الأعراف آية ١٨٨.

(٥) انظر ص١٦٤.

(٦) انظر ص١٦٥.

شيخنا أيضاً رضي الله عنه.. إلخ»[1].

فهذا القول أشنع من القول بالتصرف في الحياة على قبحه وشناعته، فالله سبحانه وتعالى قال في حق نبيه ﷺ: ﴿إنك ميت وإنهم ميتون﴾[2].

وقال سبحانه وتعالى: ﴿الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها فيمسك التي قضى عليها الموت.. الآية﴾[3].

وقال تعالى: ﴿كل نفس ذائقة الموت﴾[4].

وفي الحديث أن النبي ﷺ قال: «إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله إلا من ثلاثة، إلا من صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له»[5].

فجميع الآيات والأحاديث تدل على انقطاع الحس والحركة من الميت، وعلى أن أرواحهم ممسكة وأن أعمالهم منقطعة عن الزيادة والنقصان. فكل هذا يدل على أن الميت ليس له تصرف في نفسه فضلاً عن غيره، فكيف يدّعي هؤلاء من التجانيين وأشباههم بأن للميت تصرفاً في الإبراء والرزق والإغاثةونحوها؟ نعوذ بالله من مخالفة كتاب الله وسنة رسوله ﷺ»[6].

مذهب أهل السنة والجماعة وبيان أن ذلك من الشرك:

ذهب أهل السنة والجماعة إلى أن الله وحده هو الذي يملك الضروالنفع والهداية والإضلال، وهو وحده الخالق الرازق المحيي المميت لا يملك أحد شيئاً من ذلك لا ملك ولا نبي مرسل فضلاً عن غيرهما.

وأما الرسول ﷺ فعليه تبليغ رسالة ربه: ﴿ما على الرسول إلا البلاغ﴾[7] وإرشاد الناس إلى طريق الخير والهدى: ﴿وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم﴾[8] وقد فعل ﷺ فجزاه الله عن هذه

---

(١) انظر ص١٦٦.

(٢) سورة الزمر آية ٣٠.

(٣) سورة الزمر آية ٤٢.

(٤) سورة آل عمران آية ١٨٥.

(٥) رواه مسلم (صحيح مسلم مع شرح النووي ١١/ ٨٥).

(٦) تيسير العزيز الحميد ١٩٥ وما بعدها.

(٧) سورة المائدة آية ٩٩.

(٨) سورة الشورى آية ٥٢.

الأمة خير الجزاء.

وأما من جاء بعده من عباد الله المتقين فعليهم الإيمان بما جاء به ودعوة الناس إليه والمجاهدة في سبيل ذلك بالمال والنفس فهذه مهمتهم ليس إلا، ولا يملك أحد من البشر كائناً من كان نفعاً ولا ضراً ولا موتاً ولاحياة ولا نشوراً، بل ذلك كله لله وحده، والأدلة في كتاب الله وفي سنة رسول الله ﷺ كثيرة جداً.

فالله وحده هو الذي يملك الهداية والإضلال لا أحد سواه، قال تعالى: ﴿فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقاً حرجاً كأنما يصعّد في السماء﴾[1].

والله وحده هو الذي يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر: ﴿الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر﴾[2].

وهو الذي يجيب دعاء المضطر إذا دعاه ويكشف السوء: ﴿أمَّنْ يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الأرض أإله مع الله قليلاً ما تذكرون﴾[3].

وقال تعالى: ﴿قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر.. الآية﴾[4].

والله وحده هو الرازق: ﴿وكأين من دابة لا تحمل رزقها الله يرزقها وإياكم﴾[5].

والله وحده هو المتصرف الذي له الخلق والأمر: ﴿ألا له الخلق والأمر﴾[6].

ومن السنة ما ورد عن النبي ﷺ أنه قال: «واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك»[7].

فالله سبحانه وتعالى هو وحده النافع الضار.

---

(١) سورة الأنعام آية ١٢٥.

(٢) سورة الرعد آية ٢٦.

(٣) سورة النمل آية ٦٢.

(٤) سورة الأنعام آية ٦٣.

(٥) سورة العنكبوت آية ٦٠.

(٦) سورة الأعراف آية ٥٤.

(٧) سبق تخريجه ص ١٦٧.

وفي الدعاء المأثور: «.. اللهم لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت»[1].

فهو وحده المعطي المانع فلا أحد يستطيع أن يرد عطاءه سبحانه ولا أحد يستطيع أن يعطي ما منعه: ﴿لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا﴾[2].

وقد اتفق علماء الأمة على أن طلب الحوائج من الأموات والاستغاثة بهم واعتقاد أنهم يمدون الناس بالخير ويمنعون عنهم الشر، شرك بالله تعالى، مخالف لكتاب الله وسنة رسوله ﷺ وإجماع الأمة، بل هو أيضاً مخالف لكتب السابقين من الأنبياء، ففي التوراة: «أن موسى نهى بني إسرائيل عن دعاء الأموات وغير ذلك من الشرك، وذكر أن ذلك من أسباب عقوبة الله لمن فعله، وذلك أن دين الأنبياء واحد وإن تنوعت شرائعهم»[3].

وسنذكر فيما يلي بعض ما ورد عن علماء السلف في حكم ذلك:

قال الإمام أبو الوفاء علي بن عقيل الحنبلي: «.. لما صعبت التكاليف على الجهال والطغام ؛عدلوا عن أوضاع الشرع إلى تعظيم أوضاع وضعوها لأنفسهم، فسهلت عليهم إذ لم يدخلوا بها تحت أمر غيرهم، وهم عندي كفار لهذه الأوضاع مثل تعظيم القبور وخطاب الموتى بالحوائج وكتب الرقاع فيها: يا مولاي افعل بي كذا وكذا، وإلقاء الخرق على الشجر اقتداء بمن عبداللات والعزى»[4].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في تفسير الغوث: «.. مثل تفسير بعضهم أن الغوث هو الذي يكون مدد الخلائق بواسطته في نصرهم ورزقهم حتى يقول: إن مدد الملائكة وحيتان البحر بواسطته، فهذا من جنس قول النصارى في المسيح عليه السلام، والغالية في علي رضي الله عنه، وهذا كفر صريح يستتاب منه صاحبه فإن تاب وإلا قتل، فإنه ليس في المخلوقات لا ملك ولا بشر يكون إمداد الخلائق بواسطته»[5].

وقال صنع الله الحنفي الحنبلي: «.. وأنه قد ظهر الآن بين المسلمين جماعات يدعون أن للأولياء تصرفات في حياتهم وبعد الممات، ويستغاث بهم في الشدائد والبليات، وبهم

---

(١) رواه البخاري (صحيح البخاري المطبوع مع شرحه فتح الباري ٢/ ٣٢٥).

(٢) سورة الأنبياء آية ٢٢.

(٣) قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة ١٥٧.

(٤) تيسير العزيز الحميد ١٩٢، ١٩٣ نقلاً عن كتاب «الفنون».

(٥) الجامع الفريد ٤٤٧ طبعة الجميح.

تكشف المهمات، فيأتون قبورهم فينادونهم في قضاء الحاجات.. ثم قال: وهذا الكلام فيه تفريط وإفراط، بل فيه الهلاك الأبدي، والعذاب السرمدي، لما فيه من روائح الشرك المحقق، ومصادمة الكتاب العزيز المصدق، ومخالف لعقائد الأئمة وما اجتمعت عليه الأمة، وفي التنزيل: ﴿ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيراً﴾[1][2].

❑ ❑ ❑

---

(١) سورة النساء آية ١١٥.

(٢) تيسير العزيز الحميد ١٩٦، ١٩٧.

المبحث الخامس
إيمانهم بأن التجاني خاتم الأولياء كما أن محمداً ﷺ خاتم الأنبياء

ذكر بعض النصوص التي تدل على إيمانهم بأن التجاني خاتم الأولياء :

هذا المبحث قد يتبادر إلى بعض الأذهان أنه ليس له تعلق بفصل «عقيدتهم في الرسول ﷺ»، والحق أن له تعلقاً بهذا الفصل من وجهين:

أنهم غلوا في الولي إلى درجة مساواته بالرسول ﷺ تارة، وتفضيله عليه تارة أخرى. وهم وإن لم يصرحوا بذلك إلا أنهم بإتيانهم كثيراً من المزايا للولي يصرون على تفضيله على النبي ﷺ تلويحاً لا تصريحاً، هذا من وجه.

ومن وجه آخر فإنهم قالوا بعقيدة ختم الولاية «مضاهاة لعقيدة ختم النبوة».

وسنذكر فيما يلي بعض النصوص التي تدل على إيمانهم بأن التجاني خاتم الأولياء.

ومن هذه النصوص :

قال مؤلف جواهر المعاني: «.. وسألته رضي الله عنه عن حقيقة الولاية، فأجاب رضي الله عنه بما نصه، قال: «الولاية خاصة وعامة، فالعامة : هي من آدم عليه السلام إلى عيسى عليه السلام، والخاصة: هي من سيد الوجود ﷺ إلى الختم، والمراد بالخاصة هي من اتصف صاحبها بأخلاق الحق الثلاثمائة على الكمال ولم ينقص منها واحد، إن لله تعالى ثلاثمائة خلق من اتصف بواحد منها دخل الجنة، وهذا خاص بسيد الوجود ﷺ ومن ورثه من أقطاب هذه الأمة الشريفة إلى الختم.. هكذا قال، ونسبه للحاتمي رضي الله عنه. ثم قال سيدنا رضي الله عنه: لا يلزم من هذه الخصوصية التي هي الاتصاف بالأخلاق على الكمال أن يكونوا كلهم أعلى من غيرهم في كل وجه، بل قد يكون من لم يتصف بها أعلى من غيره في المقام، وأظنه يشير إلى نفسه رضي الله عنه وبعض الأكابر، لأنه أخبره سيد الوجود ﷺ بأن مقامه أعلى من جميع المقامات... انتهى من إملائه علينا رضي الله عنه[1]».

وذكر مؤلف رماح حزب الرحيم من أسباب تسميتهم الطريقة التجانية بالمحمدية:

«.. أن الله تعالى لما ختم بمقامه مقامات الأولياء، ولم يجعل فوق مقامه إلا مقامات

---

(١) جواهر المعاني ٢/ ٨٤، الدرة الخريدة ١/ ٣٠.

الأنبيـاء، وجعلـه القطب المكتـوم، والبرزخ المختـوم، والخـاتم المحمـدي المعلـوم..»[1].
(سميت هذه الطريقة بالمحمدية).

٣ ـ قـال مؤلف الرمـاح: «فإن قلت: كيف يكون الـولي المتأخر أفضل من الأوليـاء الكبار المتقدمين، الـذين شاع فضلهم وذاع وطار صيتهم شـرقاً وغرباً؟.. قلت: مـن حيث كان النبي المتأخر محمـد ﷺ أفضل من إبراهيـم خليل الله، وموسى كليم الله، وعيسـى روح الله، وغيرهم من الأنبياء والرسل، على نبينا وعليهم أفضل الصلاة والسلام»[2].

٤ ـ وقـال مؤلف بغيـة المستفيد: «فقـد ثبت عنه مـن طريق الثقـات الأثبات من مـلازميه وخاصته، أنه أخبر تصريحاً على الوجه الـذي لا يحتمل التأويل أن سيد الوجود أخبره يقظة بأنه هو الخاتم المحمدي المعـروف عند جميع الأقطاب والصديقين، وبأن مقامـه لا مقام فوقه في بساط المعرفة بالله»[3].

ثم قال بعـد ذلك: «.. وبالجملة فقد أجمـع على إثبات هذا المقام لشيخنـا رضي الله عنه جميع من لازمه إلى وفـاته رضي الله عنه ولـم يختلف منهم اثنان فيـه، حتى استفاض ذلك على ألسنة الخاص والعام من الأصحاب والإخوان في سـائر البلدان، فلا يلتفت لنفي من نفاه كائناً من كان»[4].

معنى خاتم الأولياء عندهم :

التجاني خـاتم الأولياء عنـدهم بمعنى أفضلهم، وليس معناه أنـه لا يأتي بعده ولـي بل قد يأتي بعده أولياء ولكنهم لا يصلون مرتبته، وفي ذلك يقـول مؤلف البغية: «.. ومعنى كونه خاتماً لمنصب الولاية المحمدية ألا يظهر أحد في ذلـك المنصب بمثل الظهور الذي ظهر به فيه، فهو خاتم لكمال الظهور في ذلك المنصب لا لنفس الظهور»[5].

فهو عندهم أفضل من جميع الأولياء متقدمهم ومتأخـرهم، وقد صرح بذلك مؤلف كتاب: «أقوى الأدلة والبراهين على أن أحمد التجاني خاتم الأقطاب المحمديين بيقين»، فقال:

---

(١) رماح حزب الرحيم ٢/ ١٤٥.

(٢) رماح حزب الرحيم ٢/ ٢١.

(٣) بغية المستفيد ١٩٣، ١٩٤.

(٤) بغية المستفيد ١٩٤.

(٥) بغية المستفيد ١٠٧.

«.. وأن الختمية بالمعنى الأخص خاصة بالختم الأكبر لا مطمع فيها لمن قبله ومن بعده حسبما سبق بذلك القدر الإلهي الذي لا مرد له، وأعني بالخاتم الأكبر سيدنا ومولانا ووسيلتنا إلى ربنا القطب المكتوم الخاتم المحمدي سيدنا ومولانا أحمد بن مولانا محمد التجاني رضي الله عنه»[١] اهـ.

الأدلة والمناقشة :

استدل التجانيون على أن شيخهم خاتم الأولياء بأدلة كثيرة غالبها حكايات لا تقوم بها حجة ولا يعتمد عليها في شيء، ومن أقوى أدلتهم الأحاديث التي استدل بها الحكيم الترمذي[٢] على أن هناك خاتماً للأولياء يكون في آخر الزمان، ومنها:

الدليل الأول :

استدلوا بحديث: «مثل أمتي مثل المطر لا يدرى أوله خير أم آخره»[٣][٤].

والرد على هذا من وجوه :

١ ـ أن الحديث لا دلالة فيه على أن آخر هذه الأمة أفضل من أولها، ولا أن في آخرها من هو أفضل ممن في أولها من صحابة رسول الله، بل الحديث بلفظ: «لا يدرى أولها خير أم آخرها».

٢ ـ أن معنى الحديث: أن في آخر هذه الأمة من يقارب أولها ويشابهه بالخيرية حتى يلتبس على بعض الناس أيهما أفضل، وإن كان أحدهما في الواقع وفي نفس الأمر أفضل من الآخر؛ وذلك لأن مرتبة الصحبة لا يعدلها عمل لمشاهدة الرسول ﷺ[٥]، ولن تكون لأحد بعد صحابة رسول الله ﷺ إذ لا نبي بعد محمد ﷺ، ويدل على ذلك حديث: «.. وددت أنا قد رأينا إخواننا ، قالوا: أولسنا إخوانك يا رسول الله؟ قال: أنتم أصحابي، وإخواننا الذين لم يأتوا

---

(١) أقوى الأدلة والبراهين ١٣.

(٢) سبق ذكر ترجمته انظر ص ٥٢-٥٦.

(٣) رواه الترمذي وقال: «هذا حديث حسن غريب» (جامع الترمذي المطبوع مع شرحه تحفة الأحوذي ٨/ ١٧٠ـ١٧٢). ورواه الحكيم الترمذي في نوادر الأصول ١٥٦، ورواه أحمد في المسند ٣/ ١٣٠ - ١٤٣، ٤/ ٣١٩، وقال ابن حجر في الفتح «هو حديث حسن» (الفتح ٧/ ٦) قال المناوي: قال الزركشي: ضعفه النووي في فتاويه (فيض القدير ٥/ ٥١٧).

(٤) أقوى الأدلة والبراهين ٣٦.

(٥) فتح الباري ٧/ ٧.

بعد.. الحديث»[1].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «.. هو تفضيل للصحابة فإن لهم خصوصية الصحبة التي هي أكمل من مجرد الأخوة»[2] ولقول النبي ﷺ: «خير أمتي قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم.. الحديث»[3].

٣ ـ أن الاستدلال بهذا الحديث على أن في آخر هذه الأمة من هو أفضل ممن في أولها من صحابة رسول الله ﷺ، مردود بصريح القرآن والسنة المتواترة، فهو مخالف لقوله تعالى: ﴿والسابقون السابقون أولئك المقربون﴾[4]، وقوله سبحانه: ﴿لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا وكلاً وعد الله الحسنى﴾[5] وغيرهما.

وهو أيضاً مخالف لقول الرسول ﷺ: «خير أمتي قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم.. الحديث»[6]، وقوله ﷺ: «لا تسبوا أصحابي، لا تسبوا أصحابي فوالذي نفسي بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهباً ما أدرك مدّ أحدهم ولا نصيفه»[7][8].

٤ ـ ولو فرضنا جدلاً ـ مع أن ذلك مردود بالكتاب والسنة ـ أن في المتأخرين من هذه الأمة من هو أفضل من المتقدمين، فليس في الحديث دليل على أن ذلك الفاضل قد يكون خاتم الأولياء سواء كان التجاني أو غيره، وليس فيه دليل على أن التجاني أفضل المتأخرين فضلاً عن أن يكون أفضل المتقدمين والمتأخرين لا من قريب ولا من بعيد، فهي دعوى مجردة عن الدليل، وكل دعوى خلت عن الدليل فهي دعوى باطلة.

---

(١) رواه مسلم (صحيح مسلم مع شرح النووي ٣/ ١٣٨)، ورواه النسائي (سنن النسائي ١/ ١٩٤).

(٢) مجموع الفتاوى ١١/ ٣٧١، ٢/ ٢٢٧.

(٣) رواه البخاري (صحيح البخاري مع شرحه فتح الباري ٧/ ٣). ورواه مسلم (صحيح مسلم مع شرح النووي ١٦/ ٨٧).

(٤) سورة الواقعة آية ١٠، ١١.

(٥) سورة الحديد آية ١٠.

(٦) سبق تخريجه انظر ص ١٧٨.

(٧) رواه مسلم (صحيح مسلم مع شرح النووي ١٦/ ٩٢) ورواه أحمد في المسند ٣/ ١١، ٥٤، ٦٤، ٢٦٦.

(٨) مجموع الفتاوى ١١/ ٣٦٧، ٣٦٨.

الدليل الثاني :

واستدلوا بما روي عن عبدالرحمن بن سمرة قال: «بعثني خالد بن الوليد بشيراً إلى رسول الله ﷺ يوم مؤتة، فلما دخلت عليه قلت: يا رسول الله، فقال: على رسلك يا عبدالرحمن، أخذ اللواء زيد بن حارثة فقاتل زيد حتى قتل، رحم الله زيداً، ثم أخذ اللواء جعفر فقاتل حتى قتل، رحم الله جعفراً، ثم أخذ اللواء عبدالله بن رواحة فقاتل فقتل، رحم الله عبدالله، ثم أخذ اللواء خالد ففتح الله لخالد، فخالد سيف من سيوف الله تعالى. فبكى أصحاب رسول الله ﷺ وهم حوله، فقال: ما يبكيكم؟ فقالوا: ما لنا لانبكي وقد قتل خيارنا وأشرافنا وأهل الفضل منا. قال: لاتبكوا، فإن مثل أمتي مثل حديقة قام عليها صاحبها فاجتث رواكبها وهيأ مساكنها وحلق سفعها فأطعمت عاماً فوجاً، ثم عاماً فوجاً، ثم عاماً فوجاً، ولعل آخرها طعماً يكون أجودها قنواناً وأطولها شمراخاً، والذي بعثني بالحق نبياً ليجدن ابن مريم في أمتي خلفاء من حوارييه» وفي رواية أخرى: «ليدركن المسيح من هذه الأمة أقواماً إنهم لمثلكم أو خير منكم - ثلاث مرات - ولن يخزي الله أمة أنا أولها والمسيح آخرها»[1][2].

*** المناقشـــة :**

١ - أن هذا الحديث لايدل على أفضلية غير الصحابة؛ وذلك لأن مجرد المثلية والخيرية في الأجر لا يستلزم ثبوت الأفضلية المطلقة، وذلك لأن ما فاز به من شاهد النبي ﷺ من زيادة فضيلة المشاهدة لايعدله فيها أحد[3].

وبعبارة أخرى: فإن الواحد من المتأخرين إذا عمل مثل عمل عمله بعض المتقدمين كان له مثله أجره أو أكثر، كما في حديث: «.. قيل: يا رسول الله أجر خمسين رجلاً منا أو منهم؟ قال: لا؛ بل أجر خمسين رجلاً منكم»[4] لكن لا يتصور أن بعض المتأخرين يعمل مثل عمل أكابر السابقين كأبي بكر وعمر فإنه ما بقي يبعث نبي مثل محمد يعمل معه مثلما عملوا مع

---

(١) رواه الحكيم الترمذي في نوادر الأصول ١٥٦ قال ابن حجر: رواه ابن أبي شيبة من حديث عبدالرحمن بن جبير بن نفير بإسناد حسن (فتح الباري ٧/ ٦) وقال السيوطي: صحيح (الجامع الصغير ٢/ ١٣٤) وقال المناوي: الحديث مرسل (فيض القدير ٥/ ٣٥٣).

(٢) أقوى الأدلة والبراهين ٣٦، ٣٧.

(٣) فتح الباري ٧/ ٧.

(٤) رواه الترمذي وقال: «هذا حديث حسن غريب» (جامع الترمذي مع شرحه تحفة الأحوذي ٨/ ٤٢٥، ٤٢٦).

محمد ﷺ[1]. والله أعلم.

٢ ـ ولو كان هذا الحديث يدل على أن في آخر الزمان من هو أفضل من الصحابة، فإنه معارض بالأحاديث المتقدمة آنفاً[2] وهي أقوى منه سنداً ومتناً وأقرب إلى نصوص القرآن السابق ذكرها[3]، فاعتقاد مضمونها أولى من اعتقاد مضمون هذا الحديث.

٣ ـ وأخيراً فإن هذا الحديث لا دلالة فيه على ختم الولاية بالتجاني، ولا على اختصاص التجاني بأنه أفضل المتأخرين فضلاً عن أن يكون أفضل المتقدمين والمتأخرين.

*** الدليل الثالث :**

الأدلة السابقة هي أقوى الأدلة التي استدل بها التجانيون تبعاً للحكيم الترمذي، وهناك أدلة أخرى لا يعتمد عليها ولا تقوم بها حجة؛ لأنها مجرد دعاوى ادَّعاها لنفسه أو ادَّعاها له غيره من أصحابه، ونحن نجملها فيما يلي ونرد عليها واحداً بعد الآخر فمنها:

١ ـ قال مؤلف أقوى الأدلة والبراهين: «إن سيدي المختار الكنتي أثبتها له ــ أي ختم الولاية ـ في كتابه الطريق..[4] ويؤيده أيضاً أن ابن عربي ذكر أنه اجتمع به بفاس اجتماعاً برزخياً، ولم يدعها أحد من أهل فاس فيما علمنا ولا ادعيت له، سوى سيدنا رضي الله عنه..[5] وقد أثبتها علماء قبله مثل إبراهيم الرياحي[6]، وكالعارف سيدي عمر الفوتي.. والعارف سيدي عبيدة الشنقيطي مؤلف الجيش، والعارف سيدي محمد الكنسوسي»[7].

---

(١) مجموع الفتاوى ١١/ ٣٧١.

(٢) انظر ص ١٧٩.

(٣) انظر ص١٧٨.

(٤) أقوى الأدلة والبراهين ٤.

(٥) أقوى الأدلة والبراهين ١٤.

(٦) هو أبو إسحاق إبراهيم بن عبدالقادر الرياحي التونسي، كان على الطريقة الشاذلية ثم انتقل منها إلى التجانية ،توفي في سبعة عشر رمضان ١٢٦٦هـ وهو مدفون بتونس. (كشف الحجاب ١٣٢، ١٤٩).

(٧) هو محمد بن أحمد كنسوس السوسي المراكشي وكنيته أبو عبدالله ، من أهل سوس بالمغرب الأقصى، ولد سنة ١٢١١هـ، له كتاب «الجيش العرمرم» «والحلل الرنحفورية في أجوبة الأسئلة الطيفورية» توفي سنة ١٢٩٤هـ (الأعلام ٦/ ٢٤٤).

والرد على هذا من وجهين :

(أ) أن هـذه الأقوال لبعض التجـانيين كـالفوتي والشنقيطـي والكنسوسي فـلا يقوم بهـا حجة، إذ لاتقبـل شهادة الإنسان لنفسـه، أما ابن عـربي فقد اشتهـر بكفره[1] وزندقتـه، فكيف يقبل قوله؟

(ب) ثم لو فـرضنا جدلاً أنهم علمـاء أتقياء عدول فإن كـلامهم مقيد بالكتـاب والسنة، إذ كل يؤخذ من كلامه ويُرد، إلا محمداً ﷺ فيما يبلغ عن ربه.

علمـاً بأن مثل هـذه الأقوال لا يلتفـت إليها في أمـر من أمـور العقيـدة مبني على التـوقف والنص. والله أعلم.

٢ ـ قال مؤلف أقوى الأدلةوالبراهين: «.. وممـا يؤيد ذلك (أي أنه خاتم الأولياء)، ما ثبت عنه في بعض شطحـاته كقوله: «منـذ خلق الله الأرواح والروح الشريف ﷺ يمـد أرواح الأنبياء والرسل، وروحي تمد الأقطاب والأولياء» وكقولـه: «كل الشيوخ أخذوا عني من عصر الصحابة إلى النفخ فـي الصور» وكقولـه: «قدماي هـاتان على رقبـة كل ولي من لدن آدم إلـى النفخ في الصور»[2].

قلت: إن قـوله: «منـذ خلق الله الأرواح والروح الشـريف يمد الأنبيـاء.. إلخ» وقولـه: «كل الشيـوخ أخذوا عني مـن عصر الصحـابة إلـى النفخ في الصـور» قول متهـافت بـاطل بالشـرع والعقل: «وذلك لأن المتقـدم لا يعقل أن يأخذ من المتأخـر، والرسل ليس فيهم أحد يـأخذ من أحد إلا من كان مأموراً بـاتباع شريعة نبي من الأنبياء كأنبياء بني إسرائيـل، والرسل الذين بعثوا فيهم أمروا بـاتباع التوراة كما قال تعـالى: ﴿إنا أنزلنـا التوراة فيها هدىً ونور يحكـم بها النبيون الذين أسلموا للذين هـادوا والربانيون والأحبار بما استحفظوا من كتـاب الله وكانوا عليه شهداء فلا تخشوا النـاس واخشون.... الآية﴾[3] أما إبراهيـم فلم يأخذ عن موسـى وعيسى، ونوح لـم يأخـذ عن إبراهيـم، ونـوح و إبراهيم وموسـى وعيسى لم يأخذوا عـن محمد ﷺ، إنما بشـروا به وآمنوا به»[4].

---

(١) مجموع الفتاوى ٢/ ٢٤٠.

(٢) أقوى الأدلة والبراهين ١٤ .

(٣) سورة المائدة آية ٤٤ .

(٤) مجموع الفتاوى ٢/ ٢٣٦، ٢٣٧.

وقد بينا بطلان هذا القول في المبحث الرابع، فارجع إليه وفقك الله[١].

وأما قوله: «قدماي هاتان على رقبة كل ولي من لدن آدم إلى النفخ في الصور» فهو كلام ساقط مقتضاه أنه أفضل من جميع الأولياء متقدمهم ومتأخرهم، وفي هذا من الغلو والتطاول على عباد الله ما فيه، كما أنه مخالف لهدي صحابة رسول الله ﷺ فلقد كانوا ـ مع فضلهم وورعهم وتقواهم ـ يخافون النفاق على أنفسهم، قال البخاري: قال ابن أبي مليكة: «أدركت ثلاثين من أصحاب النبي ﷺ كلهم يخاف النفاق على نفسه، ما منهم أحد يقول: إنه على إيمان جبريل وميكائيل»[٢].

ثم إن هذا القول لا فائدة فيه، إذ أن أقل المؤمنين تواضعاً لا تحدثه نفسه أن يضع قدمه حافية أو منعولة على قدم مؤمن آخر، فكيف يضعها على رقبته؟ إن هذا الكلام في غاية السقوط، فكيف يليق بمتصوف يزعم أنه تجرد لله وهذب نفسه وجاهدها أن يطأ رقاب أولياء الله بقدميه[٣]؟ وهذا الكلام الباطل استدلوا به على زعمهم الباطل بأن التجاني خاتم الأولياء وهذا شأن الباطل لا يؤيد إلا بمثله.

٣ ـ وقال أيضاً: «.. ويؤيد هذا ما تقدم من أنه ابتلي بالإنكار عليه، ولم يبتل بالإنكار عليه أحد مثل ما ابتلي به سيدنا رضي الله عنه..»[٤].

قلت: ويرد على ذلك من وجهين:

(أ) أن مجرد الإنكار عليه لا يدل على أنه خاتم الأولياء، فقد أنكر على كثير من الفسّاق والكفرة كثير من أعمالهم، فهل مثل هذا الإنكار يصلح دليلاً على أفضلية المنكر عليه أو أنه خاتم الأولياء؟

(ب) أن هذا الإنكار إنما صدر من علماء المسلمين، ومعلوم أن علماء الأمة قد أمروا بإنكار المنكر، ولو لم يكن كلامه منكراً لما كثر المنكرون عليه.

وهناك استدلالات قريبة من هذه الاستدلالات لا يعتمد عليها ولا تقوم بها حجة، فهي مجرد أقاويل وحكايات باطلة.

---

(١) انظر المبحث الرابع ص ١٦٤-١٧٤.

(٢) رواه البخاري (صحيح البخاري مع شرحه فتح الباري ١/ ١٠٩).

(٣) الهدية الهادية ٥٧ (بتصرف) الطبعة الثانية.

(٤) أقوى الأدلة والبراهين ١٤.

رد مجمل :

١ ـ إن هذه التسمية بخـاتم الأولياء باطلة لا أصل لها في الكتـاب ولا في السنة ولا في كلام مأثور عـن السلف، ولم يذكـرها[(١)] أحد قبل أبي عبـدالله محمد بن علي الحكيم التـرمذي في كتابه: «ختم الـولاية» فزعم أنه يكون في المتـأخرين من هو أفضل من أبي بكر وعمـر وغيرهما، وهو كلام بـاطل؛ يدل على ذلك أن الحكيم الترمـذي تناقض مع نفسه، وذلك أنه لمـا قيل له : إن بعض الناس يقـول: إن الولي يكـون منفرداً عن الناس، أبطـل ذلك وقال: «يلزم مـن هذا أن يكون أفضل من أبي بكر وعمر»[(٢)].

وقد هجر بترمذ في آخر عمره بسبب تصنيفه هذا الكتاب[(٣)].

وقد تبعـه في ذلك ابن عـربي الذي زعـم أن هناك خاتمين للـولاية: فهنـاك خاتم للـولاية المحمدية، وهناك خاتم للولايـة المطلقة، وهو عيسى عليه السلام[(٤)]. ثم تبعه غلاة المتصوفة، فكل يدعيها لنفسه فهي مرتبة موهومة لا حقيقة لها[(٥)].

٢ ـ لم يرد في اللغـة العربية أن كلمة: «خاتم» بمعنى أفضل كما فسرهـا التجانيون، وإنما جاءت بمعنى آخر، ولكن لمـا كان هذا المعنى يلزمهم بأن لا يكون هنـاك ولي لله بعد التجاني، وهي حقيقة ينكرها أقل الناس تمييزاً، لجأوا إلى المغـالطة فقالوا: «إن معنى خاتم الأولياء: ألا يظهر أحد في هذا المنصـب بمثل الظهور الذي ظهر به فيه، فهو خـاتم لكمال الظهور في ذلك المنصب لا لنفس الظهور»[(٦)] وهذا المعنى مردود بمقتضى اللغة.

قال في معجم مقاييس اللغة: «الخاء والتاء والميم أصل واحد وهو بلوغ آخر الشيء»[(٧)].

وقال في اللسان: «.. وختام القوم وخاتَمهم وخاتِمهم: آخرهم..»[(٨)].

---

(١) مجموع الفتاوى ١١/ ٣٦٥ (بتصرف).

(٢) مجموع الفتاوى ٢/ ٢٢٢.

(٣) لسان الميزان لابن حجر ٥/ ٣٠٨ طبع حيدر آباد، الهند سنة ١٣٣١هـ.

(٤) الفتوحات المكية ٢/ ١٧٤، ١٧٧ المكتبة العربية ، القاهرة سنة ١٣٩٢هـ.

(٥) مجموع الفتاوى ٢/ ٢٢٨.

(٦) انظر ص١٧٦.

(٧) معجم مقاييس اللغة ٢/ ٢٤٥ الطبعة الثانية، المصباح المنير ١/ ٧٥ المطبعة العثمانية.

(٨) لسان العرب ١٥/ ٥٥.

وقال في القاموس المحيط: «.. ومن كل شيء عاقبته وآخرته كخاتمته وآخر القوم كالخاتم»[1].

٣ ـ «إن خاتم الأولياء هو آخر مؤمن تقي قبل قيام الساعة، ولا يلزم أن يكون أفضل من غيره من الأولياء؛ لأنه آخرهم، وإنما نشأ هذا الخطأ من قياسهم خاتم الأولياء على خاتم الأنبياء، فلما كان خاتم الأنبياء أفضلهم قالوا بأن خاتم الأولياء هو أفضلهم، وفضل النبي ﷺ على سائر الأنبياء لم يكن لمجرد أنه خاتم الأنبياء بل لدلالات أخرى دلت على ذلك»[2].

٤ ـ إن أفضل الأولياء من هذه الأمة ليس خاتمهم بل أولهم وسابقهم إلى الإيمان بخاتم الأنبياء، إذ كل من كان كذلك كان أفضل من غيره، وهذا الذي دلّ عليه القرآن والسنة المطهرة[3]، فإن أفضل الأولياء من هذه الأمة أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي ثم أمثالهم من السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار، كما ثبت ذلك بالنصوص الصحيحة المشهورة.

فعن محمد بن الحنفية رضي الله عنه قال: «قلت لأبي: أي الناس خير بعد رسول الله ﷺ؟ قال: أبو بكر. قلت: ثم من ؟ قال: ثم عمر. وخشيت أن يقول: عثمان، قلت: ثم أنت؟ قال: ما أنا إلا رجل من المسلمين»[4].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «لو كنت متخذاً خليلاً لاتخذت أبا بكر ولكن أخي وصاحبي»[5].

وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ لأبي بكر وعمر: «هذان سيدا كهول أهل الجنة من الأولين والآخرين إلا النبيين والمرسلين، لا تخبرهما يا علي»[6].

*** مناقشة بعض النصوص التي تحتاج إلى مناقشة :**

قولهم في النصوص السابقة: «بأن التجاني هو القطب المكتوم الخاتم المحمدي.. إلخ».

---

(١) القاموس المحيط ٤/ ١٠٤.

(٢) مجموع الفتاوى ١١/ ٣٦٥ (بتصرف).

(٣) انظر ص١٧٧.

(٤) رواه البخاري (صحيح البخاري المطبوع مع شرحه فتح الباري ٧/ ٢٠).

(٥) رواه البخاري (صحيح البخاري المطبوع مع شرحه فتح الباري ٧/ ١٧).

(٦) رواه الترمذي وقال: «هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه» ورواه ابن ماجه (سنن ابن ماجه: ١/ ٣٨)، ورواه أحمد في المسند ١/ ٨٠.

هذا بناء على قولهم بأن في الأولياء أقطاباً ونقباء ونجباء وأبدالاً وأوتاداً.. إلخ. فقد قال مؤلف الدرة الخريدة: «.. عن الكتاني قال: النقباء ثلاثمائة، والنجباء سبعون، والأبدال أربعون، والأخيار سبعة، والعمد أربعة، والغوث واحد. فمسكن النقباء الغرب، ومسكن النجباء مصر، ومسكن الأبدال الشام، والأخيار سياحون في الأرض، والعمد في زوايا الأرض، ومسكن الغوث مكة، فإذا عرضت حاجة ابتهل فيها النقباء ثم النجباء ثم الأبدال ثم الأخيار ثم العمد، فإن أجيبوا و إلا ابتهل الغوث فلا تتم مسألته حتى تجاب دعوته»[1].

والغوث عند التجانية مرادف لقطب الأقطاب كما سيأتي[2].

والرد على ذلك من وجوه:

١ ـ أن هذه الأسماء لم ترد في كتاب الله ولا في سنة رسوله ﷺ بإسناد صحيح ولا ضعيف، وقد روي في الأبدال حديث منقطع عن شريح بن عبيد الحضرمي قال: ذكر أهل الشام عند علي بن أبي طالب وهو بالعراق فقالوا: العنهم يا أمير المؤمنين. قال: لا، إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «الأبدال يكونون بالشام وهم أربعون رجلاً كلما مات رجل أبدل الله مكانه رجلاً، يسقى بهم الغيث وينتصر بهم على الأعداء، ويصرف عن أهل الشام بهم العذاب»[3].

وقد حكم شيخ الإسلام ابن تيمية على هذا الحديث بالانقطاع[4].

وقال الشيخ أحمد شاكر تعليقاً على هذا الحديث: «إسناده ضعيف لانقطاعه، شريح بن عبيد الحضرمي الحمصي لم يدرك علياً بل لم يدرك إلا بعض متأخري الوفاة من الصحابة، ثم قال: وسيأتي في شأنهم حديث آخر في مسند عبادة بن الصامت وقال فيه أحمد هناك: وهو منكر»[5].

٢ ـ وقد تكلم العلماء على أحاديث الأبدال والأقطاب، فقال العلامة ابن القيم:

«.. أحاديث الأبدال والأقطاب والأغواث والنقباء والنجباء والأوتاد كلها باطلة على رسول

---

(١) الدرة الخريدة ١/ ٤٩. قلت: وهذا الأثر أخرجه ابن عساكر من طريق عبيدالله بن محمد العبسي قال: سمعت الكتاني يقول: النقباء... وذكره، انظر: (تاريخ ابن عساكر بالتاريخ الكبير ١/ ٦٢، ٦٣، مطبعة روضة الشام سنة ١٣٢٩هـ).

(٢) انظر ص١٨٧.

(٣) رواه أحمد (المسند ١/ ١١٢).

(٤) مجموع الفتاوى ١١/ ٣٣٤.

(٥) حاشية المسند ٢/ ١٧١، بقلم أحمد شاكر ـ الطبعة الثالثة.

الله ﷺ، وأقرب ما فيها: «لا تسبوا أهل الشام فإنهم فيهم البدلاء كلما مات رجل منهم أبدل مكانه رجل آخر» ذكره أحمد ولا يصح أيضاً فإنه منقطع[1].

وقال السخاوي: «حديث الأبدال له طرق عن أنس رضي الله عنه مرفوعاً بألفاظ مختلفة كلها ضعيفة»[2][3].

وقال الحافظ ابن حجر: «الأبدال ورد في عدة أخبار منها ما يصح وما لا يصح، وأما القطب فورد في بعض الآثار، وأما الغوث بالوصف المشتهر بين الصوفية فلم يثبت»[4].

فأحاديث الأبدال لم ترد في الصحيحين ولا في شيء من بقية الكتب الستة إلا حديثاً واحداً عند أبي داود[5] .. فهي إلى الضعف أقرب منها إلى الصحة.. ثم هي على تقدير ثبوتها فإن معنى الأبدال فيها هم العباد الأتقياء وليس ما يزعمه الصوفية، وسيأتي بيان ذلك قريباً إن شاء الله.

٣ ــ ثم إن هؤلاء الأقطاب والأبدال هل كانوا في زمن نوح وإبراهيم وموسى قبل نبينا محمد ﷺ؟ فإن كانوا كذلك فمن كان القطب زمن إبراهيم عليه السلام حين كان الناس كفاراً؟ ﴿إن إبراهيم كان أمة قانتاً لله حنيفاً﴾[6] أي مؤمناً وحده وكان الناس جميعاً كفّاراً، فإذا كان إبراهيم هو القطب فأين الأبدال والنجباء والنقباء والأوتاد؟

وإن زعموا أنهم كانوا بعد رسولنا محمد ﷺ ففي أي زمان كانوا ومن أول هؤلاء، وما الدليل عليه من كتاب أو سنة أو إجماع أو عقل[7]؟

---

(١) المنار المنيف لابن القيم ١٣٦، تحقيق عبدالفتاح أبو غدة.

(٢) المقاصد الحسنة ٨، وقد ألف السخاوي في ذلك رسالة سماها: «نظم اللآل في الكلام على الأبدال».

(٣) وقد صنف العز بن عبدالسلام رسالة في الرد على من يقول بوجودهم ــ أي الأبدال ـ وأقام النكير على قولهم: بهم يحفظ الله الأرض (تاريخ العروس للعلامة مرتضى الزبيدي ٧/ ٢٢٣). مطابع دار صادر بيروت ١٣٦٠هـ ـ ١٩٦٦م، الناشر دار ليبيا للنشر والتوزيع ـ بنغازي.

(٤) شرح الزرقاني على المواهب اللدنية ٥/ ٣٩٧.

(٥) وهذا الحديث هو حديث أم سلمة «يكون اختلاف عند موت خليفة.. وفيه: فإذا رأى الناس ذلك أتاه أبدال الشام وعصائب أهل العراق فيبايعونه... الحديث» (سنن أبي داود المطبوع مع شرحه عون المعبود ١١/ ٣٧٥، ٣٧٨).

(٦) سورة النحل آية ١٢٠.

(٧) مجموع الفتاوى ١١/ ٤٣٧.

٤ ـ إنه يلـزم من هذا أن يرزق الله سبحانه وتعـالى وينصر الكفار على أعدائهـم بلا واسطة، ولا يرزق المؤمنين ولا ينصرهم إلا بواسطة، والتعظيم في عدم الواسطة[١].

٥ ـ ثم إن هـذا القول قريب من قول الـرافضة: إنه لابد من إمام معصـوم لا يتم الإيمان إلا به.. وهذا الترتيب عندهم قريب من ترتيب الإسمـاعيلية والنصيرية في السابق والتالي والناطق والأساس والجسد.. إلخ[٢].

٦ ـ إن هذه الألفاظ ممـا التبس فيها الحق بالباطل، فبعض الناس ينكـرها جملة وتفصيلاً لما يجد فيهـا من الباطل، وبعضهم يؤمن بها لمـا يجد فيها من الحق ونحن في هـذه العجالة نبين إن شاء الله مـا فيها من الحق وما فيهـا من الباطل لنكون من الـذين يلتزمون طـريق العدل والإنصاف، ويتجنبون طريق الزيغ والضلال.

* فأقول وبالله التوفيق:

أولاً:

«القطب»: وهـو المسمى عندهم «قطب الأقطـاب والغوث الجامـع»، وهو عند التجـانية الخليفة عن الله تعـالى في تصريف جميع الوجـود جملة وتفصيلاً، فحيث كان الـرب إلهاً كان هو خليفته فـي تصريف الحكم.. وفي ذلك يقول مـؤلف جواهر المعاني: «وسألتـه عن حقيقة القطبانية فأجاب رضي الله عنه بقوله: اعلم أن حقيقة القطبانية هي الخلافة العظمى عن الحق مطلقاً فـي جميع الوجـود جملة وتفصيلاً، حيثمـا كان الـرب إلهاً كان هـو خليفة في تصـريف الحكم وتنفيـذه في كل مـن عليه ألـوهية لله تعـالى، ثم قيـامه بالبـرزخية العظمى بيـن الحق والخلق فلا يصل إلـى الخلق شيء كائناً ما كـان من الحق إلا بحكم القطب وتوليه ونيـابة عن الحق في ذلك، وتوصيله كل قسمـة إلى محلها، ثم قيامه في الوجود بـروحانيته في كل ذرة من ذرات الوجود جملة وتفصيلاً، وقيـامه فيها في أرواحها وأشباحها ثم تصرفـه في مراتب الأولياء يتذوق مختلف أذواقهـم، فلا تكون مرئيـة في الوجود للعارفيـن والأولياء خارجة عن ذوقـه فهو المتصرف في جميعها والممد لأربابها، وله اختصـاص بالسر المكتوم الذي لا مطمع لأحد في دركه والسلام»[٣].

وقال فـي تفسير الإنسـان في قولـه تعالـى: ﴿إنا عـرضنا الأمـانة على السمـوات والأرض

---

(١) مجموع الفتاوى ١/ ٤٣٧.

(٢) مجموع الفتاوى ١١/ ٤٣٩.

(٣) جواهر المعاني ٢/ ٩٠.

والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوماً جهولاً﴾[1] قال: «﴿وحملها الإنسان﴾ وهو الإنسان الكامل الذي يحفظ الله به نظام الوجود وبه يرحم جميع الوجود، وبه صلاح جميع الوجود، وهو حياة جميع الوجود، وبه قيام جميع الوجود، ولو زال عن الوجود طرفة عين واحدة؛ لصار الوجود كله عدماً في أسرع من طرفة العين، وهو المعبر عنه بلسان العامة (قطب الأقطاب) و(الغوث الجامع)»[2].

فإن أريد بالقطب هذا المعنى فهو باطل من وجوه:

١ ـ أنهم خلعوا على هذا القطب صفات الإله الواحد الذي لا شريك له، فهم وإن لم يدعوا أنه إله يعبد من دون الله كما صرح فرعون، إلا أنهم لم يبقوا شيئاً من صفات الله تعالى إلا وصفوه بها، فالقطب هو النائب عن الحق في تصريف الكون، وروحه مبثوثة في الوجود لتبعث فيه الحياة والحركة، تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً.

٢ ـ أن هذا الكلام قل أن يصدر عن مجنون فضلاً عن عاقل، فكيف يصدر عمن يدّعي أنه من أولياء الله الصالحين؟

٣ ـ أن التجاني قد طرد من الجزائر كما سبق في ترجمته[3]، وقد أوذي في المغرب، فأين هذا القطب المدبّر لشؤون الكون لِمَ لَم يدافع عن نفسه؟

٤ ـ قال الدكتور الهلالي: «أرأيت لو حبس هذا القطب في مكان لا يجد فيه سبيلاً لقضاء الحاجة، فهل يستطيع أن يخرج من ذلك الحبس الضيق إلى عالم من العوالم التي يدبر شؤونها ويقضي حاجته، أم يبقى في «حيص بيص» حتى يتغوط على ثيابه ويبول عليها؟ وحينئذ يسخر منه الشيطان الذي أغواه وأمره بادّعاء ذلك الأمر العظيم الذي لا يقدر عليه إلا الله»[4].

٥ ـ ثم إن هذا القطب الذي لو زال عن الوجود طرفة عين واحدة لصار الوجود كله عدماً في أسرع من طرفة العين، أرأيت لو مات فهل يبقى يتصرف في هذا الكون، أم أن الكون سيهلك بهلاكه؟

---

(١) سورة الأحزاب ٧٢.

(٢) جواهر المعاني ١/ ٢٢٧.

(٣) انظر ص٥٥.

(٤) الهدية الهادية ١١٧.

٦ ـ وأخيراً فإن مثل هذا الكلام لا يستحق الرد ولا المناقشة، فإن أقل الناس إدراكاً يدرك بطلانه، إذ هو من أعظم المنكرات وأكبر الكبائر، قال الدكتور محمد تقي الدِّين الهلالي في نفي القطب:

ولا قطب نعرفه غير نجم ... يرى في السماء وقطب الرحى
ونحوهما لا الذي ذكروا ... يكون مقيماً بغار حرا
يمد الأنام ويجري الشؤون وتلك، وربِّك، أدهى الفرا
فهل من كتاب وهل سنة ... أتت من صحيح الحديث بذا[1]

وإن أريد به المعنى اللغوي وهو أن القطب هو الحديدة التي يدور عليها الرحى، أو أنه الكوكب الذي بين الجدي والفرقدين، أو أنه سيد القوم الذي يدور عليه أمرهم كما يقال: فلان قطب بني فلان[2] سواء كان قطباً لبلده أو قبيلته أو لأسرته، كما قال الشاعر:

كم أنبتت دوحة الإسلام من حسن ... وأطلعت في بهيم الليل من قطب

فهذا المعنى لا غبار عليه وهو معنى حق، فلا اختصاص إذاً للأقطاب بعدد معين، ولا يلزم أن يكون أفضل الناس في زمنه بل قد يكون أفضلهم، وقد يكون من أفضلهم، وقد يكون أسوأهم[3].

ثانياً :

«الغوث» إن أريد به المعنى المرادف للقطب كما تقول التجانية فذلك باطل، وقد تقدم بيان بطلانه آنفاً.

وإن أريد به طلب الاستغاثة من المخلوق فيما يقدر عليه، فهذا معنى حق ﴿فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوه﴾[4].

ثالثاً :

«الأوتاد» إن أريد به ما يزعمه الصوفية من أنهم عبارة عن أربعة أركان من العالم، شرق وغرب وجنوب وشمال، مع كل واحد منهم مقام تلك الجهة[5].

---

(١) الهدية الهادية ٤٧.

(٢) لسان العرب ٢/ ١٧٦.

(٣) مجموع الفتاوى ١١/ ٤٤٠.

(٤) سورة القصص آية ١٥.

(٥) التعريفات لأبي الحسن الجرجاني ١٣٩.

أو أن كل واحد منهم في ركن من أركان الكعبة والذي في ركن الحجر الأسود على قلب سيدنا محمد ﷺ يمد الخلق بالإمدادات العظيمة[1] كما يقول التجانيون، فهذا معنى باطل لما تقدم.

وإن أريد به المعنى اللغوي للأوتاد كما يُقال: فلان من أوتاد الأرض، أو: فلان من الأوتاد، يعني بذلك أنه على درجة كبيرة من التقوى والصلاح، وأن الله يثبت به الإيمان والدين في قلوب من يهديهم الله على يديه كما يثبت الأرض بأوتادها، فهذا المعنى ثابت لكل من كان بهذه الصفة ولا يختص بأربعة ولا أقل ولا أكثر[2].

رابعاً :

«الأبدال» إن أُريد بهم أن من سافر منهم عن موضعه ترك جسداً على صورته حتى لا يعرف أحد أنه فقد، وهم على قلب إبراهيم[3]، وأن عددهم سبعة أو أربعون، فهذا باطل لما تقدم.

وإن أريد بهم أنهم أولياء الله المتقون أو العباد الأتقياء[4]، وأنهم أبدلوا السيئات من أخلاقهم وأعمالهم وعقائدهم بحسنات، فهذا معنى حق، وهذه الصفات لا تختص بسبعة ولا أربعين ولا غير ذلك من الأعداد.

خامساً :

«النقباء» إن أريد بهم ما يزعمه الصوفية أنهم الذين استخرجوا خبايا النفوس وهم ثلاثمائة وأن مسكنهم الغرب[5]، فهذا المعنى باطل إذ لا يعلم خبايا النفوس إلا الله ﴿ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن أقرب إليه من حبل الوريد﴾[6].

وإن أُريد به المعنى اللغوي، وأن النقيب هو الأمين والوكيل[7] كما قال سبحانه: ﴿وبعثنا منهم اثني عشر نقيباً﴾[8] فهذا معنى حق، ولا اختصاص لهم بعدد معين ولا بمكان معين.

---

(١) الدرة الخريدة ١/ ٤٩.

(٢) مجموع الفتاوى ١١/ ٤٤٠.

(٣) الدرة الخريدة ١/ ٤٩، التعريفات للجرجاني ١٣٩.

(٤) النهاية لابن الأثير ١/ ١٠٧ ط الحلبي، عون المعبود ١١/ ٣٧٦.

(٥) الدرة الخريدة ١/ ٤٩.

(٦) سورة ق آية ١٦.

(٧) لسان العرب ٢/ ٢٦٧.

(٨) سورة المائدة آية ١٢.

سادساً:

«النجباء» إن أريد بـه ما يزعمه كثير من الصـوفية أنهم المشغولون بحمل أثقـال الخلق فلا يتصرفـون إلا في حق الغير، وأن عددهم أربعـون أو سبعون[1] وأن مسكنهم مصر، فهـذا المعنى باطل لما تقدم.

وإن أريد به المعنى اللغوي من النجابة: وهـي الفضل والشرف، يقال: هو نجيبة القوم، إذا كان النجيب فيهم[2]، ويُقال: فلان من النجباء، أي الفضـلاء، فهذا معنى حق، ولا اختصاص له بعدد معين ولا بمكان معين. والله الموفق والهادي إلى طريق الصواب.

(د) مذهب أهل السنة والجماعة وحكم من اعتقد أن التجاني خاتم الأولياء:

ينحصر معنـى «الولي» في اللغـة في القرب والـدنو[3]، ويُقال للمطـريجي بعد الـوسمي: «ولي» لأنـه يلي الـوسمي، ومنـه الولاء في الملـك، والمولـى: المالك أو العبـد[4]، والولايـة بالفتـح: النصرة، وبالكسـر: الإمارة والخطة. ومعنى الـولاية في الاصطـلاح عبارة عن مـوافقة الولـي الحميد في محـابه ومساخطـه، وليست بكثرة صيـام ولا صلاة ولا تملق ولا ريـاضة[5]، والولاية قسمان:

ولاية كاملة:

وهي ما اجتمع فيها الشرطان المذكـوران في قوله تعالى: ﴿ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون. الذين آمنوا وكانوا يتقون﴾[6] وهما الإيمان والتقوى.

وولاية ناقصة:

وهي ما دون ذلك، فقد يجتمع في المؤمن ولاية من جهة وعداوة من جهة أخرى.

قال النبي ﷺ: «أربع من كن فيه كان منافقاً خالصاً، ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلـة من النفاق حتـى يدعهـا: إذا ائتمن خان، وإذا حـدَّث كذب، وإذا عـاهد غـدر، وإذا

---

(١) الدرة الخريدة ١/ ٤٩، التعريفات للجرجاني ١٣٩.

(٢) لسان العرب ٢/ ٢٤٤.

(٣) معجم مقاييس اللغة لابن زكريا ٦/ ١٤١ الطبعة الثانية.

(٤) القاموس المحيط ٤/ ٤٠٤ المؤسسة العربية للطباعة والنشر.

(٥) شرح الطحاوية ٤٠٤ الطبعة الرابعة.

(٦) سورة يونس آية ٦٢، ٦٣.

خاصم فجر»[1][2].

وأما خاتم الأولياء عند أهل السنة فهو آخر مؤمن تقي في هذا العالم، ولا يلزم من كونه خاتم الأولياء أنه أفضلهم، بل أفضل الأولياء بعد الأنبياء أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي ثم سائر إخوانهم من السابقين والمجاهدين عليهم رضوان الله، وحكى النووي رحمه الله اتفاق أهل السنة على أن أفضلهم أبو بكر ثم عمر.. ثم قال: وقال جمهورهم: ثم عثمان ثم علي، وقال بعض أهل السنة من أهل الكوفة بتقديم علي على عثمان، والصحيح المشهور تقديم عثمان[3].

وقال أبو منصور البغدادي[4]: «أصحابنا مجمعون على أن أفضلهم الخلفاء الأربعة على الترتيب المذكور ثم تمام العشرة.. ثم أهل بدر ثم أحد ثم أهل بيعة الرضوان»[5].

وروى البيهقي عن الشافعي: أنه كان يقول: «أفضل الناس بعد رسول الله ﷺ أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي»[6].

ومن زعم بأن التجاني خاتم الأولياء بمعنى أفضلهم فقد خالف كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، مع ما في هذا الادّعاء من تزكية النفس، وقد نهى الله ورسوله عن ذلك، قال الله تعالى: ﴿فلا تزكوا أنفسكم﴾[7]. وقال سبحانه: ﴿ألم تر إلى الذين يزكون أنفسهم بل الله يزكي من

---

(١) رواه البخاري (صحيح البخاري مع شرح فتح الباري ١/ ٨٩)، ورواه مسلم (صحيح مسلم مع شرح النووي ٢/ ٤٦)، ورواه النسائي في سننه ٨/ ١١٦.

(٢) مجموع الفتاوى ٢/ ٤٤٢، ٢٢٥ شرح الطحاوية ٤٠٥، ٤٠٦.

(٣) شرح النووي على صحيح مسلم ١٥/ ١٤٨.

(٤) هو عبد القاهر بن طاهر بن محمد بن عبدالله البغدادي التيمي الإسفراييني أبو منصور، ولد ونشأ ببغداد ورحل إلى خراسان، من تصانيفه: «أصول الدين» «فضائح القدرية» «الملل والنحل» «التحصيل» في أصول الفقه «والفرق بين الفرق» و«نفي خلق القرآن». توفي سنة ٤٢٩ هـ، الأعلام ٤/ ١٧٣، وفيات الأعيان ٢/ ٣٧٢، ٣٧٣، مكتبة النهضة المصرية، فوات الوفيات ٢/ ٣٧٠، ٣٧٢ مطابع دار صادر بيروت.

(٥) أصول الدين ٣٠٤ «بتصرف» الطبعة الأولى.

(٦) الاعتقاد للبيهقي ١٩٢ دار العهد الجديد للطباعة ١٣٧٩ هـ ـ ١٩٥٩ م، صححه أبو الفضل عبدالله محمد الصديق الغماري، وذكر ابن حجر في الفتح (٧/ ١٧) أن البيهقي روى في الاعتقاد بسنده عن الشافعي إجماع الصحابة وأتباعهم على ذلك ولم أجده في الاعتقاد.

(٧) سورة النجم آية ٣٢.

يشاء ولا يظلمون فتيلاً﴾[1].

وعن محمد بن عمرو بن عطاء قال: «سميت ابنتي (برة) فقالت لي زينب بنت أبي سلمة: إن رسول الله ﷺ نهى عن هذا الاسم، وسميت برة، فقال رسول الله ﷺ: لا تزكوا أنفسكم، الله أعلم بأهل البر منكم. فقالوا: بم نسميها؟ قال: سموها زينب»[2].

قلت: هذا مجرد التسمية، فكيف بمن يدّعي أنه أفضل الأولياء؟

قال القرطبي بعد ذكر الحديث السابق: «ويجري هذا المجرى ما كثر في هذه الديار المصرية من نعت أنفسهم بالنعوت التي تقتضي التزكية، كزكي الدين، محيي الدين، وما أشبه ذلك، لكن لما كثر قبائح المسمين بهذه الأسماء ظهر تخلف هذه النعوت عن أصلها فصارت لا تفيد شيئاً»[3].

ثم إن في هذا الادّعاء تفضيلاً لنفسه على أبي بكر وعمر وعثمان وعلي وسائر الصحابة الذين صرح القرآن الكريم والسنة المطهرة بفضلهم، ففيه مخالفة لكتاب الله وسنة رسوله، فهو زعم باطل وقول آثم، ولذلك قال أبو منصور البغدادي عندما تحدَّث عن الكرامية «.. ومنهم من ادّعى فضل زعيمهم ابن كرام على ابن مسعود وكثير من الصحابة ولم يجسر على تفضيله على الأنبياء خوفاً من السيف، وهذا قول لا يستحق صاحبه الكلام عليه»[4].

وقال القرطبي: «وأما قوله ﷺ في صحيح الحديث: «لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى ابن مريم وقولوا عبدالله ورسوله»[5] فمعناه: لا تصفوني بما ليس فيّ من الصفات تلتمسون بذلك مدحي، كما وصفت النصارى عيسى بما لم يكن فيه فنسبوه إلى أنه ابن الله فكفروا بذلك وضلوا، وهذا يقتضي أن من رفع أمراً فوق حدّه وتجاوز مقداره بما ليس فيه فمعتد آثم؛ لأن ذلك لو جاز في أحد لكان أولى الخلق بذلك رسول الله ﷺ»[6].

---

(١) سورة النساء آية ٤٩.

(٢) رواه مسلم (صحيح مسلم مع شرح النووي ١٤/ ١٢٠)، رواه أبو داود (سنن أبي داود المطبوع مع شرحه عون المعبود ١٣/ ٢٩٤ ـ ٢٩٥).

(٣) تفسير القرطبي ٥/ ٢٤٦.

(٤) أصول الدين لأبي منصور البغدادي ٢٩٨ الطبعة الأولى.

(٥) رواه البخاري (صحيح البخاري مع شرحه فتح الباري ٦/ ٤٧٨) بنحوه.

(٦) تفسير القرطبي ٥/ ٢٤٧.



الفصل الثالث
عقيدتهم في اليوم الآخر

وفيه ثلاثة مباحث :

المبحث الأول: في زعم التجاني أن النبي ﷺ ضمن له ولأتباعه الجنة.

المبحث الثاني : في قول التجاني «من رآني دخل الجنة».

المبحث الثالث: في بعض فضائل التجانيين التي يدعون أنها خاصة بهم مما يتعلق بالإيمان باليوم الآخر.

المبحث الأول
في زعم التجاني أن النبي ﷺ ضمن له ولأتباعه الجنة

ذكر بعض النصوص التي تصرح بأن النبي ﷺ ضمن له ولأتباعه دخول الجنة كما يزعم:

زعم التجاني أن النبي ﷺ ضمن له ولأتباعه دخول الجنة بغير حساب ولا عقاب، ولو عملوا من الذنوب والمعاصي ما عملوا. وفيما يلي بعض النصوص التي وردت في كتب التجانية في ذلك:

١ ـ قال مؤلف الجواهر: «اطلعت على ما رسمه وخطه ونصه.. أسأل من فضل سيدنا رسول الله ﷺ أن يضمن لي دخول الجنة بلا حساب ولا عقاب في أول الزمرة الأولى، أنا وكل أب وأم ولدوني من أبوي إلى أول أب وأم لي في الإسلام من جهة أبي ومن جهة أمي، من كل ما تناسل منهم من وقتهم إلى أن يموت سيدنا عيسى ابن مريم من جميع الذكور والإناث.. وكل من أحسن إليّ بإحسان حسي أو معنوي من مثقال ذرة فأكثر.. وكل من لم يعادني من جميع هؤلاء، أما من عاداني وأبغضني فلا، وكل من والاني واتخذني شيخاً أو أخذ عني ذكراً، وكل من خدمني أو قضى لي حاجة.. وآباؤهم وأمهاتهم وأولادهم وبناتهم وأزواجهم.. يضمن لي سيدنا رسول الله ﷺ ولجميع هؤلاء أن نموت وكل حي منهم على الإيمان والإسلام.. ثم قال: كل ما في هذا الكتاب ضمنته لك ضمانة لا تتخلف عنك وعنهم أبداً إلى أن تكون أنت وجميع من ذكرت في جواري في عليين، وضمنت لك جميع ما طلبته منا ضماناً لا يخلف عليك الوعد فيها والسلام.. ثم قال: وكل هذا واقع يقظة لا مناماً»[1].

٢ ـ ونقل مؤلف كتاب رماح حزب الرحيم عن التجاني قوله:

«.. وليس لأحد من الرجال أن يدخل كافة أصحابه الجنة بغير حساب ولا عقاب ولو عملوا من الذنوب ما عملوا وبلغوا من المعاصي ما بلغوا إلا أنا وحدي، ووراء ذلك ما ذكر لي فيهم وضمنه لهم ﷺ أمر لا يحل ذكره ولا يرى ولا يعرف إلا في الآخرة»[2].

---

(١) جواهر المعاني ١/ ١٣٠، ١٣١، جواهر المعاني ٢/ ١٦٢، ١٦٣.

(٢) رماح حزب الرحيم ٢/ ١٤٣، الدرة الخريدة ١/ ٥١.

٣ ـ وقال مـؤلف بغية المستفيد: «إن من جملة مـا ذكره سيدنا رضي الله عنـه من فضل هذا الورد العظيم عـن نبينا المصطفى الكريم عليـه أفضل الصلاة والتسليم، أن كل مـن أخذه عن الشيخ أو عمن عنده الإذن الصحيح فـي التلقين، يكون مقامه ومستقره مـن فضل الله تعالى في أعلى علييـن بجوار سيـد المـرسلين وإمـام المتقين صلى الله عليـه وسلم وعلـى آله وصحبـه أجمعين، ويغفـر الله له تعـالى بفضلـه من ذنوبـه الكبـائر والصغائر، وتـؤدى عنه التبعـات من خزائن الرب المجيد القادر، ولذلك كان آمناً مـن أن يروعه هول المحشر، أو يؤلمه ضنك القبر، وأزواجه وأولاده المنفصلون عنه دنيـة، وكذا أبواه داخلون[1] معه في هذا الخيـر الجزيل، بشرط ألا يصدر بغض من الجميع في هذا الشيخ الجليل وجانبه الأعز المنيع»[2].

٤ ـ وقال في الجيـش الكفيل بأخذ الثأر: «وسألته ﷺ لكل من أخـذ عني ورداً أن تغفر لهم جميع ذنـوبهم ما تقـدم منها ومـا تأخر، وأن تـؤدى عنهم تبعـاتهم من خـزائن فضل الله لا من حسناتهـم، وأن يدفع الله عنهم محـاسبته ... وأن يكونـوا آمنين من عذاب الله من المـوت إلى دخول الجنة بلا حسـاب ولا عقاب في أول الزمرة الأولى، وأن يكونـوا معي في عليين في جوار النبي ﷺ. فقال لي النبي ﷺ: ضمنـت لك هذا ضماناً لا ينقطع حتى تجـاورني أنت وهـم في عليين»[3].

الأدلـــة والمناقشـــة :

الدليل الأول:

قال محمد الحافـظ التجاني: «أما دخول الجنة بغير حسـاب فقد ثبت في الصحيحين[4] حديث السبعين ألفاً، ووقع في غير الصحيحين أن مـع السبعين ألفاً زيادة عليهم، ففي حديث أبي هريرة عنـد أحمد والبيهقي في البعث عن النبي ﷺ قال: «سألت ربي فـوعدني أن يدخل الجنة مـن أمتي زمرة هـم سبعـون ألفاً تضيء وجوههـم إضاءة القمر ليلـة البدر، فاستـزدت ربي فزادني مـع كل ألف سبعين ألفاً» وسنـده جيد. وأخرج التـرمذي وحسنه والطبرانـي وابن حبان في صحيحه من حديث أبي أمامة رفعه: «وعـدني ربي أن يدخل الجنة من أمتي سبعين ألفاً لا

---

(١) كذا في الأصل.

(٢) بغية المستفيد ٢٧٣.

(٣) الجيش الكفيل بأخذ الثأر ٢١٤، ٢١٥.

(٤) صحيح البخاري المطبوع مع شرحه فتح الباري ١١/ ٤٠٦. رواه مسلم (صحيح مسلم المطبوع مع شرح النووي ٣/ ٩٣، ٩٤)رواه أحمد في المسند ٢/ ٤٠٠ ـ ٤٠١.

حساب عليهم ولا عـذاب مع كل ألف سبعون ألفـاً وثلاث حثيات مـن حثيات ربي»[1].. قال محمد الحـافظ: «وفي حثية من حثيـات الحق يدخل التجاني وأحبـابه وأصحابـه وأكثر منهم، اللهم إلا أن اجترأ مفتـر على الله فحدها بحد أو قـدرها بقدر لا دليل فيه إلا رأي سخيـف ما أنزل الله به من سلطان»[2].

المناقشة:

١ ـ إن الاستدلال بهذا الحديث ليس في محله، إذ غايـة ما فيه أن أناساً من أمة محمد ﷺ يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب، وليس فيه دليل على ضمان الجنة لأحد معين.

٢ ـ أن القول بخصـوصية ضمـان دخول الجنـة بغير حسـاب ولا عذاب بـالتجانيين قـول لا دليل عليه لا من كتاب ولا من سنة، وكل دعوى خلت من الدليل فهي باطلة.

ودعواه أن النبي ﷺ أخبره بـذلك يقظة ـ مع أنها مستحيلـة كما بينا[3] ـ ليست بصحيحة؛ لأن النبي ﷺ حينما سأله أصحابه عنهم أخبر بصفـاتهم فقال: «كانوا لا يكتوون ولا يسترقون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون»[4] ولم يخبر ﷺ بذواتهم، ولا يرد مـا تلقاه عنه أصحابه رضي الله عنهم في حياته بهذه الدعاوى الباطلة.

٣ ـ إن العلمـاء قد اختلفوا فـي هؤلاء السبعين ألفـاً، فمنهم من قال: إنهم مـن أهل البقيع لحـديث أم قيس رضي الله عنهـا، قالـت: «لو رأيتني ورسـول الله ﷺ آخذ بيـدي في سكـة من سكك المدينة ما فيهـا بيت حتى انتهى إلى بقيع الغرقد، فقال لي: يـا أم قيس، يبعث من هذه المقبرة سبعون ألفاً يدخلون الجنة بغير حساب[5]. فقام عكاشة بن محصن فقال: وأنا يا رسول الله؟ فقال: وأنت. فقام آخر فقال: وأنا يارسول الله؟ قال: سبقك بها عكاشة»[6].

---

(١) رواه الترمـذي وقال: «حديث حسن غـريب» جامع الترمـذي مع شرحه تحفـة الأحوذي ٧/ ١٢٩، ١٣٠، ورواه أحمد في المسند ٥/ ٢٦٨.

(٢) الانتصاف في رد الإنكار على الطريق ٢٢، ٢٣ الحلقة الثالثة، الطبعة الثانية.

(٣) انظر ص١٣٦ وما بعدها من بحثنا هذا.

(٤) رواه البخاري (صحيح البخاري مع شرحه فتح الباري ١١/ ٤٠٦).

(٥) مشتهى الخارف الجاني: ١١٣.

(٦) قال الهيثمي: «رواه الطبراني في الكبير وفيه من لم أعرفه» مجمع الزوائد ٤/ ١٣، وذكره ابن حجر في فتح الباري وسكت عنه (فتح الباري ١١/ ٤١٣)، وانظـر وفاء الوفاء ٢/ ٨٠ مطبعة الآداب والمؤيـد بمصر، وتحقيق النصرة بتلخيص معالم دار الهجرة ١٢٤ الطبعة الأولى، عمد الأخيار في مدينة المختار ١٢٤، ١٢٥ مطبعة الشيمي.

وأكثر أتباع التجاني من أهل إفريقيا الخضراء ممن لم ير المدينة، فكيف يدفن فيها فضلاً عن البقيع[1]؟

وقيل: إن هؤلاء السبعين ألفاً هم الذين تساوت سيئاتهم وحسناتهم، وهذه صفة عامة تشمل من تساوت حسناتهم وسيئاتهم من التجانيين وغيرهم. وقيل: إنهم المتصفون بالصفات المذكورة في الحديث «كانوا لا يكتوون ولا يسترقون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون»[2] وهو القول الصحيح ؛لأن النبي ﷺ فسرهم بذلك، ولا ينبغي العدول عن قوله ﷺ إلى أقوال لا تقوم بها حجة.

فالحديث لم يخص طائفة معينة من الناس، فكل من اتصف بهذه الصفات كائناً من كان دخل الجنة بغير حساب ولا عذاب كما أخبر بذلك سيد الخلق ﷺ، ولكن التجاني يصر على أنه يضمن لأصحابه دخول الجنة بغير حساب ولا عذاب ولو عملوا من المعاصي ما عملوا، وأن ذلك خاص به وحده ليس لأحد سواه[3]. نعوذ بالله من سوء الافتراء والكذب على الله.

٤ ـ قول محمد الحافظ: «وفي حثية من حثيات الحق يدخل التجاني وأحبابه وأصحابه وأكثر منهم».

قلت: وهذا القول مغالطة مكشوفة، وتعليق للأمر بقدرة الله تعالى وقدرة الله متعلقة بكل شيء[4]، فهو سبحانه وتعالى قادر على أن يدخلهم الجنة كما هو قادر على أن يدخلهم النار، فلله القدرة التامة على كل شيء، لكن ما الدليل على أن النبي ﷺ قد ضمن للتجاني وأصحابه أن يكونوا من السبعين ألفاً أو في إحدى الحثيات؟ هذا هو موضع الخلاف وهو ما لا دليل عليه، والله أعلم.

الدليل الثاني:

واستدل محمد الحافظ على ضمان كونهم مع النبي ﷺ في أعلى عليين بقوله تعالى: ﴿ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً﴾[5].

---

(١) مشتهى الخارف الجاني ١١٤.

(٢) سبق تخريجه ص١٩٨.

(٣) انظر: ص٢١٤ من هذا الكتاب.

(٤) سبقت الإشارة إلى ذلك.

(٥) سورة النساء آية: ٦٩.

وبما روي عن النبي ﷺ أنه قال: «.. إن في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيل الله، ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض، فإذا سألتم الله فاسألوه الفردوس فإنه أوسط الجنة وأعلى الجنة ـ أراه قال ـ ومنه تفجر أنهار الجنة»[1].

قال محمد الحافظ: «وقد سأل ذلك لنفسه وأحبابه، فهل اطلعت على أن الله لم يستجب له؟»[2].

المناقشة :

١ ـ إن الآية والحديث كلاهما دليل في غير موضع الاستدلال، فالآية تدل على أن من أطاع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء، وهذا المعنى لايماري فيه مسلم يتدبر كتاب الله، ولم تشر الآية من قريب ولا من بعيد إلى ضمان حصول هذه المعية للتجاني وأتباعه، إذ غاية ما فيها أن من أطاع الله ورسوله فهو مع النبيين والصديقين والشهداء كائناً من كان.

وما يقال في الآية يقال في الحديث، إذ ليس فيه دلالة على ما أرادوا من ضمان الفردوس له ولأتباعه، إنما فيه توجيه العباد إلى سؤال ذلك طمعاً في فضل الله ورضوانه.

٢ ــ قال محمد الحافظ: «وقد سأل ذلك لنفسه وأحبابه، فهل اطلعت على أن الله لم يستجب له؟».

قلت: ولو سأل ذلك له ولأصحابه لما اعترض عليه، فكل عبد من عباد الله له أن يسأل الله تعالى بما شاء متى شاء، ولكن ما ذكره التجاني لم يكن مجرد سؤال ودعاء بل صرّح في أكثر من موضع وفي أكثر من كتاب بأن النبي ﷺ ضمن لهم دخول الجنة مع النبيين والصديقين في الفردوس الأعلى، فمن ذلك أنه قال... بعد ما سأل النبي ﷺ أن يضمن له ولأتباعه دخول الجنة بغير حساب ولا عذاب.. قال: «كل ما في هذا الكتاب ضمنته لك ضمانة لا تتخلف عنك وعنهم أبداً إلى أن تكون أنت وجميع من ذكرت في جواري في عليين، وضمنت لك جميع ما طلبته منا ضماناً لا يخلف عليك الوعد فيها والسلام»[3].

ومعنى الضمان في اللغة : الكفالة والالتزام.

---

(١) رواه البخاري (صحيح البخاري المطبوع مع شرحه فتح الباري ٦/ ١١).

(٢) الانتصار في رد الإنكار على الطريق ٢٣ الحلقة الثالثة ط الثانية.

(٣) انظر ١٩٦ من هذا الكتاب.

قال في معجم مقاييس اللغة: «والكفالة تسمى ضماناً من هذا؛ لأنه كأنه إذا ضمنه فقد استوعب ذمته»[1].

وقال في اللسان: «الضمين الكفيل، ضمن الشيء وبه ضمنا وضماناً: كفل به، وضمنه إياه: كفَّله. وفي الحديث: «من مات في سبيل الله فهو ضامن على الله أن يدخله الجنة»[2] «أي ذو ضمان»[3].

وقال في المصباح المنير: «ضمنت المال وبه ضماناً فأنا ضامن وضمين: التزمته»[4].

وقال في القاموس المحيط: «.. وضمنته الشيء تضميناً فتضمنه عني: غرمته فالتزمته»[5].

فلو كان ما قاله مجرد دعاء يحتمل الإجابة أو عدمها لما اعترض عليه ولا نوقش فيه، ولكنه صرح بالضمان فوجب الإنكار عليه. والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل.

---

(١) معجم مقاييس اللغة ٣/ ٣٧٢ الطبعة الثانية.

(٢) رواه مسلم بلفظ: «قال رسول الله ﷺ: تضمن الله لمن خرج في سبيله لا يخرجه إلا جهاداً في سبيلي وإيماناً بي وتصديقاً برسلي فهو عليَّ ضامن أن أدخله الجنة... الحديث» صحيح مسلم مع شرح النووي ١٣/ ١٩، ٢٠. قال الإمام النووي: «ذكروا في (ضامن) هنا وجهين: أحدهما بمعنى مضمون كما دافق ومدفوق، والثاني بمعنى ذو ضمان» (شرح النووي ١٣/ ٢٠).

(٣) لسان العرب ١٧/ ١٣٦.

(٤) المصباح المنير ٢/ ٦ المطبعة العثمانية.

(٥) القاموس المحيط ٤/ ٢٤٥.

بعد مناقشة الأدلة نعود إلى مناقشة ما يحتاج إلى مناقشة من النصوص السابقة، فأقول وبالله التوفيق :

(أ) قول التجاني: «ومن أخذ الورد المعلوم الذي هو لازم الطريق أو عمن أذنته يدخل الجنة هو ووالده وأزواجه وذريته المنفصلة عنه لا الحفدة بلا حساب ولا عقاب، بشرط ألا يصدر منهم سب ولا بغض ولا عداوة، وبدوام محبة الشيخ بلا انقطاع إلى الممات.. إلخ[1]».

ونقل مؤلف رماح حزب الرحيم عن التجاني قوله:

«.. وليس لأحد من الرجال أن يدخل كافة أصحابه الجنة بغير حساب ولا عقاب ولو عملوا من الذنوب ما عملوا وبلغوا من المعاصي ما بلغوا إلا أنا وحدي، ووراء ذلك ما ذكر لي فيهم وضمنه لهم ﷺ أمر لا يحل ذكره ولا يرى ولا يعرف إلا في الآخرة»[2].

هذا القول باطل من وجوه :

١ ـ أن هذا الرجل ضمن لأصحابه ما لم يضمنه ﷺ لقرابته وأحب الناس إليه، ففي البخاري أن أبا هريرة قال: قال رسول الله ﷺ حين أنزل الله: ﴿وأنذر عشيرتك الأقربين﴾[3]، قال: «يا معشر قريش ـ أو كلمة نحوها ـ اشتروا أنفسكم لا أغني عنكم من الله شيئاً. يا بني عبد مناف لا أغني عنكم من الله شيئاً. يا عباس بن عبدالمطلب لا أغني عنك من الله شيئاً. ويا صفية عمة رسول الله ﷺ لا أغني عنك من الله شيئاً. ويا فاطمة بنت محمد ﷺ سليني ما

(١) الدرة الخريدة ٤/ ٢٦.

(٢) انظر ص١٩٦ .

(٣) سورة الشعراء آية ٢١٤.

شئت من مالي لا أغني عنك من الله شيئاً»[1].

فهذا رسول الله ﷺ صاحب الشفاعة العظمى قد بين لأقاربه أن مجرد قرابتهم منه لا تغني عنهم من الله شيئاً، بل لابد من الإيمان الصحيح والعمل الصالح، فأين هذا من ضمان التجاني لأصحابه الجنة وإن عملوا من المعاصي ما عملوا؟ فهذا الرجل يزعم أنه ضمن لأتباعه ما لم يضمنه رسول الله ﷺ لقرابته.. ضمن لهم دخول الجنة مهما عملوا من المعاصي بشرط ألا يصدر منهم سب ولا بغض ولا عداوة وبدوام محبتهم له بلا انقطاع إلى الممات.. وهذا الزعم يدل على أنه أوتي ما لم يؤت رسول الله ﷺ، مما يشعر بتفضيله لنفسه على النبي ﷺ، وهذا ما لا يقره عليه شرع ولا عقل ولا عرف[2].

٢ ـ أن هذا الرجل قد ضمن لأتباعه ما لم يضمنه رسول الله ﷺ لأصحابه، ويدل على ذلك ما رواه البخاري عن ابن عباس في حديث السبعين ألفاً الذين يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب حينما قام رجل فقال: «ادع الله أن يجعلني منهم. قال: سبقك بها عكاشة»[3] فإن النبي ﷺ لم يضمن لجميع أصحابه أن يكونوا من الذين يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب، وإنما قال لمن سأله ذلك: «سبقك بها عكاشة»، حسماً للمادة ومنعاً للتسلسل.

أما التجاني فهو يضمن الجنة لجميع أتباعه ولو عملوا من المعاصي ما عملوا، وهذا الزعم يدل على أنه أوتي ما لم يؤته رسول الله ﷺ، كما يشعر بأن أتباعه أفضل من صحابة رسول الله ﷺ[4].

٣ ـ قول التجاني: «ومن أخذ الورد المعلوم الذي هو لازم الطريقة أو عمن أذنته يدخل الجنة.. بلا حساب ولا عقاب.. إلخ».

يدل على أن من قرأ هذا الورد دخل الجنة بغير حساب ولا عقاب، وهذا المقام لم يحصل لحاملي القرآن بل دلّ الكتاب والسنة على أن كثيراً من حملة القرآن يدخلون النار، بل إن

---

(١) رواه البخاري (صحيح البخاري مع شرحه فتح الباري ٨/ ٥٠١). ورواه الترمذي (جامع الترمذي المطبوع مع شرحه تحفة الأحوذي ٦/ ٥٩٨، ٥٩٩).

(٢) مشتهى الخارف الجاني ١٢١ ـ ١٢٢.

(٣) رواه البخاري (صحيح البخاري مع شرحه فتح الباري ١١/ ٤٠٦).

(٤) مشتهى الخارف الجاني ١١٢ ـ ١١٣، مجلة المنار المجلد ٣٣ ص٥٠٢ الجزء السابع العدد ١٢ شعبان سنة ١٣٥٢هـ.

بعض حملة القرآن من أول من تسعر بهم النار يوم القيامة، كما صح ذلك عن المصطفى ﷺ.

فقد روى مسلم عن سليمان بن يسار قال: تفرق الناس عن أبي هريرة، فقال له ناتل[1] أهل الشام: أيها الشيخ حدثنا حديثاً سمعته من رسول الله ﷺ. قال: نعم، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن أول الناس يقضى يوم القيامة عليه رجل استشهد فأتي به فعرفه نعمه فعرفها. قال: فما عملت فيها؟ قال: قاتلت فيك حتى استشهدت. قال: كذبت، ولكنك قاتلت لأن يُقال: جريء، فقد قيل. ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار. ورجل تعلم العلم وعلمه وقرأ القرآن فأتي به فعرفه نعمه فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: تعلمت العلم وعلمته وقرأت فيك القرآن. قال: كذبت، ولكنك تعلمت العلم ليقال: عالم، وقرأت القرآن ليقال: قارئ، فقد قيل. ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار.. الحديث»[2].

فهذا قارئ للقرآن من أول من تسعر بهم النار يوم القيامة لكونه كان مرائياً بقراءته والعياذ بالله، أما قارئ الورد التجاني فإنه يدخل الجنة بلا حساب ولا عقاب ولو عمل من المعاصي ما عمل بشرط ألا يصدر منه سب ولا بغض بجانب الشيخ، نعوذ بالله من الخذلان.

٤ ـ أن التجاني ضمن لأتباعه دخول الجنة كما ضمن ذلك لأولادهم وأزواجهم بشرط «ألا يصدر منهم سب ولا بغض بجانب الشيخ.. إلى الممات..».

والمعلوم في الكتاب والسنة أن النفع لا يصل إلى المتعلق من ولد أو زوج إلا بشرط كونه صالحاً، قال الله تعالى حكاية عن حملة العرش: ﴿فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم ربنا وأدخلهم جنات عدن التي وعدتهم ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم إنك أنت العزيز الحكيم﴾[3].

قال الألوسي: «والظاهر أن المراد بالصلاح: الصلاح المصحح لدخول الجنة وإن كان دون صلاح المتبوعين»[4].

---

(١) «ناتل أهل الشام» وفي الرواية الأخرى: «فقال له ناتل الشامي» وهو ناتل بن قيس الحزامي الشامي من أهل فلسطين وهو تابعي وكان أبوه صحابياً وكان ناتل كبير قومه (شرح النووي على مسلم ١٣/ ٥٠).

(٢) رواه مسلم (صحيح مسلم مع شرح النووي ١٣/ ٥٠، ٥١)، ورواه أحمد في المسند ٢/ ٣٢٢.

(٣) سورة غافر آية ٧، ٨.

(٤) روح المعاني ٢٤/ ٤٨.

وقال القرطبي: «ومن صلح: بالإيمان»[1].

ومن الأحاديث ما رواه ابن ماجه بسنده عن رفاعة الجهيني قال: صدرنا مع رسول الله ﷺ فقال: «والذي نفسي بيده ما من عبد يؤمن ثم يسدد إلا سلك به في الجنة، وأرجو ألا يدخلوها حتى تبوؤوا أنتم ومن صلح من ذراريكم مساكن في الجنة، ولقد وعدني ربي عز وجل أن يدخل الجنة من أمتي سبعين ألفاً بغير حساب»[2].

وفي قصة نوح وابنه وإبراهيم وأبيه ولوط وزوجته أكبر دليل، فشرط الصلاح هو المعتبر شرعاً.

وأما اشتراط عدم سب الشيخ وبغضه فهو شرط افتراه التجانيون من عند أنفسهم ولم يقم عليه دليل من كتاب ولا من سنة[3].

٥ ـ أن في قول التجاني بضمان الجنة لأتباعه ولو عملوا من الذنوب ما عملوا تشجيعاً لهم على مقارفة المعاصي والذنوب، فما دام شيخهم قد ضمن لهم الجنة ولو عملوا من المعاصي ما عملوا فماذا يمنعهم من ذلك؟ وهذا خلاف ما جاءت به الشريعة الإسلامية من أمر الناس بالطاعات ونهيهم عن المعاصي ليكونوا بين الخوف والرجاء.. والله أعلم.

(ب) قولهم: «إن كل من أخذ (هذا الورد) عن الشيخ.. يكون مستقره في أعلى عليين.. وتؤدّى عنه التبعات من خزائن الرب المجيد القادر.. إلخ»[4].

وهذا القول باطل وبيان ذلك :

أنهم استدلوا على سقوط التبعات عمن قرأ وردهم بما رواه الإمام أحمد وابن ماجه والبيهقي[5] «عن العباس بن مرداس أن رسول الله ﷺ دعا عشية عرفة لأمته بالمغفرة والرحمة فأكثر الدعاء، فأوحى الله إليه: قد فعلت إلا ظلم بعضهم بعضاً، وأما ذنوبهم فيما بيني وبينهم فقد غفرتها. فقال: يا رب إنك قادر على أن تثيب هذا المظلوم خيراً من مظلمته وتغفر لهذا

---

(١) تفسير القرطبي ١٥/ ٢٩٥.

(٢) رواه ابن ماجه (سنن ابن ماجه ٢/ ١٤٣٢، ١٤٣٣)، ورواه أحمد في المسند ٤/ ١٦، قال الهيثمي: «رواه الطبراني والبزار بأسانيد ورجال بعضها عند الطبراني والبزار رجال الصحيح) اهـ مجمع الزوائد ١٠/ ٤٠٨.

(٣) مشتهى الخارف الجاني ١١٧، ١١٨.

(٤) انظر ١٩٧ من هذا الكتاب.

(٥) رواه ابن ماجه بنحوه (سنن ابن ماجه ٢/ ١٠٠٢) ورواه أحمد بنحوه (المسند ٤/ ١٤، ١٥).

الظالم، فلم يجبه تلك العشية، فلما كان غداة المزدلفة أعاد الدعاء فأجابه الله عزوجل: إني قد غفرت لهم، فتبسم رسول الله ﷺ فقال له بعض أصحابه: يا رسول الله تبسمت في ساعة لم تبسم فيها. قال: تبسمت من عدو الله إبليس أنه لما علم أن الله قد استجاب لي في أمتي أهوى يدعو بالويل والثبور ويحثو التراب على رأسه»[١].

وهذا الحديث مردود من وجوه:

١ ـ أن في صحته نظراً، فقد أورده ابن الجوزي في الموضوعات[٢]، وقال ابن حبان: «كنانة بن العباس بن مرداس السلمي يروي عن أبيه، روى عنه ابنه، منكر الحديث جداً، فلا أدري التخليط في حديثه منه أو من ابنه، ومن أيهما كان فهو ساقط الاحتجاج»[٣].

وقد ألف ابن حجر رحمه الله تأليفاً سمّاه: «قوة الحجاج في عموم المغفرة للحاج» رد فيه قول ابن الجوزي رحمه الله بأن الحديث موضوع، وقال بأنه جاء من رواية جماعة من الصحابة وإنما غايته أنه ضعيف ويعضد بكثرة طرقه..»[٤].

وقال علي القاري في مرقاة المفاتيح بعد أن ذكر بعض الأحاديث في هذا المعنى: «وإذا تأمّلت ذلك كله علمت أنه ليس في هذه الأحاديث ما يصلح متمسكاً لمن زعم أن الحج يكفر التبعات؛ لأن الحديث ضعيف، بل ذهب ابن الجوزي إلى أنه موضوع»[٥].

٢ ـ وعلى فرض صحته فيحتمل أن يكون معناه أن الحج مكفر لحقوق ليس عالماً بها أو عاجزاً عن وفائها[٦].

٣ ـ أن المسائل الاعتقادية لا تثبت إلا بالأحاديث الصحيحة سنداً ومتناً ولا تثبت بالأحاديث الضعيفة.

٤ ـ أن الحديث ليس نصاً في كل الأعمال أو في بعض الأذكار والأوراد وإنما في الحج وحده، وليس فيه دليل بأي وجه من الوجوه على أن ورد التجاني مكفر للتبعات.

---

(١) رشق السهام ٥٨.

(٢) الموضوعات لابن الجوزي ٢/ ٢١٦ الطبعة الأولى.

(٣) كتاب المجروحين لابن حبان ٢/ ٢٢٨ الطبعة الأولى.

(٤) نقلاً عن مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح ٣/ ٢٢١، ٢٢٢.

(٥) من مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح ٣/ ٢٢١ المكتبة الإسلامية.

(٦) من مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح ٣/ ٢٢١، مشتهى الخارف الجاني ١٢٩.

٥ ـ أن الأمة قد أجمعت على أن الحج لا يكفر التبعات كما حكى ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية، قال رحمه الله: «..ومن اعتقد أن الحج يسقط ما عليه من الصلاة والزكاة فإنه يستتاب بعد تعريفه إن كان جاهلاً، فإن تاب وإلا قتل، ولا يسقط حق الآدمي من مال أو عرض أو دم بالحج إجماعاً»(١).

٦ ـ أن التبعات لا يكفرها الجهاد في سبيل الله الذي هو أعظم القرب، فكيف يكفرها هذا الورد المفترى؟ فقد روى مسلم بسنده من حديث عبدالله بن أبي قتادة عن أبي قتادة أنه سمعه يحدِّث عن رسول الله ﷺ، أنه قام فيهم فذكر لهم أن الجهاد في سبيل الله والإيمان بالله أفضل الأعمال، فقام رجل فقال: «يا رسول الله أرأيت إن قتلت في سبيل الله تكفر عني خطاياي؟ فقال له رسول الله ﷺ: نعم، إن قتلت في سبيل الله وأنت صابر محتسب مقبل غير مدبر. ثم قال رسول الله ﷺ: كيف قلت؟ قال: أرأيت إن قتلت في سبيل الله أتكفر عني خطاياي؟ فقال رسول الله: نعم، وأنت صابر محتسب مقبل غير مدبر إلا الدَّين، فإن جبريل عليه السلام قال لي ذلك»(٢).

فدل هذا الحديث على أن الجهاد في سبيل الله مكفر لحقوق الله تعالى دون حقوق عباده. والله أعلم.

(جـ) مذهب أهل السنة والجماعة وحكم من زعم ذلك:

ذهب أهل السنة والجماعة إلى أنه لا يجوز القطع لأحد من أهل القبلة بجنة أو نار، وإنما يرجى للمحسن ويخاف على المسيء. وللسلف في الشهادة بالجنة ثلاثة أقوال:

١ ـ أنه لا يشهد لأحد بالجنة إلا للأنبياء عليهم السلام، وهذا ينقل عن محمد بن الحنفية والأوزاعي(٣).

٢ ـ أنه لا يشهد لأَحد بالجنة إلا لمن شهد له رسول الله ﷺ كالعشرة المبشرين بالجنة، وثابت بن قيس، وعكاشة بن محصن، وبعض الصحابة(٤).

٣ ـ وأما ما لم يشهد له النبي ﷺ بالجنة فاختلف فيه العلماء على قولين:

---

(١) الفتاوى الكبرى ٤/ ٤٦٧، دار المعرفة للطباعة والنشر.

(٢) رواه مسلم (صحيح مسلم مع شرح النووي ١٣/ ٢٨، ٣٨)، ورواه أحمد في المسند ٢/ ٢٢٠ ـ ٣٠٨ ـ ٣٣٠.

(٣) شرح الطحاوية ٤٢٦ الطبعة الرابعة.

(٤) مجموع الفتاوى ٣/ ١٥٣.

الأول : أنه لا يشهد له بالجنة مطلقاً.

الثاني: أن يشهد بالجنة لمن استفاض بين الناس إيمانه وتقواه، واتفق المسلمون على الثناء عليه، كعمر بن عبدالعزيز، والحسن، وسفيان الثوري، وأبي حنيفة ومالك وأحمد والشافعي.. وغيرهم رضي الله عنهم أجمعين. ودليل ذلك ما ورد في الصحيح «عن عبدالعزيز ابن صهيب قال: سمعت أنس بن مالك رضي الله عنه يقول: مروا بجنازة فأثنوا عليها خيراً، فقال النبي ﷺ: وجبت. ثم مروا بأخرى فأثنوا عليها شراً، فقال: وجبت. فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: ما وجبت؟ قال: هذا أثنيتم عليه خيراً فوجبت له الجنة، وهذا أثنيتم عليه شراً فوجبت له النار، أنتم شهداء الله في الأرض»[1][2].

ومذهب أهل السنة والجماعة عدم جواز القطع لأحد معين بجنة أو نار إلا بنص من الشارع، وإنما القطعي أن يقال: إن من مات على الإيمان الصحيح فهو من أهل الجنة. وأن الخواتيم لا يعلمها إلا الله تعالى[3].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «.. ولهذا لا يشهد لمعين بالجنة إلا بدليل خاص، ولا يشهد على معين بالنار إلا بدليل خاص، ولا يشهد لهم بمجرد الظن من اندراجهم في العموم ؛لأنه قد يندرج في العمومين فيستحق الثواب والعقاب؛ لقوله تعالى: ﴿فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره﴾[4]، والعبد إذا اجتمع له سيئات وحسنات فإنه وإن استحق العقاب على سيئاته فإن الله يثيبه على حسناته، ولا يحبط حسنات المؤمن لأجل ما صدر منه، وإنما يقول بحبوط الحسنات كلها بالكبيرة الخوارج والمعتزلة الذين يقولون بتخليد أهل الكبائر وأنهم لا يخرجون منها بشفاعة ولا غيرها»[5].

ولقد شنع العلماء على من قال بمثل هذا القول؛ لما فيه من الجرأة على الله وادِّعاء معرفة الغيب، إذ الخواتيم بيد الله لا يعلمها إلا هو، فمن مات على الإيمان الصحيح دخل الجنة.

قال أبو حيان رضي الله عنه عند تفسير قوله تعالى: ﴿وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا

---

(١) رواه البخاري (صحيح البخاري المطبوع مع شرحه فتح الباري ٣/ ٢٢٨، ٢٢٩).

(٢) مجموع الفتاوى ١٨/ ٣١٣، ٣١٤، مجموع الفتاوى ١١/ ٥١٨، ٥١٩.

(٣) شرح الطحاوية ٤٢٦، ٤٢٧، مجلة المنار مجلد ٣٣ ص٥٠٦ جزء ٧ العدد ٢٠٠ ، شعبان سنة ١٣٥٢هـ.

(٤) سورة الزلزلة آية ٧، ٨.

(٥) مجموع الفتاوى ٣٥/ ٦٨.

هو﴾[1]: «ولقد يظهر من هؤلاء المنتسبة إلى الصوف أشياء من ادِّعاء علم المغيبات والاطلاع على علم عواقب أتباعهم وأنهم معهم في الجنة، مقطوع لهم ولأتباعهم بها، يخبرون بذلك على رؤوس المنابر ولا ينكر ذلك أحد، هذا مع خلوهم من العلوم يوهمون أنهم يعلمون الغيب.. إلخ»[2].

وقال أيضاً.. عند تفسير قوله تعالى: ﴿وممن حولكم من الأعراب منافقون ومن أهل المدينة مردوا على النفاق لاتعلمهم نحن نعلمهم﴾[3]: «أسند الطبري عن قتادة في قوله تعالى: ﴿لاتعلمهم نحن نعلمهم﴾ قال: «فما بال أقوام يتكلفون علم الناس فلان في الجنة وفلان في النار، فإذا سألت أحدهم عن نفسه قال: لاأدري، أنت لعمري لنفسك أعلم منك بأعمال الناس، ولقد تكلفت شيئاً ما تكلفته الرسل، قال نبي الله نوح: ﴿وما علمي بما كانوا يعملون﴾[4]، وقال نبي الله شعيب: ﴿بقية الله خير لكم إن كنتم مؤمنين وما أنا عليكم بحفيظ﴾[5]، وقال الله تعالى لنبيه: ﴿لاتعلمهم نحن نعلمهم﴾[6] اهـ[7].

قال أبو حيان: «فلو عاش قتادة إلى هذا العصر ــ الذي هو قرن ثمانمائة ـ وسمع ما أحدث هؤلاء المنسوبون إلى الصوف من الدعاوى والكلام المبهرج الذي لايرجع إلى كتاب الله ولا إلى سنة رسوله ﷺ، والتجري على الإخبار الكاذب عن المغيبات؛ لقضى من ذلك العجب، وما كنت أظن أن ما حكي عن قتادة يوجد في ذلك الزمان لقربه من الصحابة وكثرة الخير، لكن شياطين الإنس يبعد أن يخلو منهم زمان»[8].

وقد بيَّنا فيما سبق أن من ادَّعى علم الغيب فقد كفر.

---

(١) سورة الأنعام آية ٥٩.

(٢) البحر المحيط ٤/ ١٤٥.

(٣) سورة التوبة الآية ١٠١.

(٤) سورة الشعراء آية ١١٢.

(٥) سورة هود آية ٨٦.

(٦) سورة التوبة آية ١٠١.

(٧) تفسير البحر المحيط ٥/ ٩٣، تفسير الطبري ١١/ ٨.

(٨) تفسير البحر المحيط ٥/ ٩٣.

المبحث الثاني

في قول التجاني «من رآني دخل الجنة»

ذكر بعض النصوص التي ورد فيها هذا القول :

ورد هذا القول في كثير من كتب التجانية القديمة والحديثة، ونحن نذكر فيما يلي بعضاً منها على سبيل المثال:

١ ـ ذكر مؤلف جواهر المعاني عن التجاني أنه قال: «..من حصل له النظر فينا يوم الجمعة أو الاثنين يدخل الجنة بغير حساب ولا عقاب، إن لم يصدر منه سب في جانبنا ولا بغض ولا أذاية، ومن حصل له النظر في هذين اليومين فهو من الآمنين إن مات على الإيمان، وإن سبق أنه يحصل له العذاب في الآخرة فلا يموت إلا كافراً فهذا ما يمكن إعلامكم به في هذا الوقت، وفي وقت آخر يفعل الله ما يشاء، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته»[١].

والتجانيون يؤمنون بذلك ويصدقونه :

٢ ـ قال مؤلف كتاب رماح حزب الرحيم: «.. رأيت شيخنا التجاني رضي الله عنه وأرضاه ـ وعنّا به ـ في واقعة من الوقائع وبيده حلة من نور وقال لي رضي الله عنه وأرضاه ـ وعنّا به ـ: من رأى هذه الحلة دخل الجنة. ثم ألبسني إياها رضي الله عنه»[٢].

٣ ـ وقال مؤلف بغية المستفيد: «وأما الكرامة الثالثة وهي دخول الجنة لمن رآه رضي الله عنه في اليومين الاثنين والجمعة، فهي من كراماته رضي الله عنه التي طارت بها الركبان وتواترت بها الأخبار في سائر الأقطار والبلدان، بإخبار من النبي ﷺ ولفظه الشريف فيما أخبر به سيدنا رضي الله عنه بعزة ربي: يوم الاثنين والجمعة لا أفارقك فيهما من الفجر إلى الغروب ومعي سبعة أملاك، وكل من يراك في اليومين يكتبون ـ يعني الأملاك السبعة ـ اسمه في رقعة من ذهب ويكتبونه من أهل الجنة وأنا شاهد على ذلك، ولتكثر من الصلاة عليّ في هذين

---

(١) جواهر المعاني ٢/ ١٨٠.

(٢) رماح حزب الرحيم ١/ ١٨٢.

اليوميـن فكل صلاة تصليهـا عليّ نسمعك ونـرد عليك، وكذلك جميـع أعمالك تعـرض عليّ والسلام»[1].

٤ ـ وقال مؤلف بغية المستفيد أيضاً: «.. وبـالجملة فرؤيته رضي الله عنه في كل يوم سبب لدخـول الجنة بلا حسـاب ولا عقاب كـرامة من الله تعالـى له، ورؤيته فـي أحد هذين اليـومين المذكـورين سبب لما ذكـر من دخول الجنـة بلا حسـاب ولا عقاب، وزيادة مـا ذكر من كتـابة الملائكة.. إلـخ كرامة من الله تعالى أيضـاً رضي الله عنه، فافهم ذلك».. ثـم قال: «ورأيت في كـلام بعض من كـان مشاراً إليـه بالفتح مـن الأصحاب مـا يشير إلى أن المختـص برائيـه في اليوميـن هو السعادة التي لا شقـاوة بعدها، يعنـي أنه لا يراه في هـذين اليومين إلا مـن سبق في علم الله تعالى أن يكون سعيداً، فيدخل الكفـار في هذا الخطاب، وينسحب عليهم الحكم في هذا المقـام بفضل الملك الوهـاب، فيقال: لا يراه في هـذين اليومين إلا مـن يسبق في علم الله تعالـى أنه يختم لـه بالسعادة كـائناً من كـان، فإذا رآه الكافـر في أحد هـذين اليومين ختـم له بالإيمان وعليه فتختص الـرؤية المطلقة في كل يوم بمن كان مسلمـاً سواء كان من الأصحاب أم لا حسبما هـو مصرح به في الجواهـر، وهذه المقيدة باليـومين بما يشمل كل من رآه ولـو كان كافراً»[2].

الأدلة والمناقشة :

يستـدلون علـى أن من رأى شيخهم دخـل الجنة بقـول النبي ﷺ: «لا تمـس النار مسلمـاً رآني» رواه الترمذي.

قال محمـد الحافظ: «وقد كـان السلف يحملونه على ظـاهره ويرجون ذلـك الفضل، قال طلحة: «فقـد رأيت جابـراً. وقال مـوسى: قد رأيت طلحـة. قال يحيى: وقـال لي موسـى: وقد رأيتني ونحن نرجو الله» اهـ. قال محمد الحافظ: «ونحن نرجو الله معشـر التجانيين، وصح عنه ﷺ أنه قـال: «من رآني في المنـام فقد رآني فإن الشيطـان لا يتمثل بي»[3] فمن رآه في المنام فقد رآه»[4].

---

(١) بغية المستفيد ٢١٦، الدرة الخريدة ١/ ٧٩.

(٢) بغية المستفيد ٢١٧، وبغية المستفيد ٢٧٥، الدرة الخريدة ١/ ٨٠، ومنية المريد ٧.

(٣) سبق تخريجه انظر ص ١٣٣.

(٤) الانتصاف في رد الإنكار على الطريق ٢٤ الحلقة الثالثة ط٢.

* المناقشــة :

١ ـ إن هذا الحديث محل نظر، فالحديث لم يرد إلا في جامع الترمذي، وقال عنه الإمام الترمذي: «هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث موسى بن إبراهيم الأنصاري»[١].

وموسى بن إبراهيم الأنصاري ذكره ابن حبان في الثقات وقال عنه: وكان يخطئ[٢].

وقد روى موسى بن إبراهيم عن طلحة بن خراش، وقد قال الحافظ ابن حجر في ترجمته: «قال الأزدي: طلحة روى عن جابر مناكير، وذكره أبو موسى في ذيل معرفة الصحابة وبيّن أن حديثه مرسل»[٣].

وقال الذهبي في ميزان الاعتدال في ترجمة طلحة بن خراش: «قال الأزدي: له ما ينكر»[٤].

٢ ـ أن محمداً الحافظ التجاني قد بين وجه الدلالة بقوله: «ونحن نرجو الله معشر التجانيين، وصح عنه ﷺ أنه قال: «من رآني في المنام فقد رآني فإن الشيطان لا يتمثل بي»[٥] فمن رآه في المنام فقد رآه.

قلت: فلو كان ذلك مجرد دعاء لهان الأمر، فكل مسلم يرجو الله أن يدخله الجنة ويبعده عن النار، ولكن شيخهم صرّح في أكثر من موضع بأن من رآه دخل الجنة وهذا هو محل الخلاف، فصرفه إلى مجرد الدعاء مغالطة مكشوفة.

أما قوله: «وصح عنه ﷺ أنه قال: من رآني في المنام فقد رآني، فإن الشيطان لا يتمثل بي. «فمن رآه في المنام فقد رآه».

فهذا صرف للرؤية المذكورة في الحديث بأنها كما تكون للصحابة والتابعين في اليقظة فإنها تكون لمن بعدهم في المنام، وهذا التفسير باطل من وجهين:

(أ) أن هذا التفسير صرف للحديث عن معناه المتبادر للذهن إلى معنى بعيد لا دليل عليه.

(ب) أن الرؤية المذكورة في الحديث هي رؤية اليقظة، ويدل على ذلك تفسير طلحة بن

---

(١) جامع الترمذي المطبوع مع شرحه تحفة الأحوذي ١٠/ ٣٦٠، ٣٦١.

(٢) تهذيب التهذيب لابن حجر ١٠/ ٣٣٣، الخلاصة: ٣٨٩ ط٢.

(٣) تهذيب التهذيب ٥/ ١٥.

(٤) ميزان الاعتدال ٢/ ٣٣٨ دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه.

(٥) سبق تخريجه انظر ص ١٣٣.

خراش لها وهو من التابعين، ومعلوم أن الصحابة والتابعين هم أعلم الناس بمقاصد الرسول ﷺ لقربهم من عهد التشريع، كما يدل على ذلك أن الترمذي بوّب للحديث بقوله: «باب ما جاء في فضل من رأي النبي ﷺ وصحبه»[1] فلو كان المقصود بها رؤيا المنام لقال: «باب فضل من رأى النبي ﷺ في المنام».

٣ ــ أن هذا الحديث خاص برؤية النبي ﷺ ورؤية من يراه من الصحابة دون سائر المسلمين، كما فسَّره بذلك الترمذي كما هو واضح من تبويبه: «باب فضل من رأى النبي ﷺ وصحبه»[2] وفي ذلك يقول الشيخ محمد صديق الهندي: «ظاهر الحديث تخصيص الصحابة والتابعين بهذه البشارة، وليس في لفظه ما يدل على شمول سائر المسلمين إلى يوم الدين، بل قصر تبع التابعين أيضاً عن الدخول فيه، والحديث أفاد أن البشارة خاصة بمن رأى الصحابي، فمن لم يره وكان في زمنه فالحديث لا يشمله. والله أعلم»[3].

فإذا كان هذا المعنى الحديث كما فسره به الترمذي ومؤلف كتاب الدين الخالص، فمن أين للتجانيين نقل هذا المعنى وتطبيقه على شيخهم؟ وعلى فرض عمومه لسائر المسلمين فمن أين للتجانيين تخصيصه برؤية شيخهم دون من سواه من المسلمين؟

---

(١) جامع الترمذي المطبوع مع شرحه تحفة الأحوذي ١٠/ ٣٦٠.

(٢) جامع الترمذي مع شرحه تحفة الأحوذي ١٠/ ٣٦٠.

(٣) الدين الخالص ٣/ ٥٢٠ تأليف محمد صديق حسن ـ مطبعة المدني.

بعد مناقشة ما استدلوا به نعود إلى مناقشة ما يحتاج إلى مناقشة من النصوص السابقة فنقول وبالله التوفيق:

(أ) قوله في جواهر المعاني: «.. من حصل له النظر فينا يوم الجمعة أو الاثنين يدخل الجنة بغير حساب ولا عقاب.. إن مات على الإيمان»[1].

قلت: هذا الكلام لغو لا فائدة فيه، إذ لا مزية لرؤية التجاني يوم الجمعة أو الاثنين؛ لأن من مات على الإيمان فهو من أهل الجنة ؛ لورود الأحاديث الصحيحة بذلك، سواء رأى التجاني أم لم يره.

(ب) قول مؤلف رماح حزب الرحيم فيما يرويه عن شيخه: «من رأى هذه الحلَّة دخل الجنة»[2] فهو أكثر تهافتاً من قوله: «من رآني دخل الجنة» إذ لا يعضده دليل من شرع ولا عقل، وما خلا من الدليل فهو مردود على صاحبه :

والدعاوى ما لم تقيموا عليها   بينات أبناؤها أدعياء

فأي مزية لهذه الحلة؟ وهذا قول لا يعتقده من له أدنى مسكة من عقل.

(جـ) قول مؤلف بغية المستفيد: «.. فيقال لا يراه في هذين اليومين إلا من يسبق في علم الله تعالى أنه يختم له بالسعادة كائناً من كان، فإذا رآه الكافر في أحد هذين اليومين ختم له بالإيمان».

وقال أيضاً: «وعليه فتختص الرؤية المطلقة في كل يوم بمن كان مسلماً سواء كان من الأصحاب أم لا حسبما هو مصرح به في الجواهر، وهذه المقيدة باليومين بما يشمل كل من رآه ولو كان كافراً»[3].

قلت : وهذا مردود من وجوه :

١ ـ أن هذه المزية ـ وهي أن من رآه ولو كان كافراً يدخل الجنة لم تكن للنبي ﷺ ولا لأحد من الأنبياء قبله عليهم الصلاة والسلام، بل النبي ﷺ كان حريصاً على هداية عمه أبي طالب كل الحرص، فلو كانت مجرد الرؤية كافية في دخوله الجنة لما حرص ﷺ على إسلامه، حتى

---

(١) انظر ص٢١٠.

(٢) انظر ص٢١٠.

(٣) بغية المستفيد ٢١٧، الدرة الخريدة ١/ ٨٠.

أنزل الله عليه قوله تعالى: ﴿إنك لاتهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء﴾[(١)][(٢)].

فلا يقول بعد هذا: إن من رأى التجاني دخل الجنة ولوكان كافراً، إلا من يفضل التجاني على النبي ﷺ، وهذا ما لم يقله التجاني تصريحاً ولا أحد من أتباعه، إلا أن هذا القول يقتضي ذلك[(٣)].

٢ ـ أن الحديث الذي استدل به التجانيون مقيد بمن رأى النبي ﷺ مسلماً من الصحابة، حيث قال ﷺ: «لا تمس النار مسلماً رآني أورأى من رآني»[(٤)] وهو أيضاً على الغالب، فإن من المسلمين من رآه ومع ذلك فإنه من أهل النار، كما ورد في الذين ارتدوا بعد وفاة الرسول ﷺ وغيرهم، ففي البخاري من حديث ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «إنكم محشورون حفاة عراة. ثم قرأ: ﴿كما بدأنا أول خلق نعيده وعداً علينا إنّا كنا فاعلين﴾ وأول من يكسى يوم القيامة إبراهيم، وأن أناساً من أصحابي يؤخذ بهم ذات الشمال، فأقول: أصحابي أصحابي، فيقال: إنهم لم يزالوا مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم. فأقول كما قال العبد الصالح: ﴿وكنت عليهم شهيداً ما دمت فيهم ـ إلى قوله ـ الحكيم﴾»[(٥)].

وروى مسلم في صحيحه عن عمر بن الخطاب قال: «لما كان يوم خيبر أقبل نفر من صحابة النبي ﷺ فقالوا: فلان شهيد، فلان شهيد، حتى مروا على رجل فقالوا: فلان شهيد. فقال رسول الله ﷺ: كلا إني رأيته في النار في بردة غلها أو عباءة. ثم قال رسول الله ﷺ: يا ابن الخطاب اذهب فناد في الناس أنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون. قال: فخرجت فناديت ألا إنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون»[(٦)].

فقوله ﷺ في الحديث: «لا تمس النار مسلماً» يخرج من رآه من الكفار، وهذا بخلاف قول التجانيين الذين يعتقدون أن من رأى شيخهم فإنه يدخل الجنة ولوكان كافراً.

٣ ـ قوله: «لا يراه في هذين اليومين إلا من سبق في علم الله تعالى أنه يختم له بالسعادة، فإذا رآه الكافر في أحد هذين اليومين ختم له بالإيمان».

---

(١) سورة القصص آية ٥٦.

(٢) رواه البخاري (صحيح البخاري المطبوع مع شرحه فتح الباري ٨/ ٥٠٦).

(٣) مشتهى الخارف الجاني ١٠٢، ١٠٣.

(٤) سبق تخريجه ص٢١١.

(٥) سبق تخريجه ١٣٨.

(٦) رواه مسلم (صحيح مسلم المطبوع مع شرح النووي ٢/ ١٧٢).

في قوله هذا ادعاء لعلم الغيب، إذ الخواتيم بيد الله لا يعلمها إلا هو سبحانه، كما في الحديث عن عبدالله بن مسعود عن رسول الله ﷺ وفيه: «.. فإن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى لا يكون بينها وبينه إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل عمل أهل الجنة فيدخلها»[1].

وقد بيّنا الرد على من ادّعى علم الغيب في مبحث إيمانهم بأن بعض الأنبياء والمشايخ يعلمون الغيب، فارجع إليه[2] وفقك الله للصواب.

٤ ـ أن الله سبحانه وتعالى يقول: ﴿وتلك الجنة التي أورثتموها بما كنتم تعملون﴾[3]. ورؤية التجاني ليست من العمل في شيء.

٥ ـ أن النبي ﷺ الذي هو أفضل خلق الله كان يرى الكفار ويرونه في كل يوم، ولم يكن ينفعهم ذلك، بل إن الله سبحانه وتعالى أخبر أن استغفاره ﷺ ودعاءه لهم لا ينفعهم، فقال سبحانه: ﴿استغفر لهم أو لا تستغفر لهم إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم ذلك بأنهم كفروا بالله ورسوله والله لا يهدي القوم الفاسقين﴾[4] فكيف بمجرد الرؤية، فإذا كان هذا لم يثبت له ﷺ ولالغيره من الأنبياء، فكيف يثبت للمنحرفين من التجانية وغيرهم[5]؟

مذهب أهل السنة والجماعة وحكم من اعتقد ذلك :

بينا في المبحث السابق[6] أن العلماء قد شنعوا على من قال بمثل هذا القول؛ لما فيه من الافتراء والجرأة على الله عز وجل، كما ذكرنا ما ثبت عن قتادة في ذلك واستغراب أبي حيان في البحر لوقوعه في زمن قتادة وقوله بعد ذلك: «ولكن شياطين الإنس يبعد أن يخلو منهم زمان».

كما بينا أنه لا يشهد لمعين بجنة أو نار إلا ما ثبت بالنص، وقد روى البخاري بسنده قال:

---

(١) رواه البخاري (صحيح البخاري مع شرحه فتح الباري ١٣/ ٤٤٠)، ورواه مسلم (صحيح مسلم مع شرح النووي ١٦/ ١٩٢).

(٢) انظر ص١٠٣ وما بعدها.

(٣) سورة الزخرف آية ٧٢.

(٤) سورة التوبة : آية ٨٠.

(٥) الهدية الهادية ٧٤ الطبعة الثانية.

(٦) انظر ص٢١١ وما بعدها.

«أخبرني خارجة بن زيد بن ثابت أن أم العلاء ـ امرأة من الأنصار بايعت النبي ﷺ ـ أخبرته أنه اقتسم المهاجرون قرعة فطار لنا[1] عثمان بن مظعون فأنزلناه في أبياتنا فوجع وجعه الذي توفي فيه، فلما توفي وغسل وكفن في أثوابه دخل رسول الله ﷺ، فقلت: رحمة الله عليك أبا السائب فشهادتي عليك لقد أكرمك الله. فقال النبي ﷺ: وما يدريك أن الله قد أكرمه؟ فقلت: بأبي أنت يا رسول الله فمن يكرمه الله؟ فقال: أما هو فقد جاءه اليقين والله إني لأرجو له الخير، والله ما أدري ـ وأنا رسول الله ـ ما يفعل بي. قالت: فوالله لا أزكي أحداً بعده أبداً».

وفي رواية: «ما يفعل به»[2].

قال ابن كثير تعليقاً على الرواية الثانية «وهذا أشبه أن يكون هو المحفوظ» ثم قال: «.. وفي هذا وأمثاله دلالة على أنه لا يقطع لمعين بالجنة إلا الذي نص الشارع على تعيينهم كالعشرة وابن سلام والعميصاء وبلال وسراقة وعبدالله بن عمرو ابن حرام والد جابر والقراء السبعين الذين قتلوا ببئر معونة وزيد بن حارثة وجعفر وابن رواحة وما أشبه هؤلاء رضي الله عنهم»[3].

كما أن في هذه الأقوال ادّعاء لعلم الغيب، إذ الخواتيم بيد الله لا يعلمها إلا هو، وقد سبق أن بيّنا أن من ادّعى علم الغيب فقد كفر، كما بينا ما قاله العلماء في ذلك[4].

---

(١) فطار لنا: أي وقع في سهمنا، قال ابن حجر في الفتح: «وذكره بعض المغاربة بالصاد (فصار لنا) وهو صحيح من حيث المعنى إن ثبتت الرواية» فتح الباري ٣/ ١١٥.

(٢) رواه البخاري (صحيح البخاري المطبوع مع شرحه فتح الباري ٣/ ١١٤).

(٣) تفسير ابن كثير ٤/ ١٥٥.

(٤) انظر ص ١٠٥.

المبحث الثالث
بعض الفضائل التي يعتقد التجانيون أنهم مخصوصون بها
من دون الناس مما يتعلق بالإيمان باليوم الآخر

مقدمة :

يعتقد التجانيون أن الرسول ﷺ خصهم بمجموعة من الفضائل منها ما يجوز التصريح به ومنها ما ينبغي كتمه، وقد خصوا بهذه الفضائل من أجل اتباعهم للشيخ ومحبتهم له لا من أجل سبب آخر، كما صرّح بذلك مؤلف رماح حزب الرحيم فقال: «وأخبرني رضي الله عنه وأرضاه ـ وعنّا به ـ عن سبب الفضل الذي كان في أذكاره، فقال رضي الله عنه وأرضاه ـ وعنّا به ـ: لأجلي»[1].

وقال مؤلف الرماح: «.. فاعلم وفقني الله وإياك لنيل هذا الخير العظيم والفوز العميم أن الله تعالى بفضله وكرمه تفضل على المتعلقين بهذا القطب المكتوم، والبرزخ المختوم، بأمور ضمنها لهم جده ومحبه وحبيبه سيد الوجود وعلم الشهود سيدنا ومولانا محمد ﷺ يقظة لا مناماً وأكثر تلك الأمور لا يحل ذكره ولا إفشاؤه، ولا يرى ولا يعرف إلا في الآخرة. وذكر رضي الله عنه وأرضاه ـ وعنّا به ـ جملة كافية يستبشر بها المعتقد على رغم أنف المنتقد، فلذلك أردنا أن نذكر منها هنا ما يسعنا ذكره ونمسك عما ينبغي كتمه، فالتي رأينا أن نذكر منها تسعاً وثلاثين فضيلة، أربع عشرة منها تحصل لجميع من تعلق به بالتسليم والاعتقاد، وتعظيمه ومحبته وترك الاعتراض عليه والانتقاد، وبمحبة أهل طريقته واحترامهم وتعظيمهم وعدم إذايتهم، والبقية يختص بها أهل طريقه المتمسكون بأوراده..»[2].

---

(١) رماح حزب الرحيم ٢/ ٤٠.

(٢) رماح حزب الرحيم ٢/ ٤١.

وسنتناول هذه الخصوصية التي يزعم التجانيون أن الرسول ﷺ خصهم بها دون سائر المسلمين بالنقد والمناقشة، ثم نذكر جملة من هذه الفضائل مما يتعلق بالإيمان باليوم الآخر بالرد الموجز، وذلك لأنها إما واضحة لا تحتاج إلى رد، أو لأنها تندرج تحت أصل عام مما سبق بحثه، وأما بقية الفضائل التسع والثلاثين فقد سبق مناقشة ما يستحق المناقشة منها كل تحت بابه من هذا البحث.

وسنتناول أولاً الرد على دعوى اختصاص التجانيين بهذه الفضائل، ثم نعقبه بالرد على هذه الفضائل واحدة بعد الأخرى، فنقول وبالله التوفيق:

الرد على دعوى اختصاص التجانيين وحدهم بهذه الفضائل :

يدّعي التجاني أن هذه الفضائل خاصة به وبمن أحبه أو دخل في طريقته دون سائر المسلمين، وأن هذا الفضل لم يحصل لهؤلاء الأتباع إلا من أجل محبتهم له، وهذه الفضائل لا تخلو من أحد احتمالين: إما أن تكون خارجة عن شريعة محمد ﷺ، وإما أن تكون داخلة فيها: فإن كانت خارجة عن شريعة محمد ﷺ فلا نقاش، وإن كانت داخلة فيها فإن شريعة محمد ﷺ جاءت عامة للجن والإنس والعرب والعجم، ولم يخص فيها أحد بفضل لمجرد أنه من أتباع فلان أو فلان، ومن ادّعى ذلك فعليه الدليل.

ومما يدل على بطلان ذلك ما يلي:

١ ـ أن دعوى اختصاص التجانيين بهذه الفضائل دون سائر الناس أمر لا دليل عليه، وكل ما استدلوا به أن النبي ﷺ أخبر التجاني بذلك يقظة لا مناماً.. وقد سبق أن بيّنا بطلان ذلك شرعاً وعقلاً[1].

ولما ادّعى اليهود والنصارى أنهم يدخلون الجنة من دون الناس وهي قريبة من دعوى التجانيين، طالبهم الله سبحانه وتعالى بالدليل حيث قال سبحانه: ﴿وقالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً أو نصارى تلك أمانيهم قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين﴾[2] فبيّن سبحانه أن دخول الجنة لا يتحقق بمجرد الدعاوى والأماني الكاذبة كمحبة التجاني أو أخذ ورده، إنما يتحقق بشرطه وهو الإيمان والعمل الصالح، والذي أشار إليه سبحانه في نهاية الآية السابقة

---

(١) انظر ص١٢١.

(٢) سورة البقرة آية ١١١.

فقال جلّ من قـائل: ﴿بلى من أسلم وجهه لله وهـو محسن فله أجره عند ربـه ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾[1] وقال عز من قائل: ﴿وتلك الجنة التي أورثتموها بما كنتم تعملون﴾[2].

٢ ـ أن دعـوى تخصيص النبي ﷺ التجانيين ببعض الفضـائل دون غيرهـم مناقضـة لكثير من آيات الكتاب العـزيز الدالة على عموم الـرسالة، وعدم اختصاص طائفـة من الناس بحكم دون أخرى، فمن ذلك قـوله تعالى: ﴿وما أرسلنـاك إلا كافة للناس بشيـراً ونذيراً﴾[3] وقال جلّ من قائل: ﴿قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعاً﴾[4].

وقـال الإمام الشـاطبي مبينـاً دلالـة الآيات السـابقـة على عمـوم الرسـالـة: «وأشباه هـذه النصوص مما يدل على أن البعثـة عامة لا خاصة، ولو كان بعض النـاس مختصاً بما لم يخص به غيره لم يكن مـرسلاً للناس جميعاً، إذ يصدق على من لم يكلف بـذلك الحكم الخاص أنه لم يرسل إليـه به فلا يكون مـرسلاً بذلك الحكم الخـاص إلى الناس جميعاً، وذلك بـاطل فما أدى إليـه مثله، بخـلاف الصبيان والمجـانين ونحوهـم مما ليس بمكلـف فإنه لـم يرسل إليـه بإطلاق، ولا هو داخل تحت الناس المذكورين في القرآن فلا اعتراض به»[5] اهـ.

٣ ـ أن دعـوى تخصيص النبي ﷺ التجانيـن ببعض الفضائل دون غيرهـم من المسلمين، كما هي مناقضة للكتـاب العزيز فهي أيضاً مناقضة لكثير من الأحـاديث الصحيحة الدالة على عموم الرسالة، فعن جابر بن عبدالله رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «أعطيت خمساً لم يعطهن أحد قبلـي، نصرت بالـرعب مسيرة شهـر، وجعلت لي الأرض مسجـداً وطهوراً فأيمـا رجل من أمتي أدركتـه الصلاة فليصل، وأحلـت لي المغانـم ولم تحل لأحـد قبلي، وأعطيت الشفـاعة، وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة»[6].

وفي لفظ أن النبي ﷺ قال: «أعطيت خمساً لم يعطهـن أحد قبلي، كان كل نبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى كل أحمر وأسود.. الحديث»[7].

---

(١) سورة البقرة آية ١١٢.

(٢) سورة الزخرف آية ٧٢.

(٣) سورة سبأ آية ٢٨.

(٤) سورة الأعراف آية ١٥٨.

(٥) الموافقات للشاطبي ٢/ ١٧٩ مكتبة محمد علي صبيح، القاهرة.

(٦) رواه البخاري (صحيح البخاري المطبوع مع شرحه فتح الباري ١/ ٤٣٥، ٤٣٦).

(٧) رواه مسلم (صحيح مسلم مع شرح النووي ٥/ ٣).

والأحاديث في هذا المعنى كثيرة، وما أحسن ما قاله شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله رداً على من ادّعى أن العرب خصوا ببعض الأحكام دون غيرهم من سائر الناس، قال: «..والمقصود هنا أن دعوة محمد ﷺ شاملة للثقلين الإنس والجن على اختلاف أجناسهم، فلا يظن أنه خص العرب بحكم من الأحكام أصلاً، بل إنما علق الأحكام باسم مسلم وكافر ومؤمن ومنافق وبر وفاجر ومحسن وظالم، وغير ذلك من الأسماء المذكورة في القرآن والحديث»[(١)].

٤ ـ ثم إن هذا مع ما فيه من مناقضة للكتاب والسنة فإنه أيضاً تخصيص لعمومها، والتخصيص نسخ لبعض الأفراد التي يشملها الحكم، وقد أجمع علماء الأصول أنه لا يخص الكتاب والسنة إلا بالكتاب والسنة؛ لأنه استثناء، فلا يجوز أن يكون إلا لمن له الأمر والنهي تبارك وتعالى[(٢)].

٥ ـ ما خص النبي ﷺ به بعض أصحابه دون بعض دليل على عموم الشريعة، ولذلك نص على الاختصاص ليعلم أن الشريعة عامة، والأمثلة على ذلك كثيرة منها أنه ﷺ خص خزيمة بن ثابت الأنصاري بأن شهادته تعدل شهادة رجلين[(٣)]، ومنها أنه خص أبا بردة بن نيار بالتضحية بالعناق وقال: «ولن تجزي عن أحد بعدك»[(٤)] فتنصيصه ﷺ على الاختصاص فيه دليل على عموم الشريعة[(٥)]، وقد نقل الإمام الشاطبي رحمه الله إجماع العلماء المتقدمين من

---

(١) إيضاح الدلالة في عموم الرسالة ١١ لشيخ الإسلام ابن تيمية.

(٢) الهدية الهادية ٨٨.

(٣) رواه البخاري (صحيح البخاري المطبوع مع شرحه فتح الباري ٦/ ٢٢).

(٤) رواه البخاري بسنده عن البراء بن عازب رضي الله عنهما قال: «خطبنا رسول الله ﷺ يوم الأضحى بعد الصلاة فقال: من صلى صلاتنا ونسك نسكنا فقد أصاب النسك، ومن نسك قبل الصلاة فإنه قبل الصلاة، ولا نسك له. فقال أبو بردة بن نيار خال البراء: يا رسول الله فإني نسكت شاتي قبل الصلاة وعرفت أن اليوم يوم أكل وشرب وأحببت أن تكون شاتي أول ما يذبح في بيتي، فذبحت شاتي وتغديت قبل أن آتي الصلاة، قال: شاتك شاة لحم، قال: يا رسول الله فإن عندنا عناقاً لنا جذعة هي أحب إلينا من شاتين أفتجزئ عني؟ قال: نعم ولن تجزي عن أحد بعدك» (صحيح البخاري مع شرحه فتح الباري ٢/ ٤٤٧، ٤٤٨) رواه مسلم بألفاظ أخرى (صحيح مسلم مع شرح النووي ١٣/ ١١٢، ١١٥) بألفاظ أخرى.

(٥) الموافقات للشاطبي ٢/ ١٧٩ ـ ١٨٠.

الصحابة والتابعين ومن بعدهم على ذلك[1].

٦ ـ وأخيراً فإن هذه الفضائل التي ذكرها التجاني كما هي عارية عن الحجة والدليل فهي حكم بالشهوة والهوى ﴿أفرأيت من اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم﴾[2] فتقدير الثواب والعقاب ليس له مصدر سوى الوحي، فمن رتب على عمل ثواباً أو عقاباً من عند نفسه ونسبه إلى شريعة الله؛ فقد أعظم على الله الفرية.

٧ ـ وأما قوله: «بأن هذه الفضائل حصلت لأتباعه من أجله لا من أجل سبب آخر»، فهي أسخف من أن يرد عليها، فهذا محمد بن عبدالله ﷺ لم يضمن لأقرب الناس إليه شيئاً مما زعم التجاني أنه ضمنه لأصحابه كدخول الجنة أو النجاة من عذاب القبر، وإنما علّق ذلك على أعمالهم، وذلك فيما رواه البخاري عنه ﷺ حين أنزل عليه ﴿وأنذر عشيرتك الأقربين﴾[3].

فالناس أمام شرع الله سواسية، فمن رعى محارم الله واجتنب نواهيه دخل الجنة كائناً من كان ولو كان أقل الناس شأناً في نظر الناس، ومن عصى الله دخل النار ولو كان عم رسول الله ﷺ أبا لهب ﴿إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾[4].

فإذا كان النبي ﷺ سيد ولد آدم لم ينفع أقرب الناس إليه لمجرد القرابة، فكيف بالتجاني؟ تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً.

وبعد هذا الرد المجمل نتناول هذه الخصائص بشيء من الرد المختصر..

مناقشة هذه الفضائل التي يزعم التجانيون أنهم مخصوصون بها دون الناس:

الأولى: «أن يخفف عنهم سكرات الموت»[5].

والرد عليها من وجوه:

١ ـ أن هذا الزعم لا دليل عليه من كتاب ولا من سنة ولا من إجماع ولا قياس ولا قول معتبر،

---

(١) الموافقات للشاطبي ٢/ ١٨٠.

(٢) سورة الجاثية آية ٢٣.

(٣) سورة الشعراء آية ٢١٤.

(٤) سورة الحجرات آية ١٣.

(٥) رماح حزب الرحيم ٢/ ٤١.

وكل قول لا دليل عليه فهو باطل.

٢ ـ أن التجاني تناقض مع نفسه فقد قال في الفضيلة التاسعة والثلاثين: «إنهم لا يذوقون حرارة الموت وهي المعبر عنها بسكرات الموت»[١] وهكذا كل كلام باطل، فهو أولاً ذكر أن الله يخفف عنهم سكرات الموت، ثم ذكر ثانياً: أنهم لا يذوقونها أصلاً، وصدق الله إذ يقول: ﴿ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً﴾[٢].

٣ ـ أن هذا مخالف لنصوص الشريعة ولما علم بالفطرة، فكل إنسان لابد أن يذوق سكرات الموت، ثم هون الموت ليس من المكرمات التي يغبط عليها الميت، إذ لو كان هون الموت فضيلة يغبط عليها الميت لكان أولى الناس بذلك رسول الله ﷺ، وقد أخرج البخاري عن عائشة قالت: «مات النبي ﷺ وإنه لبين حاقنتي وذاقنتي فلا أكره شدة الموت لأحد بعد النبي ﷺ»[٣].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: «رأيت رسول الله ﷺ وهو بالموت وعنده قدح فيه ماء، وهو يدخل يده في القدح ثم يمسح وجهه بالماء ثم يقول: اللهم أعني على غمرات الموت وسكرات الموت»[٤].

وروى الترمذي رحمه الله عن عائشة قالت: «ما أغبط أحداً بهون موت بعد الذي رأيت من شدة موت رسول الله ﷺ»[٥].

قال المباركفوري في تحفة الأحوذي في شرح الحديث السابق: «أي لما رأيت شدة وفاته علمت أن ذلك ليس من المنذرات الدالة على سوء عاقبة المتوفى، وأن هون الموت وسهولته

---

(١) رماح حزب الرحيم ٢/ ٤٩.

(٢) سورة النساء آية ٨٢.

(٣) رواه البخاري (صحيح البخاري المطبوع مع شرحه فتح الباري ٨/ ١٤٠) ورواه أحمد في المسند ٦/ ٦٤.

(٤) رواه الترمذي وقال: هذا حديث غريب (جامع الترمذي مع شرحه تحفة الأحوذي ٤/ ٥٥ ـ ٥٦)، ورواه ابن ماجه ١/ ٥١٩، ورواه أحمد في المسند ٦/ ٦٤، ٧٠، ٧٧، ١٥١.

(٥) رواه الترمذي وقال: «وسألت أبا زرعة عن هذا الحديث، قلت له: من عبدالرحمن بن العلاء؟ قال: هو ابن العلاء بن اللجلاج وإنما أعرفه من هذا الوجه (جامع الترمذي مع شرحه تحفة الأحوذي ٤/ ٥٦). وقال صاحب التحفة: لم يحكم عليه بشيء من الصحة والضعف والظاهر أنه حسن (التحفة ٤/ ٥٦) ورواه ابن ماجه بنحوه ١/ ٥١٨.

ليس من المكرمات وإلا لكان النبي ﷺ أولى الناس به، فلا أكره شدة الموت لأحد ولا أغبط أحداً يموت من غير شدة»[1] اهـ.

فكانت شدة الموت على رسول الله ﷺ مما رفع الله بها درجاته، وذلك أن الناس يبتلون على قدر إيمانهم، فعن الحارث بن سويد عن عبدالله رضي الله عنه قال: «أتيت النبي ﷺ في مرضه ـ وهو يوعك وعكاً شديداً ـ وقلت: إنك لتوعك وعكاً شديداً، قلت: إن ذاك بأن لك أجرين، قال: أجل، ما من مسلم يصيبه أذى إلا حات الله عنه خطاياه كما تحات ورق الشجر»[2].

فشدة سكرات الموت على الصالحين فضيلة تزاد بها الدرجات ويحط عنهم بها السيئات، لا كما زعم التجاني بأنها رذيلة يجب أن يحول بينها وبين أتباعه.

الثانية: ألا يحاسبهم الله تعالى ولا يناقشهم ولا يسألهم عن القليل والكثير يوم القيامة[3].

والرد على هذه الفضيلة من وجوه:

١ ـ أنه لا دليل عليها.

٢ ـ أنها مخالفة لصريح القرآن الذي دلّ على أن جميع الخلق يحاسبون يوم القيامة إلا من استثني بالنص.

قال الله تعالى: ﴿وإنه لذكر لك ولقومك وسوف تسألون﴾[4].

وقال جل من قائل: ﴿فوربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون﴾[5].

قال القرطبي: «والآية تدل على سؤال الجميع ومحاسبتهم كافرهم ومؤمنهم، إلا من دخل الجنة بغير حساب»[6] قلت: ومن ضمن للتجانيين دخول الجنة بغير حساب؟!

٣ ـ أن الخلاف إنما وقع في الكافر هل يحاسب أم لا..؟ وذلك لورود آيات يبدو من ظاهرها التعارض، فإن قوله تعالى: ﴿ولا يُسأل عن ذنوبهم المجرمون﴾[7] وقوله تعالى:

---

(١) تحفة الأحوذي ٤/ ٥٦.

(٢) رواه البخاري (صحيح البخاري مع شرحه فتح الباري ١٠/ ١١٠).

(٣) رماح حزب الرحيم ٢/ ٤١.

(٤) سورة الزخرف آية ٤٤.

(٥) سورة الحجر آية ٩٢، ٩٣.

(٦) تفسير القرطبي ١٠/ ٦٠.

(٧) سورة القصص آية ٧٨.

﴿فيومئذ لا يُسأل عن ذنبه إنس ولا جان﴾[1] يدل على أنهم لا يحاسبون.

وقوله تعالى: ﴿وقفوهم إنهم مسؤولون﴾[2] وقوله سبحانه: ﴿إن إلينا إيابهم. ثم إن علينا حسابهم﴾[3] يدل على أنهم يحاسبون.

وقد جمع بين هذه الآيات المتقدمون من علماء هذه الأمة، قال ابن عباس: «لا يسألهم سؤال استخبار واستعلام: هل عملتم كذا وكذا؛ لأن الله عالم بكل شيء، ولكن يسألهم سؤال تقريع وتوبيخ فيقول لهم: لِمَ عصيتم القرآن وما حجتكم فيه؟»[4].

وقال عكرمة: «القيامة مواطن يُسأل في بعضها ولا يُسأل في بعضها»[5]. ورجح القرطبي القول بالعموم[6]، وأن الجميع محاسبون كفّاراً ومؤمنين.

٤ ـ أن الله سبحانه وتعالى صرّح أن الأنبياء والمرسلين سيسألون، فكيف بمن دونهم؟ فقال جل من قائل: ﴿فلنسألن الذين أرسل إليهم ولنسألن المرسلين﴾[7] وقال تعالى: ﴿ليسأل الصادقين عن صدقهم﴾[8].

قال القرطبي: «فيه أربعة أوجه» ونحن نذكر منها وجهاً واحداً، وهو قوله:

«ليسأل الأنبياء عن تبليغهم الرسالة إلى قومهم، حكاه النقاش، وفي هذا تنبيه، أي إذا كان الأنبياء يسألون فكيف بمن سواهم؟»[9].

الفضيلة الثالثة: «لا يريهم في قبورهم إلا ما يسرهم»[10].

الرابعة: «أن يؤمنهم تعالى من جميع أنواع عذابه»[11].

---

(١) سورة الرحمن آية ٣٩.

(٢) سورة الصافات آية ٢٤.

(٣) سورة الغاشية آية ٢٥، ٢٦.

(٤) تفسير القرطبي ١٠/ ٦١.

(٥) تفسير القرطبي ١٠/ ٦١.

(٦) تفسير القرطبي ١٠/ ٦١.

(٧) سورة الأعراف آية ٦.

(٨) سورة الأحزاب آية ٨.

(٩) تفسير القرطبي ١٤/ ١٢٨.

(١٠) رماح حزب الرحيم ٢/ ٤١.

(١١) رماح حزب الرحيم ٢/ ٤١.

الخامسة: «أن يظلهم الله في ظل عرشه يوم القيامة»[1].

السادسة: «أن يجريهم الله تعالى على الصراط أسرع من طرفة عين على كواهل الملائكة»[2].

السابعة: «أن يسقيهم الله تعالى من حوضه ﷺ يوم القيامة»[3].

الثامنة: «أن يدخلهم الجنة بغير حساب ولا عقاب في أول الزمرة الأولى»[4].

التاسعة: «أن يجعلهم الله تعالى مستقرين في الجنة في عليين من جنة الفردوس وجنة عدن»[5].

العاشرة: «أن الله تعالى يعطيهم من عمل كل عامل تقبل الله منه أكثر من مائة ألف مما يعطى صاحب ذلك العمل»[6].

ثم استشهد مؤلف كتاب رماح حزب الرحيم على هذا بما ذكر عن شيخ الإسلام ابن تيمية في حصول الثواب للإنسان من عمل غيره[7].

الحادية عشرة: «أن من آحادهم إذا رآه شخص يوم الاثنين أو يوم الجمعة فإن الرائي يدخل الجنة بغير حساب ولا عقاب وراثة أحمدية تجانية»[8].

الثانية عشرة: «أن منهم من إذا رآه شخص وقال له الرائي: أشهد أني رأيتك، وقال له المرئي: شهدت لك أنك رأيتني، فإن الرائي يدخل الجنة»[9].

الثالثة عشرة: «أن لهم في المحشر موضعاً في ظل العرش يكونون فيه وحدهم».

قال رضي الله عنه وأرضاه ــ وعنَّا به ــ: «إن أصحابنا لا يدخلون المحشر مع الناس ولا

---

(١) رماح حزب الرحيم ٢/ ٤١.

(٢) رماح حزب الرحيم ٢/ ٤١.

(٣) رماح حزب الرحيم ٢/ ٤١.

(٤) رماح حزب الرحيم ٢/ ٤١.

(٥) رماح حزب الرحيم ٢/ ٤١.

(٦) رماح حزب الرحيم ٢/ ٤٦.

(٧) رماح حزب الرحيم ٢/ ٤٦، ٤٧.

(٨) رماح حزب الرحيم ٢/ ٤٧.

(٩) رماح حزب الرحيم ٢/ ٤٧.

يذوقون مشقة ولا يرون محنة من تغميض أعينهم إلى الاستقرار في عليين»[1].

الرابعة عشرة: «أنهم في أعلى عليين، وأما أحبابه الذين ليسوا من أهل طريقته فغاية أمرهم كونهم في عليين»[2].

الخامسة عشرة: «أن لهم برزخاً وحدهم يستظلون به، وهذا كله من كثرة الاعتناء بهم»[3].

السادسة عشرة: «أنهم لا يحضرون أهوال الموقف ولا يرون صواعقه وزلازله، ويكونون مع الآمنين عند باب الجنة حتى يدخلوا مع المصطفى ﷺ في الزمرة الأولى مع أصحابه»[4].

وهذه الفضائل التي يدعي التجاني أنها خاصة به وبأتباعه واضحة البطلان، ونحن نوجز الرد عليها فيما يلي:

فهذه الفضائل لا دليل عليها من كتاب ولا سنة ولا قول معتبر بل حكم بمجرد الهوى والشهوة.

ثم إن في قوله في الفضيلة الثالثة والرابعة إنهم لا يرون في قبورهم إلا ما يسرهم وإنهم آمنون من جميع أنواع عذابه، فيه ضمان لهم بالموت على الإيمان؛ لأن المؤمن هو الذي لا يرى في قبره إلا ما يسره وهو الآمن من جميع أنواع العذاب إن تفضل الله عليه بعفوه ورحمته، وفي قوله هذا ادّعاء لعلم الغيب إذ كيف يعلم بما ختم الله لهم به وقد سبق الحديث عن ذلك[5].

وأما الفضائل من الخامسة وحتى العاشرة، فقد سبق الحديث عنها، فهذه الفضائل تندرج جميعاً تحت مبحث ضمانه الجنة لأصحابه[6].

إذ أن الله تعالى لا يظل أحداً تحت عرشه إلا من سبق في علمه أنه من أهل الجنة، وكذلك لا يمر على الصراط أسرع من طرفة عين ولا يرد حوضه ﷺ إلا من كان من أهل الجنة، وأما البقية فهي صريحة في ذلك، ثم إنها أمور غيبية لا مجال للرأي فيها.

---

(١) رماح حزب الرحيم ٢/ ٤٧، ٤٨.

(٢) رماح حزب الرحيم ٢/ ٤٨.

(٣) رماح حزب الرحيم ٢/ ٤٨.

(٤) رماح حزب الرحيم ٢/ ٤٨.

(٥) سبق الحديث عن ذلك انظر ص ١٠٣-١١١.

(٦) سبقت الإشارة إلى ذلك انظر ص ٢١٨.

والفضيلة العاشرة واضحة البطلان، وذلك لأن أمر الثواب والعقاب موكول إلى المشرع وحده لا يعلم إلا من طريق الوحي، وقد انقطع الوحي عن الأمة بوفاة الرسول ﷺ.

ثم ما الدليل على هذا التحديد «أكثر من مائة ألف ضعف»؟ والتحديد بشيء لم يرد في الشرع مرفوض جملة وتفصيلاً؛ لأنه لا نبي بعد محمد ﷺ، ولا شريعة غير شريعته ﷺ.

وأما ما استشهدوا به من قول شيخ الإسلام ابن تيمية في حصول الثواب للإنسان من عمل غيره، فهذا من باب خلط الحق بالباطل والتلبيس على العامة وأشباههم.. ونحن لا ننكر انتفاع الإنسان بعمل غيره على ما ورد في الكتاب والسنة، وقد أجمع العلماء على أن الدعاء والصدقة ينفعان الميت وليسا من عمله[1]؛ لورود النصوص، وإنما ننكر الافتراء والقول على الله بغير علم.

وأما الفضيلة الحادية عشرة والثانية عشرة فقد سبق الحديث عنهما في مبحث قول التجاني: «من رآني دخل الجنة»[2].

وأما بقية الفضائل فهي لا تخرج عن أنه ضمن لهم دخول الجنة فهم آمنون من الفزع يوم القيامة، مستقرون في أعلى عليين.. وقد سبق الحديث عن ذلك[3].

---

(١) تفسير ابن كثير ٤/ ٢٥٨، الهدية الهادية ٩٧.

(٢) سبق ذكر ذلك انظر ص ٢١٠.

(٣) سبق ذكر ذلك انظر ص ١٩٦.

الباب الثالث
بدعهم في الأدعية والأذكار

(أ) ذكر بعض الأوراد والأذكار:

للتجانيين مجموعة كبيرة من الأوراد والأذكار المبتدعة، منها ما هو لازم لمن دخل الطريق، ومنها ما هو اختياري، ونحن نجملها فيما يلي:

أولاً: الأوراد اللازمة:

(أ) الورد: ويقرأ صباحاً ومساء وهو:

١ ـ أستغفر الله. (مائة مرة).

٢ ـ الصلاة على النبي ﷺ بأي صيغة. (مائة مرة).

٣ ـ الكلمة المشرفة: لا إله إلا الله. (مائة مرة).

ولابد من الترتيب في الأوراد[١].

(ب) الوظيفة:

وتقرأ في اليوم مرة إما صباحاً وإما مساء، فإن قرئت في الوقتين كان أفضل، وهي:

١ ـ أستغفر الله العظيم الذي لا إله إلا هو الحي القيوم. (ثلاثين مرة).

٢ ـ ثم صلاة الفاتح لما أغلق. (خمسين مرة).

٣ ـ ثم لا إله إلا الله. (مائة مرة).

٤ ـ ثم جوهرة الكمال. (اثنتي عشرة مرة).

ومن شروط قراءة جوهرة الكمال عندهم:

١ ـ أنها لا تقرأ إلا بالطهارة المائية دون الترابية؛ لأن النبي ﷺ والخلفاء الأربعة ـ على زعمهم ـ يحضرون عند قراءة السابعة منها.

وينوب عن جوهرة الكمال عشرون من صلاة الفاتح لما أغلق لغير المتوضئ.

---

(١) أحزاب وأوراد التجاني ٨ الطبعة الخامسة، تحقيق محمد الحافظ التجاني.

٢ ـ وجـــود الفـراش الطاهـر الذي يسـع ستة أشخـاص؛ لأن النبي ﷺ يحضر والخلفـاء الأربعة[١].

قال محمد الحافظ التجاني: «والأصل في هـذه الأمور الندب، فإن نذرت أصبحت واجبة، قال ﷺ: «من نذر أن يطيع الله فليطعه»[٢][٣].

(جـ) ذكر الجمعة :

من الأوراد اللازمة في الطريقة ذكر «لا إلـه إلا الله» ساعة أو أكثر متصلة بغروب الشمس بعد صلاة العصر يوم الجمعة، ولا يشترط التقيد بعدد فإن لم يتمكـن من الذكر ساعة ذكرها من ألف إلى ألـف وستمائة، ولابـد من اتصـال الذكـر بالغـروب سـواء بعدد أو بغيـر عدد، فقـد ورد أن الصحف تعرض على الحق سبحانه في كل أسبـوع فيكون آخر صحيفته لا إله إلا الله، وأولاها لا إله إلا الله[٤].

كما يشترط فيهـا أيضاً ما يشترط في جوهـرة الكمال من أنها لا تصح إلا بالطهـارة المائية؛ لأن النبي ﷺ يحضرها[٥] في زعمهم.

نموذج من هذه الأوراد :

١ ـ صلاة الفاتح لما أغلق[٦].

٢ ـ جوهرة الكمال، وهي:

«اللهم صل وسلم علـى عين الرحمة الـربانية واليـاقوتة المتحققة الحـائطة بمركـز الفهوم والمعاني ونـور الأكوان المتكونة، الآدمي صاحـب الحق الرباني البرق الأسطـع بمزون الأرياح المائلة لكل متعرض مـن البحور والأواني، ونورك اللامع الذي ملأت به كـونك الحائط بأمكنة المكاني، اللهم صل وسلـم على عين الحق التي تتجلى منها عروش الحقـائق، عين المعارف الأقوم صراطك التام الأسقم، اللهم صل على طلعـة الحق بالحق الكنز الأعظم إفاضتك منك

---

(١) أحزاب وأوراد التجاني ١٠، الدرة الخريدة ٣/ ١٩٩، ٢٠٠.

(٢) رواه البخاري (صحيح البخاري مع شرحـه فتح الباري ١ـ/ ٥٨١) ورواه أحمد في المسند ٦/ ٣٦، ٤١، ٢٢٤.

(٣) أحزاب وأوراد التجاني ١٠.

(٤) أحزاب وأوراد التجاني ١٠، ١١.

(٥) الدرة الخريدة ٣/ ٢٠٠.

(٦) سبقت الإشارة إليها. انظر عقيدتهم في القرآن ص١١٣.

إليك إحاطة النور المطلسم ﷺ، وعلى آله صلاة تعرفنا بها إياه»[1].

ثانياً: الأوراد الاختيارية :

وهي كثيرة جداً نذكر منها :

١ ـ ياقوتة الحقائق.

٢ ـ الصلاة الغيبية.

٣ ـ الحزب السيفي.

٤ ـ حزب البحر.

٥ ـ الأسماء الإدريسية.

٦ ـ استغفار الخضر.

٧ ـ دعاء لرؤيته ﷺ بعد موته.

٨ ـ صلاة رفع الأعمال.

٩ ـ المسبعات العشر.

١٠ ـ دعاء في قوت القلوب[2].

ويشترط فيها الإذن الخاص[3] من الشيخ أو من يقوم مقامه.

نماذج من هذه الأوراد :

١ ـ من أوراده استغفار الخضر وهو:

«اللهم إني أستغفرك من كل ذنب تبت إليك منه ثم عدت فيه، وأستغفرك من كل ما وعدتك به نفسي ثم لم أوف لك به، وأستغفرك من كل عمل أردت به وجهك فخالطني فيه غيرك، وأستغفرك من كل نعمة أنعمت بها عليَّ فاستعنت بها على معصيتك، وأستغفرك يا عالم الغيب والشهادة، ومن كل ذنب أذنبته في ضياء النهار أو سواد الليل في ملاء أو خلاء أو سر أو علانية يا حليم»[4] اهـ.

٢ ـ دعاء يقرأ عدة مرات لرؤية النبي ﷺ يقظة بعد موته:

---

(١) أحزاب وأوراد التجاني ١٣، ١٤.

(٢) الدرة الخريدة ٤/ ١٥٥، ١٧٤.

(٣) أحزاب وأوراد التجاني ٢٢.

(٤) أحزاب وأوراد التجاني ١٠٤، ١٠٥.

«اللهم اجمع جميع أذكار الذاكرين وجميع صلوات المصلين، واجعل لي جميع الأذكار ذكري، وجميع الصلوات صلاتي في سيدنا محمد شفيع المذنبين، وعلى آله الأبحر الكاملين عدد ما في علمك يا رب»[1] اهـ.

٣ ـ ومن أوراده صلاة رفع الأعمال وهي:

«اللهم صل على سيدنا محمد النبي عدد من صلى عليه من خلقك، وصل على سيدنا محمد النبي كما ينبغي لنا أن نصلي عليه، وصل على سيدنا محمد النبي كما أمرتنا أن نصلي عليه»[2].

الأصل في هذه الأوراد :

قال مؤلف الدرة الخريدة: «.. ثم إن العبد إذا دخل طريق القوم وتبحر فيه أعطاه الله عز وجل هناك قوة الاستنباط نظير الأحكام الإلهية الظاهرة على حد سواء، فيستنبط في الطريق واجبات ومندوبات وآداباً ومحرمات ومكروهات وخلاف الأولى نظير ما فعله المجتهدون.. ومن دقق النظر علم أنه لا يخرج شيء من علوم الله تعالى عن الشريعة..[3] إلخ».

الأدلة والمناقشة :

الدليل الأول :

قال مؤلف بغية المستفيد: «إن حقيقة الأوراد عقود وعهود أخذها الله تعالى على عباده بواسطة المشايخ.. قال الله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود[4] ـ كبر مقتاً عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون[5] ـ رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه[6]﴾ وهذه الآيات الثلاث هي أصول الأوراد من زمان النبي ﷺ إلى يومنا هذا»[7].

المناقشة :

قوله: «أخذها الله تعالى على عباده بواسطة المشايخ..».

---

(١) أحزاب وأوراد التجاني ١٠٦.

(٢) أحزاب وأوراد التجاني ١١٠.

(٣) جواهر المعاني ١/ ١٢، وانظر: الدرة الخريدة ٣/ ٢١٦.

(٤) سورة المائدة آية ١.

(٥) سورة الصف آية ٣.

(٦) سورة الأحزاب آية ٢٣.

(٧) بغية المستفيد ١٢١، ١٢٢.

قد بينا فيما سبق[1] أنه لا واسطة بين الله وهذه الأمة سوى نبينا محمد ﷺ، فهو واسطة بين ربه وأمته في تبليغ الرسالة ونشر الدين، فلم يمت ﷺ إلا وقد بلغ الرسالة وأدّى الأمانة ونصح الأمة وأكمل الله به الملة، أما بعد وفاته فقد انقطع عن أمته الوحي.

وقد بينا ذلك فيما سبق[2].

فمن ادّعى أن بينه وبين الله واسطة من شيخ أو غيره يتلقى عنه ما لم يأذن به الله من الدين، فقد أعظم على الله الفرية وخالف نصوص الكتاب والسنة.

وما استدلوا به من آيات يأمر بها الله تعالى عباده المؤمنين بوفاء العقود، وأن لا تخالف أفعالهم، وأن يكونوا صادقين مع الله فيما عاهدوه عليه، فهي حق وصدق إلا أنها دليل في غير محل النزاع، إذ التقيد بالورد في وقت خاص وعلى هيئة مخصوصة لا يثبت إلا بنص صريح خاص، ولا يثبت بعمومات تدل على معان كلية، فأين أدلة هذه الأوراد في كتاب الله وسنة رسوله؟ وقد سئل السيوطي عن رجل من الصوفية أخذ العهد على رجل، ثم اختار الرجل شيخاً آخر وأخذ عليه العهد، فهل العهد الأول لازم أم الثاني؟ فأجاب بقوله: «لا يلزم العهد الأول ولا الثاني ولا أصل لذلك»[3].

الدليل الثاني :

قال محمد الحافظ التجاني: «أذكار أهل الطريق مرجعها الكتاب والسنة، هل لا إله إلا الله والاستغفار والصلاة على النبي ﷺ لم يشرعها الله ولا رسوله ولا أصل لها في شرع الله؟ وأياً كانت الصفة أو الهيئة التي يذكر بها الشخص، والله تعالى يقول: ﴿فاذكروا الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبكم﴾[4] أي اذكروا الله على سائر أحيانكم، وفي الحديث: «أنه ﷺ كان يذكر الله على كل أحيانه»، رواه مسلم[5] وأبو داود والترمذي وابن ماجه عن السيدة عائشة رضي الله عنها»[6].

---

(١) سبق الحديث عن ذلك. انظر موضوع التوسل ص ١٥١.

(٢) سبق الحديث عن ذلك ص انظر في فصل بيان أن النبي ﷺ لم يكتم شيئاً مما أوحي إليه.

(٣) الحاوي للفتاوي للسيوطي ١/ ٣٩٠، ٣٩١.

(٤) سورة النساء آية ١٠٣.

(٥) رواه مسلم (صحيح مسلم مع شرح النووي ٤/ ٦٨).

(٦) رسالة «علماء تزكية النفس» ٨، ٩.

* المناقشـــة :

إن هذ القـول مشتمل على حق وبـاطل، فلا شـك أن ذكر الله سبحـانه وتعالـى والاستغفار والصلاة علـى النبي ﷺ مشروعـة في دين الله، إذ ورد الأمر بـذكر الله فـي آيات وأحاديـث كثيرة منها ما استدل به التجـانيون أنفسهم، وما استدل بها التجانيون دليل علـى الوجه المشروع فيها دون المبتـدع، فالـوجـه المبتـدع فيها هـو تعيين هـذه الأوراد والصلـوات والأدعيـة بالأوقـات المخصوصـة والكيفيات المعينـة والشروط المقـررة واتخاذهـا شعاراً، والمحـافظة عليهـا مع إهمال وهجر ما ورد عن سيد المرسلين من أدعية وأذكار.

فمثلاً قول: «لا إلـه إلا الله» في آخر ساعة من يوم الجمعـة فيها الجانبان المذكـوران، فذكر الله سبحانـه وتعالـى والإكثار من لا إلـه إلا الله أمر مشروع مستحـب، لكن تخصيص عصـر يوم الجمعة بهذا الذكر وتحـديده بقبيل الغروب بساعة تقريباً، واشتـراط أن يكون متصلاً بالغروب، وأنه لا يصح إلا بالطهارة المائية، وكونه بهـذا الشكل الجماعي، كل هذا لا دليل عليه فهو بدعة محرمة.

وكذلك كون «جوهـرة الكمال» لا تقرأ إلا بالطهارة المائية، واشتـراط وجود فراش يسع ستة أشخاص عند قراءتها؛ لأن النبي ﷺ يحضر والخلفاء الأربعة معه ـ في زعمهم ـ واشتراط الإذن من الشيخ أو نـائبه لكل ورد من هـذه الأوراد، كل ذلك ممـا لم يأذن به الله، فعن أبـي البختري قال: «بلـغ عبدالله بن مسعـود أن قوماً يقعـدون بين المغرب والعشـاء يقولون: قـولوا كـذا، قال عبدالله: إن فعلـوا فآذنوني، فلمـا جلسوا آذنوه، فانطلق معهـم فجلس وعليه برنس فـأخذوا في تسبيحهم، فحسر عبـدالله عن رأسه البـرنس وقال: أنا عبـدالله بن مسعود. فسكت القـوم فقال: لقد جئتم ببدعة ظلماً وإلا فضللنا أصحاب محمـد ﷺ. فقال عمرو بن عتبة: أستغفر الله يا ابن مسعود وأتـوب إليه، فأمرهـم أن يتفـرقوا»[1] فإذا كان هـذا باتخاذ هيئة غيـر مشروعة في الـذكر الوارد فما بالك بتلك الأذكار التي لا أصل لها؟

وعن الصلت بن بهرام قـال: «مر ابن مسعود بامرأة معها تسبيح تسبح بـه فقطعه وألقاه، ثم مر بـرجل يسبح بحصـى فضربه بـرجله ثـم قال: لقـد سبقتم! ركبتم بدعـة ظلماً، ولقـد غلبتم

---

(١) ذكره الهيثمي فـي مجمع الزوائد ١/ ١٨١، ١٨٢ وقال: وفي بعـض طرق الطبراني الصحيحـة المختصرة: «فجاء عبدالله بن مسعود متقنعاً، فقال: من عرفني فقد عـرفني ومن لم يعرفني فأنا عبدالله بن مسعود، إنكم لأهدى من محمد ﷺ وأصحابه أو أنكم لتعلقون بذنب ضلالة».

أصحاب محمد ﷺ علماً»[1].

وهذا النوع من البدع هو ما يسمى عند العلماء بـالبدعة الإضافية، وفي ذلك يقول الشاطبي عفا الله عنه: «..وأما البدعة الإضافية فهي التي لهـا شائبتان: إحداهما لها من الأدلة متعلق فلا تكون من تلـك الجهة بدعة، والأخـرى ليس لها متعلق إلا مثل مـا للبدعة الحقيقية. فلمـا كان العمل له شائبتان لـم يتخلص لأحد الطرفين وضعنا لها هذه التسمية «وهي البـدعة الإضافية»، أي أنها بالنسبة إلى إحدى الجهتين سنة لأنهـا مستندة إلى دليل، وبالنسبة إلى الجهة الأخرى بدعـة لأنها مستندة إلى شبهـة لا إلى دليل، أو غير مستنـدة إلى شيء، والفرق بينهمـا من جهة المعنى أن الـدليل عليها من جهـة الأصل قائم، ومن جهـة الكيفيات والأحوال والتفـاصيل لم يقم عليهـا مـع أنهـا محتـاجة إليـه؛ لأن الغـالـب وقـوعهـا في التعبـديـات لا في العـاديـات المحضة»[2].

قلت: وما لـه أصل شرعي من أوراد التجانية هـو من هذا الباب، إذ أصل الذكـر مشروع في الإسلام ولكن لا علـى هذه الكيفيات والأحوال، ثم هـي أيضاً من باب العبـادات التي لا يجوز العمل فيهـا إلا بدليل؛ لأن مبنـاها علـى التوقيف، وحيث لا دليـل فالـذكر بهـذه الصفة بـدعة محرمة.

وقـال الشيخ علي محفـوظ: «..وبهذا تعلـم أن من ينكـر البدعـة المـذكورة إنمـا ينكرهـا بالاعتبـار الثاني. ثم قـال: وإن صاحب البدعـة الإضافية يتقـرب إلى الله تعالى بمشـروع وغير مشـروع.. والتقرب يجب أن يكـون بمحض المشـروع؛ فكمـا يجب أن يكون العمـل مشروعـاً باعتبـار ذاته يجب أن يكون مشـروعاً باعتبـار كيفيته كما يفيـده حديث: «من عمـل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد»[3][4].

---

(١) قال الألباني: «وسنده إلى الصلت بن بهرام صحيح وهو ثقة من أتباع التابعين» سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة ١/ ١١٢.

(٢) الاعتصام ١/ ٢٨٦ مطبعة السعادة.

(٣) رواه البخاري عن عـائشة موصولاً بلفظ: «مـن أحدث في أمرنا هـذا ما ليس منه فهـو رد» صحيح البخاري المطبـوع مع شرحـه فتح البـاري ٥/ ٣٠١، ورواه معلقاً بلفظ: «مـن عمل عمـلاً ليس عليه أمـرنا فهـو رد» (صحيح البخـاري المطبوع مع شـرحه فتـح الباري ١٣/ ٣١٧)، رواه مسلم مـوصولاً بـاللفظين السـابقين (صحيح مسلم مع شرح النووي ١٢/ ١٦).

(٤) الإبداع في مضار الابتداع ٣٢ الطبعة الخامسة.

وبهذا يتبين أن إنكار الأوراد لا يتوجه إلى الاستغفار وذكر الله والصلاة على النبي ﷺ في ذاتها؛ لورود الأدلة الصحيحة الصريحة في القرآن والسنة في الحث عليها، وإنما يتوجه الإنكار إلى الذكر والاستغفار والصلاة على النبي ﷺ بهذه الهيئات والكيفيات[1] المخصوصة، وبتلك الشروط والصفات واتخاذها شعاراً مضاهاة لما شرعه الله، مع عدم قيام دليل على شيء من ذلك، وحيث لا دليل فهي مردودة على صاحبها لقول نبي الرحمة ﷺ: «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد» اهـ.

الدليل الثالث:

قال محمد الحافظ: «ألم يثبت أن النبي ﷺ أقر أصحابه على ما ذكروه من أدعية أو أذكار أو غيرها، بل وأثابهم عليها؟.. ثم قال: وليس من الممنوع شرعاً أن تدعو بما تشاء فقد قال ﷺ: «لا يزال يستجاب للعبد ما لم يدع بإثم أو قطيعة رحم[2] .. الحديث» إجازة من الشارع للأمة أن يدعوا ربهم بما يشاؤون بهذا الشرط.. فمن زعم أن الدعاء بغير ما دعا به النبي ﷺ لا يجوز؛ فقد خالف ما عليه أصحاب رسول الله ﷺ ـ وهم أعلم بالدين من ملء الأرض من أمثاله ـ وخالف ما عليه التابعون وتابعو التابعين والأمة المحمدية، وقد ثبت في الصحيح أن سيدنا عمر جمع الناس في قيام رمضان ثم قال: نعمت البدعة هذه[3]، والتي ينامون عنها أفضل. يريد قيام آخر الليل وكان الناس يقومون أوله»[4].

المناقشة:

إن هناك فرقاً بين إقرار النبي ﷺ لأصحابه على بعض الأدعية والأذكار وبين هذه الأوراد والأذكار المبتدعة، فإن الصحابة لم يتخذوها شعاراً يستقلون بها عن المسلمين، وإنما هي أدعية وأوراد فردية لم تتخذ شكلاً وطابعاً معيناً يلتزم بها جماعة من الناس يعرفون بها دون سائر المسلمين، ثم إن أذكار الصحابة وأدعيتهم كانت مجردة من هذه الشروط والكيفيات فلم يخصوا أوقاتاً لأورادهم دون ما خصه الله ورسوله، ولم يشترطوا لها شروطاً خارجة عن الشريعة

---

(١) وليس المقصود بالهيئات والكيفيات ما أشار إليه التجاني من القيام والقعود، أخذاً من قوله تعالى: ﴿فاذكروا الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبكم﴾ بل هو ما أشرنا إليه فليتنبه لذلك.

(٢) رواه مسلم (صحيح مسلم مع شرح النووي ١٧/ ٥٢).

(٣) سبق تخريجه ص١٩.

(٤) رسالة «علماء تزكية النفس» ٩، ١٢.

الإسلامية ككونها لا تقرأ إلا بالطهارة المائية أو بإذن الشيخ أو غير ذلك من الشروط، ولم يرتبوا عليها من الثواب غير ما ذكره النبي ﷺ.

فلو أن شخصاً معيناً من الناس صلى على النبي ﷺ بما تيسر له من الصيغ التي لا محذور فيها دون أن يكون معتقداً أنها أفضل من غيرها ودون أن يخصها بشيء معين، بل قرأها على أنها صلاة على النبي ﷺ مجردة من كل شيء؛ لكان له أجر الصلاة على النبي ﷺ المذكور في قوله ﷺ: «وصلوا عليَّ فإنه من صلى عليَّ صلاة صلى الله عليه عشراً...»[1] الحديث».

كما أن ذكر الله والاستغفار يجوز بما تيسر من الصيغ التي لا محذور فيها، لكن الأفضل التقيد بما ورد عن الله ورسوله ﷺ.

وما استدلوا به مما ثبت في الصحيح أن سيدنا عمر جمع الناس في قيام رمضان على قارئ واحد ثم قال: «نعمت البدعة هذه، والتي ينامون عنها أفضل[2]. يريد قيام آخر الليل».

مردود؛ لأن ما فعله عمر إحياء لسنة فعلها رسول الله ﷺ وليس من قبيل البدع المخترعة، وبيان ذلك:

١ ـ أن الحديث الذي روته عائشة رضي الله عنها يدل على أنها سنة، فقد روى عروة: «أن عائشة أخبرته أن رسول الله ﷺ خرج ليلة من جوف الليل فصلى في المسجد وصلى رجال بصلاته، فأصبح الناس فتحدثوا فاجتمع أكثر منهم فصلى فصلوا معه، فأصبح الناس فتحدثوا فكثر أهل المسجد من الليلة الثالثة، فخرج رسول الله ﷺ فصلى بصلاته، فلما كانت الليلة الرابعة عجز المسجد عن أهله حتى خرج لصلاة الصبح، فلما قضى الفجر أقبل على الناس فتشهد ثم قال: أما بعد، فإنه لم يخف علي مكانكم، ولكني خشيت أن تفرض عليكم فتعجزوا عنها. فتوفي رسول الله ﷺ والأمر على ذلك»[3] فهذا الحديث يدل على سنيتها، فإن قيامه أولاً يدل على صحة القيام في المسجد جماعة في رمضان.

٢ ـ أن امتناع النبي ﷺ عن الخروج كان خشية أن تفرض عليهم كما صرح به ﷺ في الحديث، وهذا لا يدل على امتناع القيام مطلقاً، وذلك لأن زمن النبي ﷺ زمن وحي وتشريع.. قال الشاطبي: «فلما زالت علة التشريع بموته ﷺ رجع الأمر إلى أصله وقد

---

(١) رواه النسائي (سنن النسائي ٢/ ٢٥، ٢٦).

(٢) سبق تخريجه ص١٩.

(٣) رواه البخاري (صحيح البخاري مع شرحه فتح الباري ٤/ ٢٥٠، ٢٥١).

ثبت الجواز فلا ناسخ له[1]».

٣ ـ أن عمر رضي الله عنه لما جمع الناس على إمام واحد لم ينكر عليه أحد من صحابة رسول الله ﷺ، بل اتفق الصحابة على صحة ذلك وإقراره، وقد قال النبي ﷺ: «إن الله لا يجمع أمتي ـ أو قال: أمة محمد ـ على ضلالة.. الحديث»[2].

أن عمر رضي الله عنه إنما سمّاها بدعة بالمعنى اللغوي لا بالمعنى الاصطلاحي، وفي ذلك يقول الإمام الشاطبي رحمه الله: «..إنما سماها بدعة باعتبار ظاهر الحال من حيث تركها رسول الله ﷺ واتفق أن لم تقع في زمان أبي بكر رضي الله عنه، لا أنها بدعة في المعنى، فمن سماها بدعة بهذا الاعتبار فلا مشاحة في الأسامي، وعند ذلك فلا يجوز أن يستدل بها على جواز الابتداع بالمعنى المتكلم فيه؛ لأنه نوع من تحريف الكلم عن مواضعه، فقد قالت عائشة رضي الله عنها: كان رسول الله ﷺ ليدع العمل وهو يحب أن يعمل به خشية أن يعمل به الناس فيفرض عليهم»[3][4].

وبهذا يتبين أن هناك فرقاً كبيراً بين ما فعله عمر رضي الله عنه في صلاة التراويح وبين ما يدّعيه التجانيون من سنية أورادهم، ويتمثل هذا الفرق فيما يلي:

١ ـ أن صلاة التراويح قد فعلها النبي ﷺ كما ثبت ذلك في الحديث السابق بخلاف هذه الأوراد.

٢ ـ أن ما فعله عمر قد أجمع عليه صحابة رسول الله ﷺ وأما أوراد التجانية فهل أجمع عليها الصحابة؟ بل هل أجمع عليها المسلمون في عصر من عصورهم؟ لا.. بل المسلمون المخلصون منكرون لها في كل وقت.

٣ ـ أن عمر رضي الله عنه إنما سماها بدعة بالمعنى اللغوي لا الاصطلاحي كما تقدم، أما أوراد التجانية فهي بدعة بالمعنى الاصطلاحي لما لابسها من شروط وهيئات وكيفيات لم يقم

---

(١) الاعتصام ٦/ ١٩٤.

(٢) رواه الترمذي وقال: «هذا حديث غريب من هذا الوجه وسليمان المديني هو عندي سليمان بن سفيان» (جامع الترمذي المطبوع مع شرحه تحفة الأحوذي ٦/ ٣٨٦، ٣٨٧) ورواه أحمد في المسند ٥/ ١٤٥ بنحوه، ورواه الدارمي في سننه ١/ ٣٢ بلفظ: «ولا يجمعهم على ضلالة».

(٣) رواه البخاري عن عائشة بلفظ «إن كان رسول الله ﷺ ليدع العمل وهو يحب أن يعمل به خشية أن يعمل به الناس فيفرض عليهم.. الحديث» صحيح البخاري مع شرحه فتح الباري ٣/ ١٠.

(٤) الاعتصام ١/ ١٩٥.

عليها دليـل شرعي، ومعلوم أن الأمـور التعبديـة مبناها علـى التوقيف، فهي من المسـائل التي لايجوز العمل بها إلا بدليل، ولا دليل فلا عمل.

٤ ـ أن النبي ﷺ قد قال في عمر والخلفاء الثلاثة معه رضي الله عنهم أجمعين، بعد أن ذكر أنها ستكون فتن قـال: «فمن أدرك ذلك منكم فعليه بسنتي وسنة الخلفاء الـراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ»[١] ولم يقل النبي ﷺ ذلك في التجاني وأتباعه.

* الدليل الرابع :

واستدلوا على تحديد الأوقات المخصوصة والعدد المخصوص بما ثبت عنه ﷺ أنه قال: «أحب الأعمال إلى الله أدومها وإن قل»[٢].

قال محمد الحافـظ التجاني: «وهذا لابد فيه من التحديـد، وقال ﷺ: «إن المنبت لا ظهراً أبقى ولا أرضـاً قطع»[٣] رواه البخـاري. وقال ﷺ: «يـا فـلان لا تكن كفـلان كـان يقـوم الليل فتركه»[٤] وقال ﷺ: «اكلفوا من الأعمـال ما تطيقون»[٥] رواه البخاري.. فالمداومـة على طاعة محـدودة هو السنـة الصحيحة التـي لا مطعن فيها عـن رسول الله ﷺ، وللنـاس أن يختاروا مـا يختارون من العبـادة يداومون عليه، وقـد يوافق اختيارهم اختيارنـا وقد يخالفه فـلا حرج، وأهل الطريق لـم يوجبوا على أحـد أخذ طريقهم ولا الاشتغـال بها، وإنما وافق اختيـار قوم لأنفسهم

---

(١) رواه الترمذي وقال: «هذا حديث حسن صحيح» جامع الترمذي مع شرحه تحفة الأحوذي ٧/ ٤٤٠، ٤٤٢.

(٢) رواه البخاري بلفظ: «.. يـا أيها الناس خذوا من الأعمـال ما تطيقون فإن الله لا يمل حتـى تملوا وإن أحب الأعمال إلى الله ما دام وإن قل» صحيح البخاري مع شرحه فتح الباري ١٠/ ٣١٤.

(٣) رواه البزار عن جابر بلفـظ «إن هذا الدين متين فأوغل فيه برفق فإن المنبت لا أرضـاً قطع ولا ظهراً أبقى» قال السيـوطي: «حـديث ضعيف» الجـامع الصغيـر ١/ ١٠٠. قـال المنـاوي: قال الهيثمـي: وفيه يحيـى بن المتوكـل أبو عقيل وهـو كذاب. انتهـى. ورواه البيهقي في السنن مـن طرق، وفيـه اضطراب روي مـوصولاً ومرسلاً ومـرفوعاً وموقـوفاً، واضطراب الصحابـي أهو جابر أو عـائشة أو عمر؟ ورجح البخاري فـي التاريخ إرساله (فيض القدير ٢/ ٥٤٤) أما الجزء الأول من الحديـث وهو قوله ﷺ: «إن هذا الدين متين فأوغل فيه برفق» فقد رواه أحمد في المسند ٣/ ١٩٩ وقال السيوطي: «هو حديث صحيح» الجامع الصغير ١/ ١٠٠.

(٤) رواه البخاري بلفـظ: «يا عبدالله لا تكن مثل فلان كـان يقوم الليل فتـرك قيام الليل» صحيح البخـاري شرحه فتح الباري ٣/ ٣٧.

(٥) سبق تخريجه انظر ص ٢٣٩.

اختيارهم فاستحسنوه ووجدوا أنهم يطيقون المداومة عليه بعد أن اختاروه بمحض إرادتهم «..من سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها بعده»[1] رواه مسلم في الصحيح ورواه الترمذي. فالمرجع في الكل إلى الشريعة المطهرة» اهـ.

المناقشة :

إن الاستدلال بهذه الأحاديث في غير محل النزاع؛ وذلك لأن المداومة على نافلة محددة من أحب الأعمال إلى الله تعالى كما دلت على ذلك الأحاديث السابقة، لكن بشرط ألا تتخذ شعاراً لطائفة معينة بصفة وشروط معينة، إذ هي بهذه الحالة تتخذ صفة التشريع.. وقد سبق أن بينا أن أمور العبادات مبناها على التوقيف.

ولو أن رجلاً من الناس داوم على نافلة معينة عدداً معيناً تقرباً إلى الله لما كان في ذلك بأس، لكن المحذور في اتخاذها شعاراً والتزام هيئات وكيفيات وشروط ما أنزل الله بها من سلطان واعتقاد الثواب عليها والعقوبات على تركها، والعدول عما ثبت عن المصطفى ﷺ فيها.

وحينما نسألهم عن سبب اختصاص بعض هذه الأوراد بشروط معينة فإنهم لايجدون دليلاً مقنعاً، ويأمرون أتباعهم بالتسليم وعدم الانتقاد، ولهذا لما سأل التجاني عن اختصاص جوهرة الكمال بالطهارة المائية دون الترابية قال: «.. لو كان للعقل مجال في ذلك وأمكن القياس على ما هنالك لقيل: إن الهيللة[2] يوم الجمعة كان النبي ﷺ يحضرها، كذلك فهي أيضاً لا تقرأ إلا بالطهارة المائية دون الترابية، كالجوهرة، لأن النبي ﷺ يحضرها، لكن ما لنا إلا اتباع أحمد ، يسعنا ما يسعه وما أمرنا به نتبعه وغيره لانبتدعه، وافعل ما أمرت به تعبداً معتقداً لا منتقداً وإياك ولم فتقع في الردى»[3].

وما استدلوا به من قول النبي ﷺ: «من سن في الإسلام سنة حسنة فعمل بها بعده كتب له مثل أجر من عمل بها ولا ينقص من أجورهم شيء.. الحديث»[4] على أن أورادهم من قبيل السنن لا من قبيل البدع: مردود، وبيان ذلك:

---

(١) رواه مسلم (صحيح مسلم مع شرح النووي ٧/ ١٠٢، ١٠٤، ١٦/ ٢٢٦).

(٢) الهيللة قول: «لا إله إلا الله».

(٣) الدرة الخريدة ٣/ ٢٠٠.

(٤) سبق تخريجه انظر ص ٢٤٠.

١ ـ أن معنى الحديث «من سن سنة في الإسلام»: من أحيا سنة في الإسلام، وليس معناه: من اخترع سنة وابتدعها بعد أن لم تكن ثابتة، ويدل على هذا المعنى السبب الذي من أجله ورد الحديث، ففي الصحيح عن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما قال: «كنا عند رسول الله ﷺ في صدر النهار قال: فجاءه قوم حفاة عراة مجتابي[١] النمار ـ أو العباء ـ متقلدي السيوف عامتهم من مضر ـ بل كلهم من مضر ـ فتمعّر وجه رسول الله ﷺ لما رأى بهم من الفاقة، فدخل ثم خرج فأمر بلالاً فأذن وأقام، فصلى ثم خطب فقال: ﴿يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة[٢] ـ إلى آخر الآية ـ إن الله كان عليكم رقيباً﴾ والآية التي في سورة الحشر: ﴿اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد واتقوا الله﴾[٣] تصدق رجل من ديناره، من درهمه، من ثوبه، من صاع بُرّه، من صاع تمره، حتى قال: ولو بشق تمرة. قال: فجاء رجل من الأنصار بصرة كادت كفه تعجز عنها بل قد عجزت، قال: ثم تتابع الناس حتى رأيت كومين من طعام وثياب حتى رأيت وجه رسول الله ﷺ يتهلل كأنه مذهبة، فقال رسول الله ﷺ: من سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيء.. الحديث»[٤].

فأول الحديث يدل على أن المراد بقوله ﷺ: «من سن في الإسلام سنة حسنة»: من أحيا في الإسلام، وليس المقصود الاختراع، إذ ما فعله الصحابي رضي الله عنه ليس من باب الاختراع؛ لوجود الحث على الصدقة في الأصل[٥].

وأكثر أوراد التجانية وما تعلق بها مخترع مبتدع، فمن قال: إن (لا إله إلا الله) في عصر الجمعة لا تقرأ إلا بالطهارة المائية؟ ومن قال: إن جوهرة الكمال لا تقرأ إلا بالطهارة المائية، وأنه لابد من وجود فراش عند قراءتها يتسع لستة أشخاص؟ وأن سائر الأوراد والأذكار لابد فيها من إذن الشيخ أو نائبه؟ كل هذه الأقوال لم يسبقهم إليها أحد وليس لها أصل في شريعة الإسلام.

---

(١) النمار بكسر النون: جمع نمرة بفتحها وهي ثياب صوف فيها تنمير، وقوله: «مجتابي النمار» أي خرقوها وقوروا وسطها (شرح النووي على مسلم ٧/ ١٠٢).

(٢) سورة النساء، الآية ١.

(٣) سورة الحشر آية ١٨.

(٤) سبق تخريجه انظر ص ٢٤٠.

(٥) الاعتصام ١/ ١٨٤.

٢ ـ مما يؤيد هذا المعنى أن التحسين والتقبيح لا يعرف إلا من جهة الشارع، فوصف النبي ﷺ بأنها «حسنة» يدل على أنها ثابتة ومشروعة في الأصل وليست مخترعة[١].

وقول محمد الحافظ: «وإنما وافق اختيار قوم لأنفسهم اختيارهم فاستحسنوه ووجدوا أنهم يطيقون المداومة عليه».

مردود؛ لأن مجرد الاستحسان العقلي ليس دليلاً شرعياً كما قال علي رضي الله عنه: «لو كان الدين بالرأي لكان أسفل الخف أولى بالمسح من أعلاه..»[٢] وقد علم أن الأحكام الشرعية لا تثبت بالتحسين والتقبيح العقليين، فالحسن ما اعتبره الشارع حسناً والقبيح ما اعتبره الشارع قبيحاً. والله أعلم.

* الدليل الخامس :

قال محمد التجاني: «والأوراد في هذه الطريقة منذورة ومشروطة بعدم العذر، وقد قال ﷺ: «من نذر أن يطيع الله فليطعه»[٣] وقال تعالى: ﴿يوفون بالنذر﴾[٤] ﴿وليوفوا نذورهم﴾[٥] فماذا يقول أولئك الذين يزعمون الغيرة على الدين والمعرفة في الفقه وهم أبعد الناس عن ذلك؟ ماذا يقولون فيمن نذر على نفسه قدراً يسيراً لا يشق عليه ونذره بمحض اختياره من الاستغفار والصلاة عليه ﷺ؟ ومن ذكر الكلمة المشرفة لا إله إلا الله، ثم ترك ذلك بغير عذر؟ أفعليها شيء إن قلنا إنه بعدم الوفاء بالنذر بهذه الطاعة الميسرة ومن غير عذر قد عرض نفسه للعقوبة الإلهية؟ وأي بلاء أشد من ذلك؟»[٦].

*المناقشة :

١ ـ إن قول محمد الحافظ: «والأوراد في هذه الطريقة منذورة» قول لم يسبق إليه وهو من

---

(١) الاعتصام ١/ ١٨٤.

(٢) رواه أبو داود (سنن أبي داود مع شرحه عون المعبود ١/ ٢٧٨)، قال ابن حجر: «رواه أبو داود وإسناده صحيح» تلخيص الحبير ١/ ١٦٩ مطبعة الفجالة الجديدة.

(٣) سبق تخريجه.

(٤) سورة الإنسان آية ٧.

(٥) سورة الحج آية ٢٩.

(٦) رسالة علماء تزكية النفس ٢٤، ٢٥.

متأخريهم، إذ قد توفي في عام ١٣٩٨هـ وكتبهم المعتمدة ليس فيها شيء من ذلك، والتجانيون لا يرون وجوبها عليهم؛ لأنهم نذروا ذلك، بل لأن التجاني رواها عن الرسول ﷺ ورتب عليها من الثواب العظيم ما لا يحصى، وأن من أخذها ثم تركها حلت به العقوبة ويأتيه الهلاك على حد قولهم، فهذا هو الذي يدعوهم إلى التزامها وعدم تركها لا أنهم نذروها، وما ذكره محمد الحافظ من أنهم نذروا ذلك محاولة منه لتبرير اعتقادهم بوجوبها عليهم، وقد ورد في جواهر المعاني ما يؤيد ما نقول: قال مؤلف جواهر المعاني: «..ومن أخذ الورد ثم تركه تركاً كلياً أو متهاوناً به حلت به العقوبة ويأتيه الهلاك، وهذا إخبار من سيد الوجود ﷺ لشيخنا رضي الله عنه، ونصه ﷺ: «وكل من أخذ عليك ذكراً قل له في وصيتك له: ذكرنا هذا عظيم وإياكم والتفريط فيه وإياكم وتركه؛ لأن الصلاة على النبي ﷺ عظيمة وهي باب الكمال وهي المدخل الأعظم، ومن تركها لا يجد باباً من غيرها يدخل عليه» [(1)]اهـ.

٢ ـ ولو سلمنا بأنها منذورة فما الذي يحمل التجانيين على تخصيصها بالنذر المستمر دون غيرها مما ورد عن النبي ﷺ من الأدعية المشروعة؟ ثم إن النذر يؤدي إلى أمور منهي عنها، منها:

١ ـ المشقة على النفس بما ليس مشروعاً، فإن الله تعالى يسر على هذه الأمة وهو سبحانه يحب أن تؤتى رخصه كما يحب أن تؤتى عزائمه، فنذر شيء من الطاعات على الدوام فيه تكليف للنفس ومشقة عليها فكان في هذا رد على تيسير الله، وهذا لا يليق بالعبد مع خالقه ومولاه.

٢ ـ أنه يؤدي إلى التقصير بما هو أهم وأولى، فإن من أوجب على نفسه شيئاً من الطاعات غير ما أوجبه الله عليه فقد ظلم نفسه؛ لأن هذا سيؤدي به إلى التقصير بما هو أهم وأولى مما أوجبه الله عليه، وهذا متحقق عند التجانية فقد أوجبوا على أنفسهم هذه الأوراد وانصرفوا عما ورد من أذكار في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، والعدول عنها إلى أوراد المشايخ مزلق خطير.

٣ ـ اتهام شريعة الله بالنقص، فإن مثل هذه الأعمال من أسباب الغلو في الدين، كما وأن فيها اتهام شريعة الله بالنقص وجعل ما ليس من الشريعة داخلاً فيها، والله تعالى يقول: ﴿قل يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم غير الحق﴾[(2)].

---

(١) جواهر المعاني ١/ ١٢٣.

(٢) سورة المائدة آية ٧٧.

فإن قال قائل: إن القيام بهذه الأوراد من باب الإباحة لا من باب الوجوب أو الاستحباب.

فالجواب: أن المباح هو ما لا يترتب على فعله ثواب ولا على تركه عقاب، وأنتم ترتبون على هذه الأوراد من الثواب الشيء العظيم، ومن هذا الثواب الاستقرار مع الشيخ في أعلى عليين بجوار سيد المرسلين بلا حساب ولا عذاب، ومنه مغفرة الذنوب وأداء التبعات[1]، وغير ذلك. كما أن من ترك شيئاً من هذه الأوراد يستحق العقاب.

وبهذا يتبين أن هذه الأوراد ليست من قبيل المباحات، ويقرر محمد الخضري هذه الحقيقة فيقول: «إن المباح عند الشارع هو ما خير فيه بين الفعل والترك من غير مدح ولا ذم، فإذا تحقق الاستواء أو التخيير شرعاً لم يتصور أن يكون تاركاً مطيعاً؛ لعدم تعلق الطلب بالكف عنه، إذ أن الطاعة لا تكون إلا مع طلب ، ولا طلب فلا طاعة.. ثم قال: والنتيجة أن الشارع لا قصد له في فعل المباح دون تركه ولا في تركه دون فعله بل قصد جعل الخيرة للمكلف، فما كان من المكلف من فعل أو ترك فذلك قصد الشارع بالنسبة إليه، فصار الفعل والترك كخصال الكفارة أيها فعل فهو قصد الشارع، لا أن للشارع قصداً في الفعل بخصوصه أو الترك بخصوصه..»[2].

فإذا ثبت أن أوراد التجانية ليست من قبيل الواجبات ولا من قبيل المباحات تبين أنها من قبيل المبتدعات.

بعد مناقشة هذه الأدلة نعود إلى مناقشة أصل هذه الأوراد :

وهو قولهم: «.. إن العبد إذا دخل في طريق القوم وتبحر فيه أعطاه الله عز وجل هناك قوة الاستنباط نظير الأحكام الإلهية الظاهرة على حد سواء، فيستنبط في الطريق واجبات ومندوبات وآداباً ومحرمات ومكروهات وخلاف الأولى نظير ما فعله المجتهدون.. ومن دقق النظر علم أنه لا يخرج شيء من علوم الله تعالى عن الشريعة.. إلخ»[3].

*** المناقشة :**

هذا القول واضح البطلان، فإن العبد مهما بلغ عبادة وصلاحاً وتقوى فإنه لا يشارك الله في تشريع ولا في أمر ولا نهي، فحق التشريع لله وحده وليس لأحد من العباد أن يقول: هذا سنة

---

(١) بغية المستفيد ٢٧٥.

(٢) أصول الفقه، محمد الخضري، ٥٧، ٥٨ الطبعة الرابعة ،مطبعة السعادة.

(٣) سبقت الإشارة إلى ذلك ص ٢٣٢.

وهذا واجب، لشيء لم يرد فيه دليل من شرع الله، وإن فعل ذلك فقد نازع الله في حق الحاكمية وهو حق من حقوقه تعالى لا يجوز إلا له، ومن فعل ذلك فقد أشبه النصارى الذين اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله، قال الله تعالى: ﴿اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله والمسيح ابن مريم﴾[1].

روى الترمذي عن عدي بن حاتم قال: «أتيت النبي ﷺ وفي عنقي صليب من ذهب، فقال: ما هذا يا عدي؟ اطرح عنك هذا الوثن، وسمعته يقرأ في سورة براءة: ﴿اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله والمسيح ابن مريم﴾ ثم قال: أما أنهم لم يكونوا يعبدونهم ولكنهم كانوا إذا أحلوا لهم شيئاً استحلوه، وإذا حرموا عليهم شيئاً حرموه»[2].

وقال القرطبي: «روى الأعمش وسفيان عن حبيب بن أبي البختري قال: سئل حذيفة عن قول الله عز وجل: ﴿اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله﴾ هل عبدوهم؟ فقال: لا، ولكن أحلوا لهم الحرام فاستحلوه، وحرموا عليهم الحلال فحرموه»[3].

وقال ابن كثير: «قال حذيفة بن اليمان وعبدالله بن عباس وغيرهما في تفسير: ﴿اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله﴾: إنهم اتبعوهم فيما حللوا أو حرموا. وقال السدي: استنصحوا الرجال ونبذوا كتاب الله وراء ظهورهم، ولهذا قال تعالى: ﴿وما أمروا إلا ليعبدوا إلهاً واحداً﴾[4] أي الذي إذا حرم الشيء فهو الحرام، وما حلله فهو الحلال، وما شرعه اتبع وما حكم به نفذ»[5].

ومن هذا كله يتبين أن من اعتقد أن للشيخ ـ مهما بلغ علماً وصلاحاً ـ حقاً في التشريع مع الله بإيجاب أو ندب فقد اتخذ مع الله نداً. والله أعلم.

---

(١) سورة التوبة آية ٣١.

(٢) رواه الترمذي وقال: «هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث عبدالسلام بن حرب، وغطيف بن أعين ليس بمعروف في الحديث» (جامع الترمذي مع شرحه تحفة الأحوذي ٨/ ٤٩٢، ٤٩٤) قال الحافظ ابن حجر: «غطيف بن أعين ذكره ابن حبان في الثقات... وضعفه الدارقطني» (تهذيب التهذيب ٨/ ٢٥١) دار صادر.

(٣) تفسير القرطبي ٨/ ١٢٠.

(٤) سورة التوبة آية ٣١.

(٥) تفسير ابن كثير ٢/ ٣٤٩.

مذهب أهل السنة والجماعة في الأوراد والأذكار، وحكم هذه الأوراد عندهم :

ذهب أهل السنة والجماعة إلى أن للمسلم أن يدعو الله بما شاء من أنواع الأدعية والأذكار[1] سواء كانت مما ورد في الكتاب والسنة أم لا مما لا يخالفها، لكن الأفضل أن يدعو الله ويذكره بما ورد في الكتاب والسنة، أما أن تتخذ أدعية وأوراد معينة في أوقات مخصوصة وبأعداد محددة وبشروط معلومة، وتتخذ شعاراً لطائفة من الناس ينفردون بها عن سائر المسلمين ويعتقدون أنها واجبة أو مندوبة ويرتبون على ذلك ما لا يحصى من الثواب، وأن من تركها حلت عليه العقوبة، ويستغنون بها عن الأوراد الشرعية الثابتة بالكتاب والسنة كما فعل التجانيون، فهذا تشريع ما لم يأذن به الله فهو بمثابة جعل الحلال حراماً والحرام حلالاً؛ لقول النبي ﷺ: «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد»[2].

ويقرر علماء الإسلام أن هذه الأوراد من البدع المحرمة ، وأنه لا ينبغي العدول عما ورد عن المصطفى ﷺ إلى أوراد المشايخ والطرقية. قال ابن الجوزي رحمه الله: «.. ثم من أقبح الأشياء قولهم: إن الصوفية ينفردون بسنن؛ لأنها إن كانت منسوبة إلى الشرع فالمسلمون كلهم فيها سواء والفقهاء أعرف بها، فما وجه انفراد الصوفية بها؟ وإن كانت بآرائهم فإنما انفردوا بها لأنهم اخترعوها»[3].

وقال القاضي عياض: «أذن الله في دعائه وعلم الدعاء في كتابه لخليقته، وعلم النبي ﷺ لأمته، واجتمعت فيه ثلاثة أشياء: العلم بالتوحيد، والعلم باللغة، والنصيحة للأمة. فلا ينبغي لأحد أن يعدل عن دعائه ﷺ، وقد احتال الشيطان للناس من هذا المقام فقيض لهم قوم سوء يخترعون لهم أدعية يشتغلون بها عن الاقتداء بالنبي ﷺ، وأشد ما في الحال أنهم ينسبونها إلى الأنبياء والصالحين فيقولون: دعاء نوح، دعاء يونس، دعاء أبي بكر الصديق، فاتقوا الله في أنفسكم لا تشتغلوا من الحديث إلا بالصحيح»[4].

وقال أبو بكر بن العربي عند تفسير قوله تعالى: ﴿ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون في أسمائه سيجزون ما كانوا يعملون﴾[5].

---

(١) أعني بذلك: في غير المواضع التي حدد فيها الشارع دعاء معيناً.

(٢) سبق تخريجه انظر ص ١٣٥.

(٣) تلبيس إبليس ١٧٤، ١٧٥.

(٤) الفتوحات الربانية على الأذكار النواوية ١/ ١٧ مطبعة السعادة.

(٥) سورة الأعراف ١٨٠.

قال: «ويقال: ألحد ولحد، إذا مال. والإلحاد يكون بوجهين: بالزيادة فيها، والنقصان منها، كما يفعله الجهال الذين يخترعون أدعية يسمون فيها الباري بغير أسمائه ويذكرونه بما لم يذكروه من أفعاله، إلى غير ذلك مما لا يليق به، فحذار منها، ولا يدعون أحد منكم إلا ابما في الكتب الخمسة وهي كتاب البخاري ومسلم والترمذي وأبي داود والنسائي فهذه الكتب هي بدء الإسلام، وقد دخل فيها ما في الموطأ الذي هو أصل التصانيف، وذروا سواها ،ولا يقولن أحد: أختار دعاء كذا، فإن الله قد اختار له وأرسل بذلك إلى الخلق رسوله»[1] اهـ.

وقال القرطبي عند تفسير قوله تعالى: ﴿ربنا اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين﴾[2]:

«فعلى الإنسان أن يستعمل ما في كتاب الله وصحيح السنة من الدعاء ويدع ما سواه، ولا يقول: أختار كذا، فإن الله تعالى قد اختار لنبيه وأوليائه وعلمهم كيف يدعون»[3].

وقال أيضاً عند تفسير قوله تعالى: ﴿ادعوا ربكم تضرعاً وخفية إنه لا يحب المعتدين﴾[4]:

بعد أن ذكر وجوهاً من الاعتداء في الدعاء قال: «ومنها أن يدعو بما ليس في الكتاب العزيز ولا في السنة فيتخير ألفاظاً مفقَّرة وكلمات مسجعة قد وجدها في كراريس هؤلاء (يعني المشايخ) لا أصل لها ولا معول عليها فيجعلها شعاره، ويترك ما دعا به رسول الله ﷺ، وكل هذا يمنع من استجابة الدعاء»[5].

ويقرر شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله أنه لا يجوز أن تتخذ المباحات واجبات أو مستحبات يتقرب بها إلى الله باتفاق المسلمين، وأن اتخاذها كذلك ليس من الدين بل هو تشريع لم يأذن به الله، كما أنه لا يجوز قصد التقرب بها إلى الله لا بالقول ولا بالعمل ولا بالإرادة.

كما يقرر ـ رحمه الله ـ أن هذا الانحراف وقع فيه كثير من العلماء والعباد، وأنه من أعظم المحرمات وأكبر السيئات، وأنه من البدع المنكرات، فيقول رحمه الله: «.. إن الأمور التي

---

(١) أحكام القرآن لأبي بكر بن العربي ٢/ ٨٠٥ الطبعة الثانية.

(٢) سورة آل عمران آية ١٤٧.

(٣) تفسير القرطبي ٤/ ٢٣١.

(٤) سورة الأعراف آية ٥٥.

(٥) تفسير القرطبي ٧/ ٢٢٦ وقد نقل ذلك عنه أبو حيان في البحر المحيط ٤/ ٣١١.

ليست مستحبة في الشرع لا يجوز التعبد بها باتفاق المسلمين، ولا التقرب بها إلى الله ولا اتخاذها طريقاً إلى الله وسبباً لأن يكون الرجل من أولياء الله وأحبائه، فهذا أصل عظيم تجب معرفته والاعتناء به، وهو أن المباحات إنما تكون مباحات إذا جعلت مباحات، فإذا اتخذت واجبات أو مستحبات كان ذلك ديناً لم يشرعه الله، وجعل ما ليس من الواجبات والمستحبات منها بمنزلة جعل ما ليس من المحرمات منها ، فلا حرام إلا ما حرمه الله ولا دين إلا ما شرعه الله، ولهذا أعظم ذم الله في القرآن لمن شرع ديناً لم يأذن الله به، ولمن حرم ما لم يأذن الله بتحريمه، فإذا كان هذا في المباحات فكيف بالمكروهات أو المحرمات؟

ولهذا كانت هذه الأمور لا تلزم بالنذر، فلو نذر رجل فعل مباح أو مكروه أو محرم لم يجب عليه فعله، كما يجب عليه إذا نذر طاعة الله أن يطيعه، بل عليه كفارة يمين إذا لم يفعل عند أحمد وغيره ،وعند آخرين لا شيء عليه، فلا يصير بالنذر ما ليس بطاعة ولا عبادة[1].. ثم قال: وما علم باتفاق الأمة أنه ليس بواجب ولا مستحب ولا قربة؛ لم يجز أن يعتقد أو يقال: إنه قربة أو طاعة، فكذلك هم متفقون على أنه لا يجوز قصد التقرب به إلى الله ولا التعبد به ولا اتخاذه ديناً.. فلا يجوز جعله من الدين لا باعتقاد وقول ولا بإرادة وعمل، وبإهمال هذا الأصل غلط خلق كثير من العلماء والعباد يرون الشيء إذا لم يكن محرماً لا ينهى عنه بل يقال: إنه جائز، ولا يفرق بين اتخاذه ديناً وطاعة وبين استعماله كما تستعمل المباحات المحضة. ومعلوم أن اتخاذه ديناً بالاعتقاد أو بالقول أو بالعمل من أعظم المحرمات وأكبر السيئات، وهذا من البدع المنكرات التي هي أعظم المعاصي التي يعلم أنها معاصٍ وسيئات»[2] اهـ.

ومعلوم أن التجانية يتخذونها ديناً بالعمل والقول والاعتقاد، ويتقربون بها إلى الله ويرتبون على فعلها الثواب العظيم كما يرتبون على تركها العذاب المقيم.

ويقرر فضيلة الشيخ علي محفوظ أن المبتدع بدعة إضافية في عداد من لا ترجى توبته، فيقول عفا الله عنه: «فالمبتدع بدعة إضافية قد خلط عملاً صالحاً وآخر سيئاً وهو يرى أن الكل صالح، فلا يدخل في عداد من ترجى توبته؛ لأنه لا يرى لنفسه ذنباً حتى يتوب منه، بل يرى أن

---

(١) قال محمد رشيد رضا: «لعله سقط من هنا: طاعة وعبادة، منصوبين» قلت: فتصبح العبارة «فلا يصير بالنذر ما ليس بطاعة ولا عبادة طاعةً ولا عبادةً».

(٢) مجموعة الرسائل والمسائل ١٢٥، ١٢٧ «بتصرف» تحقيق محمد رشيد رضا، الناشر: لجنة التراث العربي.

كل ما يعمله حسن ولا توبة لمن لم يعرف لنفسه ذنباً، ولهذا قال أئمة المسلمين كسفيان الثوري: «البدعة أحب إلى إبليس من المعصية؛ لأن المعصية يتاب منها والبدعة لا يتاب منها»[1][2].

---

(١) رواه أبو نعيم في الحلية ٧/ ٢٦.

(٢) الإبداع في مضار الابتداع ٣٣ ـ علي محفوظ ـ الطبعة الخامسة.

خاتمـــــة

من خلال دراستي لهذه الطائفة - في هذه الرسالة - تبين لي ما يلي:

* أن التجانيين إزاء هـذه العقائد والأفكار ينقسمـون إلى عدة أقسـام، فمنهم الذين عـرفوا حقيقتها ومع ذلك عملوا بها وجادلوا عنها وهؤلاء هم المنتفعون من ورائها.

ومنهم الذيـن أخطأوا الطريق وادّعـوا صلاح التجاني وأخـذوا يدافعون عـن أفكاره وآرائه، وأنكروا كثيـراً مما ورد عنـه من عقـائد وخرافـات تناقض ديـن الإسلام، وحـاولوا أن يجـدوا له مخرجاً منها وهـم لا يعرفون الكثير من الأشياء التي أوضحنـاها في هذه الرسالة، وإذا نبه أحدهـم إلى شيء منها أنكره.

وهذان القسمان من المنتسبين إلى العلم.

وهناك قسم ثالث: وهـم العوام الذين لايفرقـون بين الحق والباطل، والذين انخدعوا بهؤلاء المشايخ واعتقـدوا فيهم التقى والصلاح، فأخذوا يقلـدونهم من غير علم ودراية، وهـم الغالبية العظمى من أتباع هذه الطريقة.

إن في التجـانيين كثيراً من الـذين نشأوا في مجتمعـات كانت تسيطـر عليها هذه الطـائفة فتلقفوها وراثة من غير علم ولا بصيرة.

أتاني هواها قبل أن أعرف الهوى   فـصادف قلـبـــاً خالياً فـتمكنــــا

وبعض من هـؤلاء بعد أن بحثوا عن الحـق ودرسوا حقيقة الإسلام عـرفوا أن هذه الطـريقة تقف على شفا جرف هار فألقوها وراء ظهورهم غير مبالين بأهل ولا مال ولا ولد.

ولا يفوتني في هذه العجالة أن أنصح المثقفين وطلبة العلم من أتباع هذه الطريقة ألا يلغوا عقـولهم، وأن يتفحصـوا حقيقتها علـى ضوء الكتـاب والسنة متجـردين عـن الهوى والشهـوة والتعصب، وأن يـدعوا الله مخلصين أن يبين لهم طـريق الخير والهـدى ليصبحوا مشاعـل نور وهداية فيأخذوا بأيدي أتباع هذه الطريقة إلى ما فيه خيري الدنيا والآخرة.

النتائج التفصيلية :

* تحدثت في التمهيد عـن البدعة ورجحت أن البدعة في اصطـلاح أهل الشرع لم ترد إلا مذمومة، مؤيداً ذلك بالأحاديث والآثار.

كما بينت أن البدع كلهـا حرام ولكنها تتفاوت في التحـريم، فمنها ما هو كفر، ومنهـا ما هو معصية، ومنها ما هو مكروه كراهية تحريم.

كما تحدثت عن التصـوف وبينت أن نشأته كانت في أوائل القرن الثـاني، وأن انتشاره كان بعد القرن الثالث.

كما رجحت بـالأدلة أن الصوفية سموا بهـذا الاسم نسبة إلى الصوف بعـد أن ذكرت جملة من الأقوال في سبب التسمية.

* تحدثت عن التجانـي وبينت أنه سمي بهذا الاسم نسبة إلى أخوالـه «بني توجين»، كما بينت أن العصر الـذي نشأ فيه كانت تسوده الفتـن والقلاقل، وأن الحركة العلميـة كانت تعيش عصر الاحتضار، وأن التصوف في عصره كان دروشة وتمسحاً بالقبور والمزارات.

كما بينت بعد المقارنـة بين كتاب جواهر المعاني وكتاب المقصـد الأحمد، أن من جواهر المعـاني مـا نقل من المقصـد الأحمـد بـاللفظ ومنـه ما نقـل بالمعنـى، مـؤيداً ذلـك ببعض الصفحات المصورة من الكتابين، التي تبين حقيقة ما أقول.

* كما بينت أن التجانيـة سميت بهذا الاسم نسبة إلى مؤسسها أحمـد التجاني، كما بينت أن من أسباب انتشارها قلـة العلم والعلماء في عصره وفي بيئته، ومساندة الأميـر سليمان ـ أمير المغرب في وقته ـ له، وكثرة ما فيها من الثواب المزعوم.

كما أشـرت إلى شيء من تاريـخ التجانية في كل مـن الجزائر والسنغال، وبينت مـوالاتها للفرنسييـن في الجزائر ومعـاداتها في السنغـال، وبينت أن هذا الاختـلاف يرجع إلـى اختلاف مشارب ونشأة مشايخ الطريقة التجانية في البلدين.

* وفي القسم الثـاني تحدثـت عن عقيدتهـم بالله، وبينت إيمـانهم بوحـدة الوجـود، كما ذكرت جملة من أقوال العلماء في تكفير من قال بوحدة الوجود.

كما بينت أن التجانيين حيال هذه العقيدة ينقسمون إلى ثلاثة أقسام:

قسم يؤمنون بها ويدافعون عنها وهم أكثر مشايخ التجانية المتقدمين.

وقسم ينكرونها ويكفرون قائلها، وهم بعض المتأخرين منهم.

وقسم ثالث وهم العامة فكل ما قيل لهم آمنوا بـه، وكل ما حذروا منه كفـروا به، فهم جهلة مقلدون، وهم أغلبية أهل هذه الطائفة.

* كما تحدثت عن الفنـاء وبينت أنه لم يرد مدح لفظ «الفنـاء» لا في الكتاب ولا في السنة ولا في كلام الصحابـة والتابعين، وأن لفظ «الفناء» لايقبل مطلقاً ولايرد مطلقـاً، بل لابد فيه من تفصيل:

فإن أريـد «بالفناء» الفنـاء عن عبادة السـوى بمعنى صـرف العبادة لله وحده فهـذا المعنى حق.

وإن أريد به الفناء عن وجـود السوى وأنه ليس هناك موجود إلا الله وهو ما يعبـر عنه «بوحدة الوجود» فهذا المعنى باطل.

وإن أريد بـه فناء العارف في ذات الله وهـو ما يعبر عنـه «بالاتحاد في معيـن» فهذا المعنى باطل أيضاً.

وإن أُريد بـه الفناء عـن شهود السـوي وهو المرادف للسكـر والغيبة، فـإن كان هـذا الفناء بسبب من عند نفسه فهو مؤاخذ غير معـذور، وإن كان هذا الفناء بسبب لا من عند نفسه بحيث غلبه داعي المحبة والـوجد فسكر لضعف نفسه وقوة الـوارد عليه؛ فهو غير مؤاخذ بل هـو بمثابة النائم والمغمى عليه.

كما بينـت أن حال الفناء ليست حـال كمال، ولو كـانت كذلـك لكان أولى الناس بـذلك رسول الله ﷺ.

* تحدَّثـت عن ادّعائهم علـم الغيب، وبينت أن من ادّعـى علم الغيب فقد كفـر، وأن من ذهب إلى الكهنة والمنجمين ممن يدعون علم الغيب فقد ارتكب كبيرة من كبائر الذنوب، وأن ما أخذ على ذلك من مال فهو سحت وحرام.. وذكرت أقوال العلماء في ذلك.

* بينت انحـرافهم في تفضيل صـلاة الفاتح لمـا أغلق على القـرآن الكريـم، كمـا نقضت قولهم بأنها من كلام الله، بينت أصل هذه الصـلاة، وأن ماورد منها في أثر موقوف على علي بن أبي طـالب ضعيف السنـد، وبينت أن مـن سوّى صـلاة الفاتح لمـا أغلق بكـلام الله سبحانـه وتعالى فقد كفر؛ لأنه سوى بين كلام الخـالق وكلام المخلوق، وأن من فضل صلاة الفاتح لما أغلق على القرآن الكريم فلا شك أنه أشد كفراً.

* نقضت قولهم بـأنهم يرون النبي ﷺ يقظة بعد مـوته، وأنه يخاطبهم ويخاطبـونه، وأنهم يتلقون عنه ويأخذون منه، وبينت أن ذلك مستحيـل شرعاً وعقلاً، وأن ذلك من تلبيس الشيطان وتوهيمه، وأن من قال ذلك فقد أتى بقول فاسد، وذكرت بعض ما قاله العلماء في ذلك.

* نقضت دعـواهم بأن النبـي ﷺ كتم شيئاً مـن وحي الله، وأن وحي الله لم ينقطـع عنهم، وذكرت أن من اعتقد أن النبي ﷺ قد كتم شيئاً من وحي الله فقـد كفر؛ لمخالفته لصريح القرآن الكريم والسنة المطهرة وإجماع الأمة.

* فصلت القـول في التوسـل، وبينت أن التوسـل منه مـا هو مشـروع، وذلك مثل التـوسل بأسمـاء الله الحسنى وصفاته العلـى، ومثل التوسل بـالأعمال الصالحـة، ومثل التوسل بـدعاء النبي ﷺ في حياته وبدعاء الصالحين في حياتهم.

كما بينت أن التـوسل المحرم منه ما هو الشـرك، وهو التوسل بذات الشخص المتـوسل به، وهو ما يقصدون به الاستغاثة بالمخلوق فيما لايقدر عليه إلا الله.

وكذلك الإقسام بالمخلوق على الله، وبينت أن هذا النوع تقرب إلى الله تعالى بالشرك به.

ومنه ما هو بدعة محرمة، وهو التوسل بالجاه إذ لم يرد له مستند من كتاب ولا من سنة.

* كمـا بينت عقيـدتهم فـي طلب المـدد من النبـي ﷺ ومن التجـاني، وبينـت أن طلب الحوائج من الأموات والاستعـانة بهم واعتقاد أنهم يمدون الناس بالخيـر ويمنعون عنهم الشر، مخالف لكتاب الله وسنة رسوله ﷺ وأنه شرك، وذكرت جملة من أقوال العلماء في ذلك.

* كما بينـت أن من زعم أن التجانـي خاتم الأوليـاء فقد خالـف الكتاب والسنة وقـد زكى نفسه ورفعها فوق قدرها، وأن من فعل ذلك فمعتد آثم.

* كما نقضـت زعمهم بأن النبي ﷺ قـد ضمن للتجاني وأتبـاعه الجنـة، كما فنـدت قول التجاني: «من رآني دخل الجنـة» وبينت أنه لايجوز القطع لأحد من أهل القبلـة بجنة أو نار إلا بنص ثابت، وإنما يرجى للمحسن ويخاف على المسيء.

وبينت أن العلماء قـد شنعوا على من ادّعى مثل هـذا الادّعاء؛ لما فيه مـن الجرأة على الله وادّعاء علم الغيب، إذ الخـواتيم بيد الله لا يعلمها إلا هو، وبينت أن من ادّعـى علم الغيب فقد كفر.

* تحدثـت عن بعض الفضـائل التي يدعي التجـانيون أنهم خصـوا بها مـن دون الناس، وفندت دعواهم، وبينت أن الشـريعة جاءت عامة للناس جميعاً، وتنـاولت كل فضيلة من هذه

الفضائل بالرد المختصر.

* وتحدثت في الباب الأخير عن أوراد وأذكار التجانيين وذكرت أصل هذه الأوراد عندهم وما يستدلون به عليها، وفندت كل دليل من أدلتهم، وبينت أن الأصل الدعاء بما ورد عن النبي ﷺ من أدعية وأذكار، كما بينت أن أوراد التجانية من الأوراد المبتدعة؛ لما لازمها من هيئات وشروط وكيفيات، ثم ذكرت جملة من أقوال العلماء في الحث على لزوم ما جاء في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ من أدعية وأذكار، وأن أدعية التجانية ونحوها من البدع المحرمة. والله أعلم.

كيف السبيل؟

وبعد :

فإن السبيل الأمثل لإخراج هؤلاء من الانحراف والخرافة ـ في نظري ـ لن يكون إلا على أيدي أبناء تلك البلاد الذين درسوا العقيدة السلفية الصحيحة، وتزودوا بالعلم النافع والعمل الصالح ليتمكنوا من الدعوة إلى الله على هدىً وبصيرة، ولإيجاد هؤلاء الدعاة لابد من زيادة عدد المنح الدراسية في الجامعات الإسلامية لأبناء تلك البلاد وتزويدهم بالعلم النافع، وخصوصاً في مجال العقيدة.

كما ينبغي أن تسعى الجامعات الإسلامية إلى إيجاد معاهد متخصصة لتدريس علوم الشريعة.

كما ينبغي الاستفادة من موسم الحج بتوزيع الكتب والنشرات التي تبين حقيقة هذه الطريقة وتكشف خداعها المبهرج.

كما ينبغي تشجيع العلماء المخلصين والمثقفين من أبناء تلك البلاد لنشر العقيدة الصحيحة، وتزويدهم بما يحتاجون إليه من دعم مادي أو معنوي.

أما أن تكتفي بعض المؤسسات الإسلامية بإرسال الكتب لقوم لايحسنون القراءة، فهذا ـ في نظري ـ ليس هو الطريق الصحيح، ولكن من الممكن أن تكون هذه المؤسسات عوامل مساعدة لهؤلاء الدعاة.

ومن أجل هؤلاء الدعاة المخلصين، ومن أجل الباحثين عن الحق من التجانيين وغيرهم؛ كتب هذا البحث الذي أدعو الله ـ مخلصاً ـ أن يساهم في إلقاء شيء من الضوء على حقيقة هذه الطريقة.

والله أسأل أن يجعل عملنا هذا خالصاً لوجهه الكريم.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

فهـــرس المراجـــع

أولاً:

١ ـ القرآن الكريم .

ثانياً : فهرس المراجع العامة :

٢ ـ **الإبداع في مضار الابتداع** ، للشيخ علي محفوظ، الطبعة الخامسة، مطابع دار الكتاب العربي بمصر، والطبعة الخامسة سنة ١٣٩١هـ ـ ١٩٧١م، الناشر: المكتبة العلمية بالمدينة النبوية

٣ ـ **اتصالات مريبة**، بقلم الدكتور الأمين داود، مطبعة النيل للطبع والنشر، الخرطوم سنة ١٩٧٥م.

٤ ـ **أحكام القرآن**، لأبي بكر محمد بن عبدالله المعروف بابن العربي، تحقيق علي محمد البجادي، الطبعة الثانية، عيسى البابي الحلبي وشركاه سنة ١٣٨٧هـ ـ ١٩٦٧م

٥ ـ **إحياء علوم الدين**، للإمام أبي حامد الغزالي، قدم له الدكتور بدوي طبانة، الناشر: دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركاه.

٦ ـ **الاختلاط في مذهب مسيلمة الكذاب**، بقلم الدكتور الأمين داود، طبع سنة ١٣٩٦هـ ـ ١٩٧٦م.

٧ ـ **الاستقصاء في تاريخ المغرب الأقصى**، تأليف أبي العباس أحمد بن خالد الناصري، تحقيق ولدَي المؤلف جعفر الناصري وأخيه محمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء سنة ١٩٥٤م.

٨ ـ **أصول الدين**، للأستاذ أبي منصور عبدالقاهر بن طاهر البغدادي المتوفى سنة ٤٢٩هـ، طبع في مطبعة الدولة في استانبول سنة ١٣٤٦هـ ـ ١٩٢٨م، الطبعة الأولى، الناشر: مدرسة الإلهيات بدار الفنون التركية باستانبول.

٩ ـ **أصول الفقه**، تأليف محمد الخضري بك، مطبعة السعادة، الطبعة الرابعة سنة ١٣٨٢هـ ـ ١٩٦٢ م، الناشر: المكتبة التجارية الكبرى.

١٠ ـ **الاعتصام**، تأليف أبي إسحاق إبراهيم بن موسى بن محمد الشاطبي، مطبعة السعادة، مصر، المكتبة التجارية الكبرى، مصر.

١١ ــ الاعتقاد على مذهب السلف أهل السنة والجماعة، للإمام أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي، صححه أبو الفضل عبدالله محمد الصديق الغماري، دار العهد الجديد للطباعة سنة ١٣٧٩هـ ـ ١٩٥٩م.

١٢ ـ اعتقادات فرق المسلمين والمشركين، تأليف فخر الدين محمد بن عمر الرازي، وبهامشه المرشد الأمين إلى اعتقادات فرق المسلمين والمشركين، طبع شركة الطباعة الفنية المتحدة، القاهرة سنة ١٣٩٨هـ ١٩٧٨م الناشر: مكتبة الكليات الأزهرية.

١٣ ـ الأعلام، تأليف خير الدين الزركلي، الطبعة الثانية سنة ١٣٨٩هـ ـ ١٩٦٩م.

١٤ ـ الاقتصاد على قصيدة البردة، تأليف حسن فهمي بن خليل النامرواني، طبع بمطبعة دار الطباعة العامرة في سنة ١٣٢٨هـ.

١٥ ـ الله ذاتاً وموضوعاً، تأليف عبدالكريم الخطيب، الطبعة الثانية سنة ١٩٧١م، ملتزم الطبع والنشر: دار الفكر العربي.

١٦ ـ أنوار التنزيل وأسرار التأويل، تفسير ناصر الدين أبي الخير عبدالله بن عمر البيضاوي، وبهامشه تفسير الجلالين، الطبعة الثانية سنة ١٣٨٨هـ ـ ١٩٦٨م، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر.

١٧ ـ الأنوار الرحمانية لهداية الفرقة التجانية، تأليف المرحوم الشيخ عبدالرحمن الإفريقي، الطبعة الرابعة سنة ١٣٩٦هـ ـ ١٩٧٦م مؤسسة مكة للطباعة والإعلام، توزيع الجامعة الإسلامية بالمدينة.

١٨ ـ إيضاح الدلالة في عموم الرسالة، للعلامة شيخ الإسلام ابن تيمية، الناشر مكتبة ومطابع النصر الحديثة، الرياض.

١٩ ـ البحر المحيط: لأبي عبدالله محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان، الناشر مكتبة ومطابع النصر الحديثة. الرياض.

٢٠ ـ البدعة تحديدها وموقف الإسلام منها، تأليف الدكتور عزت علي عطية، طبع بمطبعة المدني، الناشر: دار الكتب الحديثة. القاهرة.

٢١ ـ تاج العروس، للعلامة مرتضى الزبيدي، مطابع دار صادر بيروت سنة ١٣٨٦هـ ـ ١٩٦٦م، الناشر: دار ليبيا للنشر والتوزيع ،بنغازي.

٢٢ ـ تاريخ ابن عساكر المسمى بالتاريخ الكبير، تأليف أبي القاسم علي بن الحسن بن عساكر، تصحيح عبدالقادر أفندي بدران، مطبعة روضة الشام سنة ١٣٢٩هـ.

٢٣ ـ تاريخ المغرب في القرن العشرين، تأليف روم لاندو، ترجمة الدكتور نقولا زيادة، مراجعة الدكتور أنيس فريحة، نشر وتوزيع دار الثقافة بيروت، بالاشتراك مع مؤسسة فرنكلين للطباعة والنشر، بيروت، نيويورك ،سنة ١٩٦٣م.

٢٤ ـ تحفة الزائر في تاريخ الجزائر والأمير عبدالقادر، تأليف الأمير محمد ابن عبدالقادر الجزائري، تعليق الدكتور ممدوح حقي، الطبعة الثانية سنة ١٣٨٤هـ ـ ١٩٦٤م ، دار اليقظة العربية للتأليف والترجمة والنشر.

٢٥ ـ التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية، تأليف محمد بن ميمون الجزائري، تحقيق محمد بن عبدالكريم، الطبعة الأولى سنة ١٣٩٢هـ ـ ١٩٧٢م، الناشر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر.

٢٦ ـ تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة، أبو الريحان محمد بن أحمد بن أحمد البيروني ت سنة ٤٤٠هـ مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، الهند سنة ١٣٧٧هـ.

٢٧ ـ الترجمانة الكبرى في أخبار المعمور براً وبحراً، لمؤرخ الدولة العلوية أبو القاسم الزياني، حققه عبدالكريم الفيلالي، مطبعة فضالة المحمدية سنة ١٣٨٧هـ ـ ١٩٦٧م.

٢٨ ـ التصوف الإسلامي في الأدب والأخلاق، بقلم الدكتور زكي مبارك، دار الجيل للنشر والتوزيع، بيروت.

٢٩ ـ التعريفات لأبي الحسن الجرجاني، لأبي الحسن علي بن محمد الجرجاني، ت ٨١٦هـ المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية، الناشر: الدار التونسية للنشر سنة ١٩٧٤م.

٣٠ ـ تفسير القرآن الحكيم الشهير بتفسير المنار، الأستاذ محمد رشيد رضا، الناشر: دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت. لبنان.

٣١ ـ تفسير القرآن العظيم، للإمام إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي، طبع بدار إحياء الكتب العربية، الناشر عيسى البابي الحلبي وشركاه.

٣٢ ـ التفسير القيم، لابن القيم، جمعه الشيخ محمد أويس الندوي، تحقيق محمد حامد الفقي، دار الكتب العلمية، بيروت سنة ١٣٩٨هـ ـ ١٩٧٨م.

٣٣ ـ التفسير الكبير، للإمام الفخر الرازي، طبع بالمطبعة البهية المصرية بمصر.

٣٤ ـ تلبيس إبليس، للحافظ أبي الفرج عبدالرحمن بن الجوزي البغدادي، طبع إدارة الطباعة المنيرية، الطبعة الثانية سنة ١٣٦٨هـ، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت.

٣٥ ـ تلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير، للحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق الدكتور شعبان محمد إسماعيل، مطبعة الفجالة الجديدة سنة ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م الناشر: مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة.

٣٦ ـ تهذيب التهذيب، للإمام أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، الطبعة الأولى، مطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية، الهند حيدر آباد الدكن سنة ١٣٢٥هـ ـ الناشر: دار صادر، بيروت.

٣٧ ـ التوسل أنواعه وأحكامه، تأليف محمد ناصر الدين الألباني، الطبعة الثانية سنة ١٣٩٧هـ الناشر: المكتب الإسلامي بيروت، دمشق.

٣٨ ـ التوصل إلى حقيقة التوسل، تأليف محمد نسيب الرفاعي، الطبعة الثانية سنة ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م.

٣٩ ـ تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد، تأليف الشيخ سليمان بن عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب، الطبعة الأولى، الناشر: المكتب الإسلامي بدمشق.

٤٠ ـ جامع البيان عن تأويل القرآن، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، تحقيق محمود محمد شاكر، مراجعة أحمد شاكر، الناشر: دار المعارف بمصر.

جامع البيان عن تأويل القرآن: للإمام أبي جعفر بن جرير، وقد طبع في دار المعرفة للطباعة والنشر، الطبعة الثانية مصورة عن الطبعة الأولى، بمطبعة بولاق بمصر سنة ١٣٢٣هـ.

٤١ ـ الجامع الصغير في أحاديث البشير النذير، تأليف جلال الدين عبدالرحمن ابن أبي بكر السيوطي، الطبعة الرابعة، طبع شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر.

٤٢ ـ جامع العلوم والحكم، لأبي الفرج عبدالرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي، الطبعة الثانية سنة ١٣٦٩هـ ـ ١٩٥٠م، الناشر: مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر.

٤٣ ـ الجامع الفريد (كتب ورسائل لأئمة الدعوة الإسلامية) رسالة نواقض الإسلام، للشيخ محمد بن عبدالوهاب، طبع في مؤسسة مكة للطباعة والإعلام.

٤٤ ـ الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبدالله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، الطبعة الثالثة مصورة عن طبعة دار الكتب، الناشر: دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة سنة ١٣٨٧هـ ـ ١٩٦٧م.

٤٥ ـ الجواب الباهر في زوار المقابر، لشيخ الإسلام ابن تيمية، حققه سليمان بن عبدالرحمن الضبع والشيخ عبدالرحمن بن يحيى المعلمي، الناشر: المطبعة السلفية ومكتبتها.

٤٦ ـ حاضر العالم الإسلامي، تأليف لوثروب ستودارد الأمريكي، نقله إلى العربية الأُستاذ عجاج نـوهيص، علق عليـه الأمير شكيب أرسـلان، الطبعة الرابعـة سنة ١٣٩٤هــ ـ ١٩٧٣م، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.
٤٧ ـ الحاوي للفتاوي، لجلال الدين عبـدالرحمن بن أبي بكر السيـوطي، تحقيق محمد محيي الـدين عبدالحميـد، الطبعة الثـالثة سنـة ١٣٧٨هـ ١٩٥٩م، مطبعـة السعادة بمصـر، الناشر: المكتبة التجارية الكبرى.
٤٨ ـ حلية الأولياء وطبقـات الأصفياء، للحافـظ أبي نعيم أحمـد بن عبدالله الأصبهـاني، الطبعة الثالثة سنة ١٣٨٧هـ ـ ١٩٦٧م، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.
٤٩ ـ حلية البشـر في تاريخ القرن الثـالث عشر، تأليف الشيخ عبدالـرزاق البيطار، تحقيق محمد بهجة البيطار سنة ١٣٨٢هـ ـ ١٩٦٣م، الناشر المجمع العلمي العربي بدمشق.
٥٠ ـ دائرة المعارف الإسلامية، طبع مصر سنة ١٣٥٢هــ ـ ١٩٣٣م.
٥١ ـ درجات مرقـاة الصعود إلى سنن أبي داود، للعلامـة علي بن سليمان الـدمنتي، طبع بالمطبعة الوهبية في مصر سنة ١٢٩٨هـ.
٥٢ ـ الدين الخالص، تأليف السيد محمـد صديق حسن من علماء الهنـد، طبع بمطبعة المدني (المؤسسة السعودية بمصر) القاهرة.
٥٣ ـ ديوان أبي فراس، دار صادر، بيروت، بدون تاريخ.
٥٤ ـ الرسـالة القشيـرية، تأليف أبي القـاسم عبدالكـريم بن هوازن، تحقيق عبـدالحليم محمود، محمود بن الشريف، الناشر: دار الكتب الحديثة، القاهرة.
٥٥ ـ روح المعـاني في تفسيـر القـرآن والسبع المثـاني، للعـلامة شهـاب الدين محمـود الآلوسي البغـدادي، طبع في إدارة الطباعة المنيريـة، دار إحياء التراث العربـي، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية.
٥٦ ـ سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضـوعة وأثرها السيء في الأمة، تخريج محمد ناصر الدين الألباني، الطبعة الثالثة، الناشر: المكتب الإسلامي.
٥٧ ـ سنن الترمذي، للإمام أبي عبـدالله محمد بن عيسى بن سورة التـرمذي، طبع بمطبعة بولاق سنة ١٢٩٢هـ.
٥٨ ـ سنـــن الترمـذي المطبوع مع شـرحه تحفـة الأحوذي، تصحيح عبـدالرحمن محمـد عثمان، طبع في مطبعـة الفجالة الجديـدة بالقاهرة، الطبعـة الثانية سنة ١٣٨٤هــ ـ ١٩٦٤م،

الناشر: المكتبة الإسلامية بالمدينة النبوية.

٥٩ ـ سنن الدارمي، لأبي محمد عبدالله بن عبدالرحمن الدارمي، تخريج عبدالله هاشم يماني المدني، طبع شركة الطباعة الفنية المتحدة سنة ١٣٨٦هـ ـ ١٩٦٦م، الناشر: عبدالله هاشم يماني المدني بالمدينة النبوية.

٦٠ ـ سنن أبي داود المطبوع مع شرحه عون المعبود مع شرح الحافظ ابن قيم الجوزية، تحقيق عبدالرحمن محمد عثمان، طبع في مطابع المجد في القاهرة، الطبعة الثانية سنة ١٣٨٨هـ ـ ١٩٦٨م، الناشر: المكتبة السلفية بالمدينة النبوية.

٦١ ـ السنن الكبرى، للإمام أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي، طبع بمطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية في الهند، ببلدة حيدرآباد الدكن، الطبعة الأولى سنة ١٣٤٤هـ الناشر: دار صادر، بيروت.

٦٢ ـ سنن ابن ماجه، لأبي عبدالله محمد بن يزيد القزويني بن ماجه، حققه محمد فؤاد عبدالباقي، الناشر: عيسى البابي الحلبي، وشركاه.

٦٣ ـ سنن النسائي، بشرح الحافظ جلال الدين السيوطي وحاشية الإمام السندي، تصحيح الشيخ حسن محمد المسعودي، طبع في المطبعة المصرية بالأزهر، الناشر: المكتبة التجارية الكبرى.

٦٤ ـ السيف المسلول، تأليف محمد المرزوق بن عبدالمؤمن الفلاني، الطبعة الأولى سنة ١٣٨٣هـ ـ ١٩٦٤م.

٦٥ ـ شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، تأليف محمد بن محمد مخلوف، القاهرة سنة ١٣٤٩هـ طبع في المطبعة السلفية ومكتبتها، جزئين في مجلد واحد.

٦٦ ـ شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك، تأليف محمد الزرقاني، ملتزم الطبع والنشر عبدالحميد أحمد حنفي، مصر.

٦٧ ـ شرح العقيدة الطحاوية، تحقيق جماعة من العلماء، تخريج محمد ناصر الدين الألباني، الطبعة الرابعة سنة ١٣٩١هـ الناشر: المكتب الإسلامي للطباعة والنشر، بيروت.

٦٨ ـ شرح المواهب اللدنية، تأليف محمد بن عبدالباقي الزرقاني، الطبعة الأولى سنة ١٣٢٥هـ بالمطبعة الأزهرية المصرية.

٦٩ ـ شرح النووي على صحيح مسلم، تأليف الإمام محيي الدين يحيى بن شرف النووي رحمه الله، الناشر: المطبعة المصرية ومكتبتها سنة ١٣٤٩هـ.

٧٠ ـ الشفاء بتعريف حقوق المصطفى ﷺ، القاضي عياض بن موسى اليحصبي الأندلسي، تحقيق محمد أمين قرة علي ورفاقه، دار الوفاء للطباعة والنشر، دمشق. والطبعة الأخيرة سنة ١٣٦٩هـ ـ ١٩٥٠م، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر.

٧١ ـ الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تأليف إسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق أحمد عبدالغفار عطار، مطابع دار الكتاب العربي بمصر، سنة ١٣٧٥هـ.

٧٢ ـ صحيح البخاري المطبوع مع شرحه فتح الباري، للإمام أبي عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري، المطبعة السلفية ومكتبتها، القاهرة سنة ١٣٨٠هـ.

٧٣ ـ صحيح مسلم المطبوع مع شرح النووي، الإمام مسلم بن الحجاج رحمه الله، طبع في المطبعة المصرية ومكتبتها سنة ١٣٤٩هـ.

٧٤ ـ صفوة الاعتبار بمستودع الأمصار والأقطار، تأليف محمد بيرم الخامس التونسي، طبع بالمطبعة الإعلامية بمصر سنة ١٣٠٣هـ الناشر: دار صادر، بيروت.

٧٥ ـ الصلة بين التصوف والتشيع، تأليف الدكتور كامل مصطفى الشيبي، الطبعة الثانية، الناشر: دار المعارف بمصر، القاهرة.

٧٦ ـ صيانة الإنسان عن وسوسة الشيخ دحلان، تأليف محمد بشير السهسواني الهندي، الطبعة الثالثة سنة ١٣٧٨هـ، المطبعة السلفية ومكتبتها.

٧٧ ـ طبقات الصوفية، لأبي عبدالرحمن السلمي، تحقيق نور الدين شريبة، الطبعة الأولى سنة ١٣٧٢هـ ـ ١٩٥٣م، مطابع دار الكتاب العربي بمصر.

٧٨ ـ عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، تأليف أحمد بن أحمد الغبريني، طبع بالمطبعة الثعالبية بالجزائر، الطبعة الأولى سنة ١٣٢٨هـ ـ ١٩١٠م.

٧٩ ـ عوارف المعارف، لأبي حفص عمر السهروردي، تحقيق عبدالحليم محمود والدكتور محمود بن الشريف، مطبعة السعادة.

٨٠ ـ عون المعبود شرح سنن أبي داود، للعلامة محمد شمس الحق العظيم آبادي، تحقيق عبدالرحمن محمد عثمان، الطبعة الثانية سنة ١٣٨٨هـ ـ ١٩٦٨م، الناشر: المكتبة السلفية بالمدينة المنورة.

٨١ ـ غاية الأماني في الرد على النبهاني، للإمام محمود شكري الآلوسي، الطبعة الثانية عام ١٣٩١هـ.

٨٢ ـ الفتاوى الحديثية، تأليف أحمد بن حجر الهيتمي المكي، طبع شركة مكتبة ومطبعة

مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة الثانية سنة ١٣٩٠هـ ـ ١٩٧٠م.

٨٣ ـ **الفتاوى الكبرى (المصرية)**: لشيخ الإسلام ابن تيمية، قدم له حسنين محمد مخلوف، الناشر: دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان.

٨٤ ـ **فتح الباري بشرح صحيح الإمام البخاري**، للإمام أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق عبدالعزيز بن باز، ترقيم محمد فؤاد عبدالباقي، إخراج محب الدين الخطيب، طبع في المطبعة السلفية ومكتبتها، القاهرة سنة ١٣٨٠هـ.

٨٥ ـ **الفتح الرباني لترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني**، تأليف أحمد عبدالرحمن البنا، الطبعة الأولى طبعت في مطبعة حسان، القاهرة.

٨٦ ـ **الفتوحات الربانية على الأذكار النووية**، تأليف محمد بن علان الصديقي المكي، الناشر: جمعية النشر والتأليف الأزهرية، القاهرة سنة ١٣٤٧هـ ـ ١٩٢٩م، مطبعة السعادة.

٨٧ ـ **الفتوحات المكية**، تأليف محيي الدين بن عربي، تحقيق د. عثمان يحيى، الناشر المكتبة المصرية العامة للكتاب سنة ١٣٩٢هـ ـ ١٩٧٢م، المكتبة العربية، القاهرة.

٨٨ ـ **الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي من الفتح العربي حتى اليوم**، تأليف الفرديل، ترجمه عن الفرنسية عبدالرحمن بدوي، الناشر: دار ليبيا للنشر والتوزيع، بنغازي، سنة ١٩٦٩م.

٨٩ ـ **الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية منهم**، تأليف الإمام عبدالقاهر بن طاهر البغدادي، الطبعة الأولى سنة ١٣٩٣هـ ـ ١٩٧٣م الناشر: دار الآفاق الجديدة، بيروت.

٩٠ ـ **الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان**، تأليف شيخ الإسلام ابن تيمية، مخطوط في المكتبة السعودية بالرياض تحت رقم ٣١٨/ ٨٦

٩١ ـ **الفصل في الملل والأهواء والنحل**، تأليف أبي محمد علي بن حزم الأندلسي الظاهري، وبهامشه كتاب الملل والنحل، للشهرستاني، طبع سنة ١٣٢١هـ الناشر: مكتبة المثنى ببغداد.

٩٢ ـ **فوات الوفيات والذيل عليها**، تأليف محمد بن شاكر الكتبي، تحقيق الدكتور إحسان عباس، الناشر: دار صادر، بيروت. سنة ١٩٧٣م.

٩٣ ـ **فيض القدير شرح الجامع الصغير**، تأليف محمد عبدالرؤوف المناوي، الطبعة الثانية، سنة ١٣٩١هـ ـ ١٩٧٢م. الناشر: دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان.

٩٤ ـ **قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة**، لشيخ الإسلام ابن تيمية، علق عليها طه محمد الزيني، الطبعة الأولى سنة ١٣٧٣هـ، المطبعة المنيرية بالأزهر، الناشر: محيي الدين محمد

شاهين.
قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة، لشيخ الإسلام ابن تيمية، طبع سنة ١٣٧٣هـ بالمطبعة السلفية بالقاهرة.
٩٥ ـ القاموس المحيط: تأليف مجد الدين بن يعقوب الفيروزآبادي، المؤسسة العربية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان.
٩٦ ـ قواعد الأحكام في مصالح الأنام، للفقيه المحدِّث أبي محمد عز الدين عبدالعزيز ابن عبدالسلام السلمي، راجعه وعلق عليه طه عبدالرؤوف سعد، دار الشرق للطباعة، القاهرة سنة ١٣٨٨هـ ـ ١٩٦٨م الناشر: مكتبة الكليات الأزهرية.
٩٧ ـ الكافي في فقه أهل المدينة المالكي، تأليف أبي عمر يوسف ابن عبدالله بن محمد ابن عبدالبر، تحقيق الدكتور محمد محمد أحيد الموريتاني، الناشر: مكتبة الرياض الحديثة، الرياض، الطبعة الأولى سنة ١٣٩٨هـ ـ ١٩٧٨م.
٩٨ ـ كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، تأليف مصطفى بن عبدالله الشهير بحاجي خليفة، الناشر: مكتبة المثنى ببغداد.
٩٩ ـ كشف المحجوب، لعلي بن عثمان بن أبي علي الهجويري، ترجمة الدكتورة إسعاد عبدالهادي قنديل ـ مراجعة أمين عبدالمجيد بدوي، الناشر: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، مصر سنة ١٣٩٤هـ ـ ١٩٧٤م.
١٠٠ ـ لسان العرب، للإمام محمد بن بكر بن منظور، الطبعة الأولى سنة ١٣٠٠هـ المطبعة الكبرى المنيرية ببولاق مصر المحمية.
١٠١ ـ لسان الميزان، لابن حجر العسقلاني، طبع حيدرآباد، الهند سنة ١٣٣١هـ.
١٠٢ ـ اللمع، تأليف أبي نصر السراج الطوسي، تحقيق عبدالحليم محمود. طه عبدالباقي سرور، طبع سنة ١٣٨٠هـ ـ ١٩٦٠م، مطبعة السعادة، ملتزم الطبع والنشر: دار الكتب الحديثة بمصر، ومكتبة المثنى ببغداد.
١٠٣ ـ مالك، حياته وعصره، آراؤه وفقهه، تأليف محمد أبو زهرة، طبع بمطبعة دار الحمامي للطباعة، ملتزم الطبع والنشر، دار الفكر العربي.
١٠٤ ـ كتاب المجروحين، للإمام محمد بن حبان التميمي، طبع بالمطبعة العزيزية في حيدرآباد في الهند، الطبعة الأولى سنة ١٣٩٠هـ ـ ١٩٧٠م.
١٠٥ ـ مجلة الأزهر، السنة ٢٥، ١٣٧٣هـ، مطبعة الأزهر، عدد جمادى الأولى سنة

١٣٩٠هـ ـ ١٩٧٠.
١٠٦ ـ مجلة المنار، ج ٢٣ الجزء السابع سنة ١٣٥٢هـ الطبعة الأولى، مطبعة المنار.
١٠٧ ـ مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، للحافظ علي بن أبي بكر الهيثمي، الطبعة الثانية، سنة ١٩٦٧م، الناشر: دار الكتاب، بيروت، لبنان.
١٠٨ ـ مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، جمعها عبدالرحمن بن محمد بن قاسم وساعده ابنه محمد، الطبعة الأولى سنة ١٣٨١هـ مطابع الرياض.
١٠٩ ـ مجموع الرسائل والمسائل لشيخ الإسلام ابن تيمية، طبع بمطبعة المنار بمصر، سنة ١٣٤٩هـ، الطبعة الأولى.
مجموعة الرسائل والمسائل لشيخ الإسلام ابن تيمية، علق عليها محمد رشيد رضا، الناشر لجنة التراث العربي.
١١٠ ـ محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين، للفخر الرازي، الطبعة الأولى بالمطبعة الحسينية المصرية.
١١١ ـ مختار الصحاح، للإمام محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر الرازي، طبع بمطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه بمصر.
١١٢ ـ مدارج السالكين، تأليف أبي عبدالله محمد بن أبي بكر المعروف بابن قيم الجوزية، تحقيق محمد حامد الفقي، سنة ١٣٧٥هـ ـ ١٩٥٦م مطبعة السنة المحمدية، القاهرة.
١١٣ ـ المدخل، تأليف أبي عبدالله محمد بن محمد بن محمد المعروف بابن الحاج، الطبعة الثانية سنة ١٩٧٢م، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.
١١٤ ـ المدونة الكبرى، للإمام مالك بن أنس، طبع بمطبعة دار السعادة بجوار محافظة مصر، الناشر: دار صادر، بيروت.
١١٥ ـ مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، للعلاّمة علي بن سلطان محمد القاري، طبع في المطبعة الميمنية بمصر سنة ١٣٠٩هـ الناشر: المكتبة الإسلامية.
١١٦ ـ المستدرك على الصحيحين، للإمام الحافظ أبي عبيدالله الحاكم النيسابوري، الناشر : مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب.
١١٧ ـ المسند، للإمام أحمد بن محمد بن حنبل، شرحه ووضع فهارسه أحمد محمد شاكر، الطبعة الثالثة، الناشر: دار المعارف بمصر.
مسند الإمام أحمد بن حنبل، للإمام أحمد بن حنبل، وبهامشه منتخب كنز العمال في سنن

الأقوال والأفعال، للشيخ علي المتقي الهندي، طبع في المطبعة الميمنية بمصر سنة ١٣١٣هـ الناشر المكتب الإسلامي للطباعة، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت.

١١٨ ـ مشتهى الخارف الجاني في رد زلقات التجاني الجاني، تأليف محمد الخضر بن عبدالله الجكني الشنقيطي، طبع بمطبعة دار إحياء الكتب العربية بمصر (عيسى البابي الحلبي وشركاه) مصر سنة ١٣٤٦هـ الناشر: على السيد سلمان.

١١٩ ـ المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، تأليف أحمد بن محمد الفيومي، طبع بالمطبعة العثمانية سنة ١٣١٢هـ.

١٢٠ ـ مصرع الشرك والخرافة: تأليف خالد محمد على الحاج، حققه عبدالله بن إبراهيم الأنصاري، طبع في مطابع الدوحة الحديثة، الناشر: إدارة الشئون الدينية بدولة قطر سنة ١٣٩٨ هـ، ١٩٧٨م.

١٢١ ـ المصنوع في معرفة الحديث الموضوع (الموضوعات الصغرى): للإمام علي القاري الهروي، حققه عبدالفتاح أبو غدة، الطبعة الأولى سنة ١٣٨٩هـ ١٩٦٩م الناشر: مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب.

١٢٢ ـ معجم البلدان، للشيخ أبي عبدالله ياقوت بن عبدالله الحموي البغدادي، الناشر : دار صادر للطباعة والنشر، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت.

١٢٣ ـ معجم مقاييس اللغة، لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق عبدالسلام محمد هارون، الطبعة الثانية سنة ١٣٨٩هـ ـ ١٩٦٩م، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر.

١٢٤ ـ المقاصد الحسنة (في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة): تأليف أبو الخير محمد بن عبدالرحمن السخاوي، صححه وعلق على حواشيه: عبدالله محمد الصديق، قدم له وترجم للمؤلف: عبدالوهاب عبداللطيف، طبع في دار الأدب العربي للطباعة، الناشر: مكتبة الخانجي بمصر، ومكتبة المثنى ببغداد سنة ١٣٧٥هـ، ١٩٥٦م.

١٢٥ ـ مقدمة العلامة ابن خلدون، تأليف عبدالرحمن بن خلدون، الطبعة الرابعة، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.

١٢٦ ـ المقصد الأحمد في التعريف بسيدنا أبي عبدالله أحمد، تأليف أبي محمد عبدالسلام بن الطيب القادري الحسيني، المطبعة الحجرية بفاس، طبع سنة ١٣٥١هـ.

١٢٧ ـ المنار المنيف في الصحيح والضعيف، للإمام أبي عبدالله محمد بن أبي بكر

الحنبلي المعروف بابن قيم الجوزية، تحقيق عبدالفتاح أبو غدة، الطبعة الأولى لمكتب المطبوعات الإسلامية سنة ١٣٩٠هـ ـ ١٩٧٠م الناشر: مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب.

١٢٨ ـ المنقذ من الضلال، للإمام أبي حامد محمد بن محمد الغزالي، مطبعة شمس الحرية للطباعة والنشر، الناشر: مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح وأولاده بمصر.

١٢٩ ـ الموافقات في أصول الأحكام، للإمام أبي إسحاق إبراهيم بن موسى بن محمد الشاطبي، بتحقيق محمد محيى الدين عبدالحميد، مطبعة المدني، القاهرة، الناشر: مكتبةومطبعة محمد علي صبيح وأولاده.

١٣٠ ـ المواهب اللدنية بالمنح المحمدية، تأليف أحمد بن محمد القسطلاني، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

١٣١ ـ الموضوعات، للإمام عبدالرحمن بن علي بن الجوزي، تحقيق عبدالرحمن محمد عثمان، الطبعة الأولى سنة ١٣٨٦هـ ١٩٦٦م الناشر : المكتبة السلفية بالمدينة المنورة.

١٣٢ ـ موطأ مالك المطبوع مع شرح الزرقاني، للإمام مالك بن أنس، طبع بمطبعة الاستقامة، بالقاهرة سنة ١٣٧٣هـ ـ ١٩٥٤م، الناشر: المكتبة التجارية الكبرى.

١٣٣ ـ ميزان الاعتدال في نقد الرجال، تأليف أبي عبدالله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تحقيق علي محمد البجادي، دارإحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه، الطبعة الأولى سنة ١٣٨٢هـ ـ ١٩٦٣م.

١٣٤ ـ النهاية في غريب الحديث والأثر، للشيخ المبارك بن محمد الجزري المعروف بابن الأثير، طبع في المطبعة العثمانية سنة ١٣١١هـ.

١٣٥ ـ نوادر الأصول، تأليف أبو عبدالله محمد الحكيم الترمذي، الناشر: المكتبة العلمية بالمدينة المنورة.

١٣٦ ـ الهدية الهادية إلى الطائفة التجانية، تأليف الدكتور محمد تقي الدين الهلالي، الطبعة الثانية ١٣٩٧هـ ١٩٧٧م.

١٣٧ ـ وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تأليف أحمد بن محمد ابن خلكان، تحقيق محمد محيى الدين عبدالحميد، الطبعة الأولى سنة ١٣٦٧هـ ـ ١٩٤٨م، الناشر: مكتبة النهضة المصرية.

١٣٨ ـ اليواقيت الثمينة في أعيان مذهب عالم المدينة، تأليف ظافر المالكي الأزهري، طبع بمطبعة الملاجي العباسية التابعة لجمعية العروة الوثقى سنة ١٣٢٤هـ جزآن في مجلدين.

ثالثاً : فهرس كتب الطريقة التجانية :

١٣٩ ـ **إتحاف الخل الوفي بشرح ألفاظ السيفي**، تأليف محمد بن محمد بن الحسن بن عبدالله، طبع على ذمة الشريف أحمد العراقي وأخيه عبدالقادر القادري.

١٤٠ ـ **أحزاب وأوراد القطب الرباني والعارف الصمداني أحمد التجاني**، تحقيق محمد الحافظ التجاني، الطبعة الخامسة سنة ١٣٩٢هـ ١٩٧٢م مطبعة الفجالة الجديدة.

١٤١ ـ **الإرشادات الربانية بالفتوحات الإلهية من فيض الحضرة الأحمدية التجانية**، تأليف علي حرازم بن العربي برادة المغربي الفاسي التجاني، الناشر : مكتبة القاهرة.

١٤٢ ـ **الإفادة الأحمدية لمريد السعادة الأبدية**، تأليف محمد الطيب بن محمد الحسني السفياني، قدم له وعلق عليه محمد الحافظ التجاني، طبع في المطبعة العالمية في القاهرة، الطبعة الثانية سنة ١٣٩١هـ ـ ١٩٧١م.

الإفادة الأحمدية لمريد السعادة الأبدية، تأليف محمد الطيب بن محمد الحسني السفياني، علق عليه وقدم له محمد الحافظ التجاني، طبع في مصر سنة ١٣٨٩هـ.

١٤٣ ـ **أقوى الأدلة والبراهين على أن أحمد التجاني خاتم الأقطاب المحمديين بيقين**، جمعة حسين حسن الطائي التجاني، طبع بعناية مكتبة القاهرة بالأزهر بمصر في دار الطباعة المحمدية، القاهرة.

١٤٤ ـ **الانتصاف في رد الإنكار على الطريق (الحلقة الثالثة)**، تأليف محمد الحافظ التجاني، الطبعة الثانية سنة ١٣٩٦هـ ـ ١٩٧٦م.

١٤٥ ـ **أهل الحق العارفون بالله السادة الصوفية**، تأليف محمد الحافظ التجاني، الطبعة الثانية سنة ١٣٨٣هـ ـ ١٩٦٣م، دار الطباعة الحديثة.

١٤٦ ـ **الإيمان الصحيح في الرد على مؤلف الجواب الصريح**، تأليف أحمد سكيرج، طبع سنة ١٣٥٧هـ مطبعة النهضة، تونس.

١٤٧ ـ **بغية المستفيد بشرح منية المريد**، تأليف محمد العربي السائح الشرقي العمري التجاني، الطبعة الأولى سنة ١٣٨٠هـ ـ ١٩٥٩، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر.

وطبع سنة ١٣٩٣هـ ـ ١٩٧٣م، الناشر: دار العلم للجميع.

١٤٨ ـ **بلوغ الأماني في مناقب سيدي أحمد التجاني**، طبع بإذن من الشيخ يوسف مضوي شيخ الطريقة التجانية بواد مدني، الناشر : مكتبة مضوي الحاج، السودان.

والطبعة الثالثة سنة ١٣٧٧هـ ـ ١٩٥٨م، شركة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر.

١٧٣ ـ **الفتح الرباني، عن النقشبندي والجيلاني والشاذلي والتجاني**، تأليف عبدالفتاح السيد عبده الطوخي الفلكي، مطبعة مختار، الناشر: مكتبة نصير، مصر.

١٧٤ ـ **الفوز والنجاة في الهجرة إلى الله**، تأليف محمد السيد التجاني، شركة الطباعة الفنية المتحدة، الناشر: مكتبة القاهرة.

١٧٥ ـ **الفيض الجامع في تراجم أهل السر الجامع**، تأليف أبي بكر عتيق بن حضر الكشني التجاني، الطبعة الأولى سنة ١٣٧٦هـ ـ ١٩٥٦م المطبعة المنيرية، الناشر: مضوي الحاج صاحب مكتبة مضوي، السودان.

١٧٦ ـ **قراضة العقيان في تحقيق استمرار أفراد من الكهنة لآخر الزمان**، تأليف عبدالرحمن ابن محمد بن زيدان الحسني التجاني، طبع بمطبعة الجمالية بمصر سنة ١٣٣٢هـ ـ ١٩١٤م.

١٧٧ ـ **كشف الحجاب عمن تلاقى مع الشيخ التجاني من الأصحاب**، تأليف أحمد سكيرج، الطبعة الثالثة سنة ١٣٨١هـ.

١٧٨ ـ **مجلة طريق الحق:**

مجلد السنة الخامسة سنة ١٣٧٥هـ.

مجلد السنة السادسة سنة ١٣٧٦هـ.

مجلد السنة التاسعة سنة ١٣٧٩هـ.

مجلد السنة العاشرة سنة ١٣٨٠هـ.

مجلد السنة الحادية عشرة سنة ١٣٨١هـ.

مجلد السنة الثانية عشرة سنة ١٣٨٢هـ.

مجلد السنة الرابعة عشرة سنة ١٣٨٤هـ.

مجلد السنة العشرون سنة ١٣٩٠هـ.

١٧٩ ـ **منية المريد في آداب وأوراد الطريقة التجانية**، تأليف بن بابا الشنقيطي العلوي التجاني، الناشر: مكتبة القاهرة.

١٨٠ ـ **مولد إنسان الكمال**، من فيوضات العارف بالله الكامل محمد بن المختار التجاني الشنقيطي، مطبعة الزاوية التجانية بالقاهرة سنة ١٣٧٦هـ.

١٨١ ـ مولد التجاني المسمى عنوان مطالع الجمال في مولد إنسان الكمال، تأليف محمد بن السيد المختار الشنقيطي، الطبعة الخامسة، الطباعة المحمدية، القاهرة ١٣٩٥هـ ـ ١٩٧٥م، الناشر: مضوي الحاج صاحب مكتبة مضوي، السودان.

١٨٢ ـ ميدان الفضل والإفضال في شم رائحة جوهرة الكمال، تأليف عبيدة بن محمد الصغير الشنقيطي، طبع بالمطبعة الرسمية العربية بحاضرةتونس سنة ١٣٢٩هـ ـ ١٩١١م.

ميدان الفضل والإفضال في شم رائحة جوهرة الكمال، تأليف عبيدة بن محمد الصغير الشنقيطي، ويليه رحلة التجاني في مدح الشيخ التجاني، الناشر: المكتبة المحمودية التجارية، مصر.

١٨٣ ـ ميزاب الرحمة الربانية بالطريقة التجانية، تأليف عبيدة بن محمد الصغير الشنقيطي التشيتي، ملتزم الطبع عبدالحميد أحمد حنفي، مصر.

١٨٤ ـ النفحة العنبرية في الأجوبة السكيرجية، تأليف: أحمد سكيرج، الطبعة الأولى سنة ١٣٥٢هـ، مطبعة الصدق الخيرية بجوار الأزهر بمصر.

١٨٥ ـ النفحة الفضلية في طريقة الختم التجانية، تأليف بدر عبدالهادي سلامة التجاني، الطبعة الأولى سنة ١٣٤٢هـ ـ ١٩٢٤م، طبع السيد مضوي الحاج مضوي صاحب مكتبة مضوي، السودان.

١٨٦ ـ النوافح العطرية، تأليف محمد غيريم بن محمد الداغري التجاني، مكتبةومطبعة عباس بن عبدالسلام بن شقرون، مصر.

١٨٧ ـ الهداية الربانية في فقه الطريقة التجانية، تأليف محمد السيد التجاني، الناشر: مكتبة القاهرة.

١٨٨ ـ الياقوتة الفريدة في الطريقة التجانية، تأليف محمد فتحا عبدالواحد محمد النظيفي، دار القاهرة للطباعة، الناشر: مكتبة القاهرة.

فهرس الآيات القرآنية حسب السور

الآية	رقمها	السورة	الصفحة
لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح	١٠	الحديد	١٧٨
ورهبانية ابتدعوها	٢٧	»	١٧
اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد	١٨	الحشر	٢٤١
كبر مقتاً عند الله أن تقولوا ما لاتفعلون	٣	الصف	٢٣٢
وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول	١٢	التغابن	١٤٩
جاهد الكفار والمنافقين	٩	التحريم	٩٥
عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً	٢٧/٢٦	الجن	١٠٤
يوفون بالنذر	٧	الإنسان	٢٤٢
وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس	٤٠	النازعات	٤١
إن إلينا إيابهم	٢٦/٢٥	الغاشية	٢٢٥
فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره	٨،٧	الزلزلة	٢٠٨

فهرس الأحاديث مرتبة على حروف الهجاء

فهرس الآثار مرتبة على حروف الهجاء

فهرس الفرق الصوفية مرتبة على حروف الهجاء

فهرس الأعلام المترجم لهم في الحاشية



فهرس الموضوعات

ملحق
في المقارنة كتاب جواهر المعاني
وكتاب المقصد الأحمد



بسم الله الرحمن الرحيم * وصلى الله على سيدنا محمد وآله

يقول العبد الفقير الأحوج إلى رحمة الله الغني
عبد السلام بن الطيب بن محمد القادري الحسني
كان الله له ولنا وبه حفنا وغفر له
ولوالديه ولأشياخه ولسائر من أحسن إليه آمين

الحمد لله الذي أقام على أوليائه وأحبائه وأصفيائه * من النور المحمدي أنوارا
وأفاض عليهم من مكنون سره * وعلوم علمه ودره * مدرارا وأسرارا
وحلاهم بحلية مناقبه * وحلل جماله وبهائه * وأطلعهم في سماء التوحيد أقمارا
فاستضاءت بأنوارهم الخليقة * وسلكوا بهم من الدين طريقه * وتبوءوا منه كنفا وقرارا
وصاروا للسالكين سرجا * وللطالبين حجة ودلالة * وبرزوا بكل ما هب منارا
فلم يزل ما يبدو من تلك الشمس بحاجبها وأفق من مطلع الثغور أعرجها ولا تبين لها [illegible]
استبصارا * فسبحان من خصهم بالحكمة والنور * وشرح بهم القلوب والصدور *
وجعلهم للدين أعوانا وأنصارا * والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد
الذي من فيض بحره بعثت بحور * ومن روض مناقبه بعثت زهور * ويجتنون ثمارا وأزهارا
ومن نوره يستمدون * وعنه يأخذون ويستبشرون * وعليه يحوم كلهم مرارا * بما من نعمة
وأصلته أو رحمة من أسلته الأعلى برية أرسلنا مدرارا * بجود جده [illegible] العظيم *
وتم له المستقيم * وعنده الناجح أكثارا * فلو كلفته الكريمة * وأمداداته
العميمة * الفائقة قلوبا وأبصارا * ما استطعتم الزيادة فوق نعمه * وقد
عرف كان ليهيب ونديه * ولا استنشقت من شميمه عرارا * صلى الله وسلم عليه
وعلى آله المكمل شرفهم بشرفه * ولما له الناسين مجدا وفخارا * وعلى صحابته
الأخيار المنتخبين الأخيار * مهاجرين وأنصارا * أما بعد فإن أحسن ما يصرف إليه
الإنسان اهتمامه * ويجعله نصب عينيه في لياليه وأيامه * ويعمل فيه بكرة وأقلامه * ويجعل

ذ

صورة الصفحة الأولى من خطبة كتاب المقصد الأحمد

ذكره لربه وبدايته * ويتخذه محرابا لخمسه وإقامته * ويقصر عليه سمعه وأمامه
ويغشى ذروة الأسنى * ويحتلي بكره الحسناء * ويقتبس من مشكاة نــوره
ويستضيء بشموسه وبدوره * ويرتع في خمائله ورياضه * ويكرع من موارده
وحياضه * ويتفسح منه بأذكى عرف وطيب * ويتذكر به المنازل والحبيب * مجالس
أهل الله الأولياء * وخاصته الأصفياء * حزب الله وأهل حضرته القائمين
بشهوده وخدمته * المجذوبين إليه والمحبوبين لديه * الواقفين في معيته والعاكفين
عليه * الذين ما جرت لهم على الدوام قلوبهم * والخلد وهبته لعنده من أسماء ذاته
وغيوبهم * مظاهر آيات المصطفين ونوابه الخلفاء * الواردين من منهله الأروى *
والسائرين منه زاد في صعود المتخلقين بشيمه وخلاله * والمستنيرين بنور الهدى وأفعاله
وإن ممن أكرمه الله بجمع الكرامة وأحله بمكانتها وإقامته * وأنزله منها أعلى
رتبة ومرقبة * وأورثه منها أعظم درجة ومنقبة * وحاز في جميع المناصب أبهى
حظ وأوفر نصيب * سيدنا وسندنا ووسيلتنا إلى ربنا * الشيخ الواصل الغوث
الكامل المحقق الشامخ * العارف الراسخ * جبل السنة والدين * وعلم المتقين
والمهتدين * الواضح الآيات والأسرار * العالم بالبركات والأنوار * الشيخ الراقي
المعالي * المعترف بخصوصيته الخاص والعام * نادرة الزمان * وقطب الأوان
أبا العباس سيدي أحمد بن الولي الشهير * العارف الكبير الشيخ الأعلم * الفرد
الهمام * الفريد النفاع * المنير الشعاع * أبي عبد الله سيدي محمد بن عبد الله معن
رضي الله عنهما وأنه لما من الله علي بصحبته * ولا حياني بالتملي من بدر غرته ورؤيته
من مبيتي وشمائله * وتمايله ومحاسنه وفضائله * وسمعت من كلامه ومعارفه
وإشاراته ولطائفه * ما عز وجوده * وقل وروده * وعز مثله * وبعد تكلمه
مما يحير الألباب ويستعاد * ويقصر البنان ويبرد * وتسجد في المحبوبة فلا زلت
وتردد في أذن وأدير غلام * حر الغدو الدامع ما كلفني بعض الإخوان * والفضلاء
الأعيان * التعرض لما تيسر لي * وما فتح الشأن * من التعريف به وبطرف بعض
وعلومه وتعريفه * ونشأته ونسبته * وخلقه وشيمته * وكلامه وإشاراته *

صورة الصفحة الثانية من خطبة كتاب المقصد الأحمد

ومكاشفاتهم وكراماتهم * وغير ذلك من شمائلهم ومزاياهم فحققت * من الرقائق بما
تستحسن به مرة القلب * مما هو بعض ما هنالك * اشفاقا لمن كله * وايقاظا للنفوس
الرغب * واغتناما لزيادة الاعتبار * وافادة لأهل الاستبصار * وافادة لاهل المحبة
والوداد * ومراعاة لزيادة الانتساب ولحسن الاستناد * اذ التعلق باذيال الشيوخ والسادة
بجنابهم * ولا سيما من ادركهم والوقوف ببابهم * تعلق حقيقة بالله الكريم * ووقوف
بباب العظيم * وتعرض لرحمته العميمة * ونعمته الجسيمة * وفي حديث الطبراني
ان لربكم في ايام دهركم نفحات فتعرضوا لها لعله ان تصيبكم نفحة منها فلا تشقون
بعدها ابدا فيا من الذين يتعرضون النفحات * وتعرضوا لها * فاستمروا من تلك النفحة
من الوادي الذي عند ذكرهم كما في الاثر الموقوف والخبر المعروف * تتنزل الرحمات وتعم
عوالم النسمات * فملازمة بث محاسنهم ومفاخرهم وتعداد مناقبهم ومآثرهم وذكر
سيرهم السنية * واحوالهم [illegible] * التي هي هدى ونور * وشفاء لما في الصدور
ودواء للقلوب * وجلاء للكروب * ومنهج للمتعلم * ونفع للشيخ [illegible] * ومن للسالك
والمتكلم * يحظى بالنسائم من بهجتها * ويجتني ثمرات الرضى من جنتها * ومن
مليت الدواوين والدفاتر فامتلأت الابواب والجوانب بعد ثناء الرسول صلى
الله عليه وسلم وسيرته * وشيمه الطاهرة واثره * فلا عطر من اخبارهم وملازمة
واثارهم اذ هم الصحابة النجبة المقربون * ومعجزاته الباقية التي [illegible]
بلغوا من الفضائل فيهم

* يا سائقا بالفضل السادات * قد زين من ذكركم اوقاتي *
* يا خير صحب محمد من بعده * يا افضل الاحياء والاموات *

ونحن وان لم نكن من اهل ذلك تباع * ولا ممن له شياع حقيقة ولا تباع * فحول فضلا تعم
نفوسنا * ونشر من بركاتهم نفوسهم

* خذ ما دنا لك بالتكلف الاصل * اما يعينك [illegible] فقط *

وجدير لمن [illegible] اخبارهم * واستمع لذكر اثارهم وادرك حديثهم * واحب فيهم وخدمتهم
ان يدخل في زمرتهم * وينال بركتهم اذ يعلمون بفائدة تكون منفعتها عليه عائدة و[illegible]

وكذا الترمذي وكذا مما عن محمد

عند ذكر الصالحين تنزل الرحمة فلان العراقي ليس له اصل في الحديث بل هو مرفوع وانما موقوف على سفيان بن عيينة كذا رواه ابن الجوزي في مقدمة صفوة الصفوة وسئل ابن حجر عنه هل هو مرفوع ام لا فقال ب لا استحضره مرفوعا

هذا البيت للمؤلف

صورة الصفحة الثالثة من خطبة كتاب المقصد الأحمد

ذا الآفلت ختري الشمع بالمجالس منهم * فالحديث لنا نديم النفوس *

فإذا ما سعيت بكل سادة * زال عنك من الدنيا كل بؤس *

جعلنا الله من احبهم وتبع كل بغيهم وحزبهم * ورزقنا التملي بخبرهم واستحسان
سيرهم وآثارهم * واعلم ان الذي استوعب الشيخ ابو العباس احمد رضي الله عنه من المآثر والآيات
والمناقب والكرامات * ابدا ان تجد من بركته ما يزيد [غير مقروء] كلما تذكرتها بفضيلة
وجدتها بفضائل اخرى * وكلما تدبرت الآية رأيت اكبر من اختها * الى مثل ما جرى له
فيها وهو رضي الله عنه باق في قيد الحياة * فما ذا اقول بعد سنة الثمانين
وتسعين بتقديم العشرين والله يقول [غير مقروء] ذكره قبلها من بعض الاوقات
ما سلف * قبل هذا التاريخ وخلفها من خلفها * ولذا كلما ابتهت منا وسعت به
يمن ما حضرني او تنزل منه لذي ما حضرني ولا استطرد شيئا من المسائل العلمية
والرغائب استطرادا لا فادرا ما تعين للفهم ورد اشارة بحيث يكون على اختصار
وعجلة واقتصار * جمعا على جمع سيرة السنية نسقا واطرادا * وتبيينها المسماة
كنز الاسرار [غير مقروء] زاد [غير مقروء] وفرجته بما [غير مقروء] على انموذج حسن وعلى
اتفق من [غير مقروء] ورتبته تبويبا ومن ابواب الا بالتبيين
فاتحة الكتاب * الباب الاول في نسبه واقوله * وعشيرته الا في [غير مقروء] السنية
الباب الثاني في نشاته وبدايته واخره [غير مقروء] هجرته
الباب الثالث في مواجده واحواله * ووفاته ما التحقه به ومكانته
الباب الرابع في بيان [غير مقروء] السنية * وجمل من اخلاقه السنية
الباب الخامس في [غير مقروء] ومخالفيه * وعظيم [غير مقروء] ووجاهته
الباب السادس في علو همته * وورعه وزهده وحريته
الباب السابع في دلالته على الله [غير مقروء] عليه وسوق [غير مقروء] فوائد [غير مقروء]
الباب الثامن في [غير مقروء] واشاراته * وبعض ما سمعته من تقريراته
الباب التاسع في جملة من كراماته * وبعض ما جرى من [غير مقروء]
الباب العاشر في شيوخه الكمل * ومشايخ شيوخه الى [غير مقروء]

صورة الصفحة الرابعة من خطبة كتاب المقصد الأحمد

الحرية في الخليقة وقلما يتفق في الوجود او يحصل منه موجود كما قيل

لقد منّ على الزمان بعالم * ان قد مغلقات كل قلعة جي

ومن نظر بالك ان تتوهم في جنب الله ان الجزء من اهل عصرك ومصرك وبلادك
وقطرك له من رفع الحرمة مثل ماله او يحله في قيمته ومعرفته وكما له ذا الذوق
انوار عليه لا يجحد وآثار فيه واضحة وامره رضي الله عنه في منزلته
غنيمة نسيمه لا يخفى على من فطن لها او صحبه رزقنا الله رضاه وادام علينا بركته
آمين * الباب السابع في الاستدلال على الدلالة وجمعه عليه *

وتشوفه الأقوال بحاله ومقاله البين *

قد تبين في شيخنا احمد رضي الله عنه كما تقدم من حال المحبة التي لها اثر ودلالة
وتمام من جهة التعظيم وملاحظة الجسم ما اخذ بجميع عوالمه وقواه واوصافه عن
كل مغلوب في سوء وغيبته ابدا في انواع الغيوب وانصبغت بالتوحيد حقيقته
وامتزجت به ذاته وهويته وتكيفت به روحه ونفسه ومعناه وحسه
وقالبه وقلبه وعقله ولبه وصارت احواله واقواله وخلاله وافعاله
وحركاته وسكناته وتقلباته وتصرفاته كلها دالة على الله ورسوله
وجمع على الله واسبابا لوصله لا تدعو الا اليه ولا تقوم الا عليه ولا توقف الا
ببابه ولا تنزل الا على جنابه اذا رايته ذكرت الله ونسيت ما سواه واستيقظت
من رقدة وانقشعت عنك سحائب الغفلة ووجدت بقلبك تعظيما واجلالا
وتكريما اذا جالسته ترى ركبك بحاله وسرت اليك نفحاته وعلوت كمنه الفائح
ورايت حسنه الواضح وعلمت انه الجليس الصالح ومن النبوة الله لا يخيب
ابدا جليسه ولا يحرم شيئا من الخير انيسه كما قال فيه بعض من عاصره

هو من اناس لا يخيب جليسهم * واذا رايتهم ذكرت الله *

يقرح النور في قلبه من انظر وبينا محبة الله فيمن حضره ويرجع الذكر من
غشيه ويقرى بالحر من لقيه رؤيته كيمياء للقلوب وكلامه شفاء من العيوب
مجلسه مجلس علم ووقار واجلال واكبار لا يشتريه احد بالكلام غالبا ولو كان

صورة الصفحة (١٥٤) من كتاب المقصد الأحمد

في الاكتساب بل يقتضيه من أراد فيحصل به البغية والمراد ولا يمله القارئ و
من الكلام لرقته ولا يتساءلون فيما بينهم الذين يريدون به الانفصال والأدب لأمر يوجب
له منه الانجذاب والطلب عظيم النسبة جليل الهيبة ذو مهابة كأنه عن
وسطوة فإنه لا يواجهه أحد إلا هو متحد هيبته ولا يرى أحد له إلا ملكته محبته
ورأفته مخوفة ومحبته بريئة كلما ازددت إليه قربا ازددت منه مهابة قال
رأيت أكثر منه مهابة ولا أكثر منه جلالة ولقد نعجز من لساننا فهمات فمن يريد أن
يكلمه فما تستطيع الإقدام عليه حتى يكون هو الذي يبتدئنا بالكلام وكثيرا
ما ننوي ما عما نريد فلا [illegible] فيفتح لنا باب الذي أتينا في الكلام معه
فنتبعه ونفهمه يتكلم مع الإنسان بما فيه وينبهه عما يلائمه ويداويه
ويبين له ما خفي عليه أتم تبيين مما كان قد أهمه من أمر دينه فيقوم منه الأعوج
ويصلح ما فسد فيه من المزاج ويتحفه بالدواء والعلاج فيه إن تحقق و[illegible]
القلوب وتمحي بأنواره ظلمة النفوس وتنجلي عنها الصدا وتلتبس بكسر
الآيات القرآنية والأحاديث النبوية ويشرع منها الإشارات واللطائف
والحكم والمعارف فيدرك ذلك منه ويفوقه من ألفاظ مخفية وسوفا يعهد
السامع غريبه ويشير النبي إلى أنه حبيبه ويطلب القلب منه ما يرام وفهما
وحضورا حتى يجعله لحاله عن سماع كلامه لكأنه يسمع كلام النبي صلى الله
عليه وسلم ويشاهد نوره التام وسره العظيم وعلى كلامه سطوة تخضع لها
النفوس وتنحط بها [illegible] ومن يجيب بأثقال الأكوان بما يجيب بالمقال فإذا سمع كلامه
أهل الخصوصية [illegible] فانبعثت القلوب تجول في الغيوب وكان يدل إلى الله تعالى
في أقرب زمن فسار في كون واحد [illegible] وكم [illegible] ضال وكم غبي [illegible]
[illegible] وكلام وخشي [illegible] حزنه سرورا وجحوده شكورا وبغضه
حضورا وجعل [illegible] نورا [illegible] مدد نور [illegible]
[illegible] غيار [illegible] الأوقات والأحوال ويجري يتكلم مع أهل كل مقام
بما يليق [illegible] فيه الأفعال [illegible] إلى الله [illegible]

بكلمة أو كلمتين في مجلسه عند الذي أمه وبعضهم على غيره وغير أمه كأنما تلذ الحاجة
محتاج كلامه ويشكو أنه أبعد المعقولية وأمر أمر نفسية يذكرها بأحسنه وهو
إماما يجيبه عنه بعينه كأنما سمع كلامه فتشتفي علته وتنقلب نحو تعبان منه
منة الله وإحسانه وفضله وإحسانه وما كان فيه شاهد بما قبل ذلك ولا تنبئ
لما شاء الله وجعله الحاكم وما يرشده وفعالو ذلك كثير وغيره فيقول في الجميع حالة
ويؤثر فيهم مقالة ويعمهم الفرح ويزول عنهم الترح حتى يقول أحدهم لا يأتي بأن الرفاهة
أبدا ولا يلتفت إليه ما يعرض من الحال عليه حين من أتيقن بالله والفرح بالنعم
الله ويأتيه من أحب من ماله وبدنه وعياله غاية ما يكون من المشقة والضيعة
فإذا سمع كلامه الذي أخذ عنه لا يراح وأغناه الشيء وزواله فيها راح كأنما ذو عين
أرتاح بالراح وكان رجل من ناحية الشرق أهل النعمة من أشياخ قبيلته قد امتحنه
جرائم السلطان بأنواع المحن والنكال في النفس والأهل والمال وغيره وأخذ بالسم
وشاء خلفه وحاله ولم يبق من كثير ولا قليل وكان قبل ذلك من الجزيل فجاء إلى
الزاوية وجلس بمجمعة مع سيدنا أحمد بمرأى من الأقطاب وأنا حاضر مجلسه فسمعنا
لكلامه وكان يتكلم على عادته في الدلالة على الله ويذكر الناس بأنعم الله الظاهرة
والباطنة وفيهم أثر ما ينزل بالعبد من المحن التي هي في الظاهر نقمة كلها رحمة من
الله وفضل منه ونعمة وأنه لا يفعل الله إلا بحكمة وجعل يوضح ذلك ويقرره إلى
أن جل الحزن وكشف عليه أثر السرور والفرح وجعل يقول لا يدري بشيء ما يحمد الله
أنه حين ويقول الحمد لله الذي ما بقي منه نعمة الإسلام التي لم يغيرها فربما
قبل ذلك استغنيا بالدنيا التي رزقها ويقول ما سمعنا من أحد رأيته ولقد
رأيت غير واحد من الحاضرين لا غبار في مرآة النهار بما سمعنا مثل هذا الكلام عن
أحد ولكن وقع مثل ذلك الحزن بعد المرة يأتيه الرجل في كرب وبلاء فينشرح ويحمد
منه الصدر والبال ويعود إليه بعد زوال ما به وينجم الحال ويمر ذاتية
عجبا ذلك لما تلقيه بدين فور الحقيقة والتحق بدين الرحمة للخليقة حضرة
من ذلك ما لا أحصيه ولا أستوفيه فهم يجود عليهم بحاله كما يجود عليهم بماله

كمل

صورة الصفحة (١٥٦) من كتاب المقصد الأحمد

وفي حقهم بما يقوله من المعارف ورزقه من الغذاء وبما فيه الاشراه كثير النفع للعباد
زهيد في الدنيا متواضع للعباد كأنما الناس كلهم أبناؤه وإخوانه وأولاده لانه أخرجهما
على نفعهم ورحمتهم الى الله ونفعهم بينهم كثيرا فيجري الخلق كلهم عيال الله
تعالى واحبهم اليه انفعهم لعياله ويلهج به في كل ما يكون وما لنا نحن من ان
في كل شيء ويسوق الخلق الى الله بالمنكر ويشفع بما يجري في الا نسان من قابلية
ونفسه ولو لم يكن فيه منه الا وضعا واحرى يقول الفقر واذا وجد بينك خلقة
واحد من الخلق كالحياء او السخاء او شيء من الحسنة مثل الوسامة القرآن او
من الشيمة او نحوه الذي عاملك بالجهل والغرابة وحيث عليك وتقول ان الله
في جملة العبد شيئا وضعا واحرى رحمة الله غالبة فالتمس له التشبيه واذا وجدت
اذا نور شيء منه لنا واذا اشكل له امر نفسه فذكر له سوء حاله وقبح
فعله حزنه من النقص الى ذلك النفع رحمة الله وعد به ان الله جم بلا
سبب ثم يذكر قول سيدي ابي الحسن الشاذلي رضي الله عنه اني لكن رحمة اعلى
ان نالت بحمدك اهل زمانها ويقول ان تدبر العبد منها … ان يعلم منه ربه
عليه ويتعرف بفضله واحسانه حين يجد نفسه لا يعلم خيرا او موضع ذلك
معاني منعم عليه فليح في بحر الفضل والاحسان ويقول لا ينبغي للانسان ان
يكف من النعم الى مساوئ النفس غافلا عما عليه من نعمة الله وان التكلم
في ذلك كالنباح … من بلية اما ان يجد حسدا او وقاء الى نحو ذلك مما
يتولد عن المعرفة وبمثل النفس بدعاء كان لا فتنار الفاهل العرفة ويقول
انها لا تطهر حتى يطهر ذلك الوعاء بل يقول انه عن النجاسة لا تطهر افرا
واذا اكمه على العبد … كما ابتلاه اولا بشيء من الحرص بما نفعله
عليه لا يزيل نفسه … لقابليته فيه متحنا ذا الذي لا يحتمله واذا تكلم امامه
احد بما فيه اي الذي يرى … منه على نفسه فابلوه بالعكس وجعل يتكلم معه
في عيوب النفس وينفع له عن مصايبها وخصايصها وعقابيها وزفائها
وعلى طاقاتها ونوركماتها وجمالاتها وفلاحاتها ويقول انها لا تحبا ان تتصف

بالتغافل بعد اليقين من شأنه ابدا بل تنازع في ذلك الى توبيخه كالكبار وان نعمته
مع انها لا تحصى مخالفته وقسما من الغافلين مثل ما عليه من الكمالات تفنى لا
نهاية لها ولولا ان الله يحول بين ابن آدم وبينها لهلك ولو انه خلى بينه وبينها
لكنه بالله كما كفى بانعمه ويقول اذا اراد الله هلاك العبد وكله الى نفسه وتمم
يهمه شيئا واذا اراد رحمته عرفه نعمته والهمه شكرها وجنبه كفرها الذي هو
اصل كل خير وما جاء في احد من حسن الرجا فيالله عن التجلد الاخروية من شهوة النفس
وفيه وسرعة نفوذ فعله وانها حتى يزيد غاية من غورها وما جاء في خالقها
اولا معه الا سالكا وترجاه وعرفه بفضل مولاه حتى يزيد فيها مشيا وانه يريد الذي
جميع العبد في الحال التي على مولاه وانه لا ينفع مع شيء سواه واذا اراد عمى بريد اهل
المحبة فالذي علامة المحبة الشغف في رضا المحبوب والوقوف عند امره ونهيه
واتباع قوله وفعله ويشهد قول القائل

تعصي الاله وانت تظهر حبه * هذا لعمري في القياس بديع
لو كان حبك صادقا لاطعته * ان المحب لمن يحب مطيع

وربما يذكر سطوة امنه وينسى نقمته وتلطيفه له واذا كان له احد عن نفسه عملا
كلما الا منه على ذكرها او عرفه بما جهل من امره ولا خرج له دسائس الذي تحمل
وعلا بالمشي يتبين له انه مخلول مزخرف لا يعود لاحد يعتمد عليه ولا عملا يستند
اليه وحالته يا نسب ولا له كون شيء الا بفضل الله ورحمته ويستشهد كثيرا
بقول والد الشيخ سيدي محمد رضي الله عنه عن شيخه سيدي بن سعيد الفاسي نفعنا الله
بهما عندنا شيء الا رحمة الله وشفاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم ويدل على
الله بحقيقة اهل السنة الدال على الله الجامع عليه والموصل اليه ويذكر
قوله تعالى واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم الآية وحدثنا انه في علوه علمه
ويقول الفقر يا اخي الفقه والعلمة كل ما نشاء بمثله نعمل وخارجا من شيئه
بمثله نعمل ويستشهد على ذلك بقول شيخ شيخه سيدي عبد الرحمن الفاسي
رضي الله عنه على شيخه الا ان طالع المثلين تشاهد ذا مبتلى

يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ

(قرآن كريم)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى أفاض على أوليائه وأحبائه وأصفيائه من النور الأحمدى أنوارا . واصطفاهم من مكنون سره وجوهر علمه ودره معارف وأسرارا . وحلاهم بحلية سنائه وحلل جماله وبهائه وأطلعهم فى سماء التوحيد أقمارا . فاستضاءت بأنوارهم الخليقة وسلكوا بهم من الدين طريقه وتبوءوا منه وطنا وقرارا وصاروا للسالكين هداية وعلما بالمحجة وآية وبرزوا بكل لاحق منارا فلولاهم ماسلك من تلك السبل فجاجها ولاقوم من ضلع النفوس اعوجاجها ولاتبين لها الهدى استبصارا فسبحان من خصهم بالحكمة والنور وشرح بهم القلوب والصدور وجعلهم للدين أعوانا وأنصارا . والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد الذى من فيض بحره يغترفون ومن روض مواهبه يقتطفون ويجتنون ثمارا وأزهارا ومن نوره يستمدون وعنه يرثون ويستبدون وعليه يحوم كلهم مرارا فما من نعمة واصلة أو رحمة مترا سلة إلا على يديه أرسلت مدرارا فهو باب الله العظيم وصراطه المستقيم وغيثه النافع إكثارا فلولا طلعته الكريمة وإمداداته العميمة الفائحة قلوبا وأبصارا مااستطعم لنيذ الوصل ونعيمه ولا عرف كأس الحب ونديمه ولا استنشق صب من شميمه عرارا صلى الله وسلم عليه وعلى آله المكمل شرفهم بشرفه وكماله السامين مجدا وفخارا وعلى صحابته الأبرار المنتخبين الأخيار مهاجرين وأنصارا (وبعد) فان من أحسن مايصرف إليه الإنسان اهتمامه ويصرف فيه لياليه وأيامه ويعمل فيه فكره وأقلامه ويجعل ذكره نديمه ومدامه ويتخذه محراب وجهه وإمامه ويقصد فيه سمته وأمامه ويقتنى ذخره الأسنى ويجتلى بكره الحسنى ويقتبس من مشكاة نوره ويستضىء بشموسه وبدوره ويرتع فى خمائله ورياضه ويكرع من موارده وحياضه ويتضمخ منه بأزكى

عرف

صورة الصفحة الأولى من خطبة كتاب جواهر المعاني

عرف وطيب ويتذكر به المنزل والحبيب محاسن أهل الله الأولياء وخاصته الأصفياء حزب الله وأهل حضرته الفائزين بشهوده ونظرته المجذوبين إليه والمحبوبين لديه الواقفين بين يديه والعاكفين عليه الساجدة لله على الدوام قلوبهم والحافظة لعهده سرمدا شهادتهم وغيوبهم مظاهر آيات المصطفى ونوابه الخلفاء الواردين من منهله الأروى والشاربين منه زلالا صفوا المتخلقين بشيمه وخلاله والمتبعين لأقواله وأفعاله فإلى سماع ذكرهم ترتاح القلوب وتشتاق به إلى علام الغيوب وتنشط بذلك من عقالها لفعل الطاعات وأدائها فان كثيرا من الناس حملهم على ذلك حتى أثار منهم العزم والقوة والجد والتشمير وبلغوا إلى أن حاسبوا أنفسهم على النقير والقطمير ولم يرضوا منها إلا باللحوق بمعالي الأمور والمسارعة إلى ما تحمد عاقبته بدار السرور ونزهوا جوارحهم عن دنس المخالفات وارتكاب السيئات وقاموا بوظائف الدين من فعل المأمورات واجتناب المنهيات وجادوا في رضا محبوبهم بالأرواح والنفوس وتلقوا ما جاء عنه على الأكف والرؤوس فصارت أخبارهم وشمائلهم تتلى وتكتب في الطروس فقد بلغنا عن بعضهم أنه قال والله لأزاحمن أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم في أفعالهم حتى يعلموا أنهم قد خلفوا وراءهم رجالا أو كما قال رضي الله عنه، فانظر رحمك الله إلى هذه الهمة العلية كيف لم ترض إلا بالرتب السنية وما ذاك إلا حين سمعت بفعل الأوائل اشتاقت وصحبها التنافس فجدت في طلب ذلك قال الله تعالى وفي ذلك فليتنافس المتنافسون، اللهم ارزقنا همة عالية تبلغنا بها إلى كل أمر محمود ونية صادقة تحجزنا بها عن كل ما يوجب الصدود، وقيل :

إن شئت أنك تظفر ... فكن في حبك صادق ... عن ساق عزمك شمر

وانبذ جميع العلائق ... سر الموالي ما يظهر ... إلا على من هو عاشق

صورة الصفحة الثانية من خطبه كتاب جواهر المعاني

فبوأه الفردوس والخلد ربه وجنة عدن بين حور وولدان
وجنة مأواه ودار قراره ومقعد صدق فى رياض وريحان

وقال غيره فى هذا المعنى رحمه الله:

آليت وهو أنا المبرور فى قسمى ماسمحت به فى الأعصار أزمان
نعم وحقق يقينا غير متهم ما ولدت مثله فى الدهر نسوان

وإن ممن أكرمه الله بهذه الكرامة وأحله بمكانتها وأقامه وأنزله منها أعلى مرتبة ومرقبة وأولاه منها أعظم آية ومنقبة وحاز فى مربعها الخصيب أكبر حظ وأوفر نصيب شيخنا وسيدنا وسندنا ووسيلتنا إلى ربنا الشيخ الواصل القدوة الكامل الطود الشامخ العارف الراسخ جبل السنة والدين وعلم المتقين والمهتدين العلامة الدراكة المشارك الفهامة الجامع بين الشريعة والحقيقة الفائض النور والبركات على سائر الخليقة الواضح الآيات والأسرار ومعدن الجود والافتخار البحر الزاخر الطام المعترف بخصوصيته الخاص والعام نادرة الزمان ومصباح الأوان الشريف العفيف ذو القدر المنيف أبو العباس مولانا أحمد ابن الولى الشهير العالم الكبير الشيخ الإمام القدوة الهمام المدرس النفاع النبوى الاتباع أبو عبد الله سيدى محمد ابن المختار التجانى رضى الله عنهما. وإنى لما من الله على بمعرفته والانحياش إلى حزبه وزمرته ورأيت من شيمه وشمائله ومحاسنه وفضائله وسمعت من كلامه ومعارفه وإشاراته ولطائفه ما عز وجوده وقل وروده وعدم مثله وفقد شكله مما هو جدير أن يفاد ويستفاد ويقصد إليه ويراد وتسطره فى الطروس الأقلام وتدونه فى الدواوين الأعلام حدانى ذلك مع ماطلبه منى بعض الإخوان والأحباء الأعيان أن أتعرض لما تيسر لدى وساقه الله إلى من التعريف به

صورة الصفحة الرابعة من خطبة كتاب جواهر المعاني

وبطريقته وعرفانه وتحقيقته ونشأته وسيرته وخلقه وشيمته وكلامه وإشارته ومكاشفته وكرامته وغير ذلك من مآثره وآيته فجمعت فى هذا التأليف ما استحضرته من ذلك مما هو بعض ماهنالك إسعافا لمن طلب وإتحافا لذوى الرغب وإعانة لذوى الاعتبار وإبانة لذوى الاستبصار وإفادة لأهل المحبة والوداد وهداية لذوى الانتساب والاستناد إذ التعلق بأهل الله واللياذ بجنابهم والانحياش إليهم والوقوف بأبوابهم تعلق بجناب الله الكريم ووقوف ببابه العظيم وتعرض لرحمته العميمة ورحمته الجسيمة وفى حديث الطبرانى «إن لربكم فى أيام دهركم نفحات ألا فتعرضوا لها لعل أن تصيبكم نفحة منها فلا تشقون بعدها أبدا» فيافوز الذين نهضوا إليها وتعرضوا لها فاستمدوا من تلك النفحة مدادا وإذا كان عند ذكرهم - كما فى الأثر الموقوف والخبر المعروف - تتنزل الرحمات وتم عواطف النسمات فما بالك بنشر محاسنهم ومفاخرهم وتعداد مناقبهم ومآثرهم وذكر سيرهم النبوية وأخلاقهم المصطفوية التى هى هدى ونور وشفاء لما فى الصدور ودواء للقلوب وجلاء للكروب وفتح للبصائر ونفع للسرائر وهدى للسالك والسائر يطرب السامع حديثها ويحث الأشواق إلى حضرتهم حثيثها وما ملئت الدواوين والدفاتر ولا فاهت الأفواه والمحابر بعد شمائل رسول الله صلى الله عليه وسلم وسيره وشيمه الطاهرة وأثره بأفضل من أخبارهم ومكارمهم ومآثرهم إذ هم أصحابه الصحبة المعنوية ومعجزته الباقية السرمدية . لله در القائل حيث يقول :

يا سادتى يا أفضل السادات ... لأزينن بذكركم أوقاتى

ياخير صحب محمد من بعده ... ياأفضل الأحياء والأموات

ونحن وإن لم نكن من الأتباع ولا من الأشياع حقيقة والأتباع فحول نفحاتهم نحوم ولشىء

صوره الصفحة الخامسة من خطبه كتاب جواهر المعاني

من بركاتهم نروم .

خذ مادنا إن فاتك الأجل　　إن لم يصبها وابل فطل

وجدير لمن ردد أخبارهم واستمع آثارهم وأكثر حديثهم وأحب قدمهم وحدثهم أن يدخل ديرهم وينال برهم أو يعلق منها بفائدة تكون منفعتها عليه عائدة ، وفي معنى ذلك قيل :

حدث السمع بالمحاسن منهم　　فالحديث لنا نديم النفوس

فإذا ما سقيت منها بكأس　　زال عنك من العنا كل بوس

جعلنا الله ممن أحبهم واتبع طريقهم وحزبهم ورزقنا التلذذ بخبرهم واستحسان سيرهم وأثرهم (واعلم) رحمك الله أني لا أستوفي ما لسيدنا وشيخنا ومولانا أحمد التجاني رضي الله عنه من المآثر والآيات والمناقب والكرامات أبد الآبدين ودهر الداهرين لأني كلما تذكرت فضيلة وجدت فضيلة أخرى وكلما تدبرت آية رأيت أكبر من أختها إلى هلم جرا الاسيما وهو رضي الله عنه باق في قيد الحياة لهذا العهد شهر الله شعبان سنة ثلاث عشرة ومائتين وألف فكل ما يرد عليك ذكره في هذا التقييد فإنما هو بعض ما فات ممن سلف قبل هذا التاريخ وخلف من خلف بعد ذلك فإنك ستقف إن شاء الله على شيء شريف وأمر منيف من كرامات عديدة وأخبار جديدة تكسبك نوراً وتقذف في قلبك سروراً فإن النبأ الجديد موقعه في الأسماع لذيذ. وها أنا أذكر لك إن شاء الله ما تقر به العيون ويتسلى به كل محزون مما صح عندي وتقرر وفيه مقنع لمن فهم وتدبر لأن مآثر هذا الشيخ رضي الله عنه لا تحصى ومناقبه لا تستقصى فقد شاعت بها الأخبار حيث سار الليل والنهار وليس يوجد لها حد ولا مقدار وإنما نورد صبابة منها وشظية من عدها فقد يكل عنها القرطاس والقلم ويعيا في طلبها اليد والقدم فهي في الناس أشهر من نار

صورة الصفحة السادسة من خطبة كتاب جواهر المعاني

المخلوقات فيكون فرد الفرد لم يسترقه عاجل دنيا، لا آجل آخرة ولا يملك قلبه شيء ، لا يرى المالك إلا الله ولا يستوى على قلبه سواه وسئل شيخنا وسيدنا رضى الله عنه عن الحر فأجاب عليا أتى إن شاء الله فى محله وما ترى أحداً كمل فى هذا الوصف مثل ما كمل فيه سيدنا أبو العباس رضى الله عنه هو الحر على الحقيقة والممتاز بوصف الحرية على الخليقة كما قيل :

آتمنى على الزمان محالا   أن ترى مقلتاى طلعة حر

ولا تظن ببالك أن تتوهم فى خيالك أن أحدا من أهل عصرك ومصرك وبلادك وقطرك له من وصف الحرية ما لشيخنا رضى الله عنه أو يحاكى فيه تمامه وكماله ذلك وصف أنواره عليه لائحة وآثاره فيه واضحة وأمره رضى الله عنه فى هذا وفى غيره شهير لا يخفى على ذى تمييز من كبير أو صغير رزقنا الله رضاه فى الدنيا والآخرة صلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم .

(الفصل الثالث) فى دلالته على الله وجمعه عليه وشوقه الأقوام بحاله ومقاله إليه قد شرب سيدنا رضى الله عنه من هذا الحب الشريف ما أرواه ونهل عن بحره العظيم ومدده الجسيم ما أخذ بجميع عوالمه وقواه وأفناه عن كل معلوم ومرسوم وغيبه أبداً فى الواحد القيوم فانصبغت بالتوحيد حقيقته وامتزجت به ذاته وهويته وتكيفت به روحه ونفسه ومعناه وحسه وقالبه وقلبه وعقله ولبه فصارت أحواله وأقواله وخلاله وفعاله وحركاته وسكناته وتقلباته وتصرفاته كلها دالة على الله ورسوله وجامعة على الله وبابا لوصوله لا تدعوا إلا إليه ولا تحوم إلا عليه ولا توقفك إلا ببابه ولا تسندك إلا لعلى جنابه إذا رأيته ذكرت الله ونسيت ما سواه واستيقظت لأول وهلة وانقشعت عنك سحائب الغفلة ووجدت بقلبك تعظيما وإجلالا وتكريما وإذا جالسته تداركتك لمحاته وسرت فيك نفحاته وعلق بك طيبة الفائح ورأيت حسنة الواضح

صوره الصفحة (١٠٥) من كتاب جواهر المعاني

وعلمت أنه الجليس الصالح ونور النبوة فيه لائح لا يخيب أبدا جليسه ولا يعدم شيئا من الخيرات أنيسه كما قال فيه بعض مادحيه . هو من أناس لا يخيب جليسهم . البيت يقدح النور فى قلب من أبصره ويبث محبة الله فيمن حضره ويزج فى الذكر من غشيه ويقذف فى الجد من لقيه رؤيته طب للقلوب وكلامه شفاء من العيوب مجلسه مجلس حلم ووقار وإجلال وإكبار لا يبتديه أحد بالكلام غالبا ولو كان فى ذلك صائبا بل يفتتحه هو إن أراد فيحصل به البغية والمراد لا يكثر الحاضرون من الكلام لديه ولا يتسابقون فيما بينهم إليه بل دأبهم الإنصات والأدب إلا من توجه له منه الخطاب والطلب عظيم الهيبة جليل الهيئة ذو مهابة ظاهرة وسطوة قاهرة لا يفاجئه أحد إلا صدمته هيبته ولا يداخله إلا ملكته محبته وراثة محمدية ومنحة نبوية كلما ازددت إليه قرابة ازددت منه مهابة ولقد تعرض لنا المهمات فنريد أن نخبره فما نستطيع الإقدام عليه حتى يكون هو الذى يفيئنا بما لديه وكثيرا ما ينبئنا عما نريده قبل أن نشرع فيه فيفتح لنا بذلك الباب فى الكلام معه فنتبعه ونقتفيه يتكلم مع الإنسان بما فيه ويتبننا عما يلاقيه ويوافيه ويبين له ما خفى عليه أتم تبيين مما كان أضربه من أمر الدين ويتحفه بالدواء والعلاج فيبرئ الخطب ويزيح الكرب وتنمحى بأنواره ظلمة النفوس وتنجلى عنها المضائق والبؤس يذكر الآيات القرآنية والأحاديث النبوية وينزع منها الإشارات واللطائف والحكم والمعارف فيذاق منه ذلك ذوقا ويزيد الحاضر محبة وشوقا ويمتلئ القلب منه سرورا وفرحا وحبورا حتى يحلف الحالف عند سماع كلامه لكأنه يسمع كلام النبى صلى الله عليه وسلم ويشافه نوره الأتم وسره الأعظم وعلى كلامه سطوة تخضع لها النفوس وتحط لها الرءوس يجيب بالحال أكثر مما يجيب بالمقال فى بعض الأحوال وإذا سمع كلامه أحد وخصوصا من فيه

صوره الصفحه (١٠٦) من كتاب جواهر المعاني

قابلية القبول تحول فى الحين قلبه وطاربه إلى الله لبه يأتيه الإنسان فى كرب وأحزان وجحود
وكفران وضلال وطغيان ودنس وأدران فيعود حزنه سرورا وجحوده شكورا وبعده
حضورا ودنسه طهورا وظلامه نورا فتنقلب به فى القلوب حقائق الأعيان وتطيب به
الأوقات والأحيان وتجده يتكلم مع الرجل كلاما عاديا وهو يفعل فى قلبه الأفاعيل ويرحل به
إلى الله المرتحل ويجيب الرجل بكلمة أو كلمتين فيظفر عند ذلك بمرامه ويعثر على غرضه
وغايته كما [illegible] تلك الحاجة بمجرد كلامه ويشكوه الرجل بعلل معنوية وأمراض نفسية يذكرها
فى باطنه وهو أمامه فيجيبه عنها بعينها كأنما سمع كلامه فيشفى عله وتنقلب نظرته
فيشاهد منه الله إحسانه وتفضله وامتنانه وما كان قط شاهدها قبل ذلك ولا تنبه لما هنالك
ويحضره الحاضرون ما بين متوجه وغافل ودنيوى وغيره فيعمل فى الجميع حاله ويؤثر فيهم
مقاله ويعمهم الفرح ويزول عنهم الترح حتى يظن أحدهم أنه لايبالى بالدنيا أبدا ولا يلتفت
إليها بعد سرمدا لما يلوح عليه حينئذ من اليقين بالله والفرح بأنعم الله ويأتيه من أصيب فى ماله
وبدنه وعياله فى غاية مايكون من المشقة والضيقة فاذا سمع كلامه انزاحت عنه الأتراح واعتراه
السرور والانشرح كأنما سقى عنده الراح بالراح وقد أتاه رجل من الإخوان قد امتحن
بأخذ ماله من قبل السلطان فساءت أخلاقه وأحواله وسره وعلانيته وأفعاله فجلس بين يدى
سيدنا رضى الله عنه فى ملأ من أصحابه فجعل ينصت لكلامه ويتكلم الشيخ رضى الله عنه على
عادته فى الدلالة على الله ويذكر الناس بأنعم الله الظاهرة والباطنة ويريهم أن ماينزل بالعبد
من المحن التى هى فى الظاهر نقمة كلها رحمة من الله وفضل منه ونعمة وأنه لايفعل ذلك سبحانه إلا
لحكمة وجعل يوضح ذلك فتحول حال الرجل لحينه وظهر عليه أثر السرور والفرح ويقول

صورة الصفحه (١٠٧) من كتاب جواهر المعاني

الحمد لله يكررها فرحا منه بنعمة الإسلام التي لم يقدر قدرها قبل ذلك واستخفافا بالدنيا التي رزتها
ويقول ماسمعت هذا قط ولا رأيته ولقد زرت غير واحد من الصالحين الأعيان فى هذا الزمان فما
رأيت مثل هذا الكلام عند أحد وقع مثل ذلك المرة بعد المرة يأتيه الرجل فى كرب ووبال
فينصرف عنه منشرح الصدر والبال وتعود كربته عند رؤيته طربا ويبصر الحاضرون من
آياته عجبا ذلك لما تكيف بمعمن نور الحقيقة واتصف به من الرحمة للخليفة حضرت من ذلك
مالا أحصيه ولا أستوفيه فهو يجود عليهم بحاله كما يجود عليهم بماله ويرحمهم بما خوله من
المعارف ورزقه من العوارف فياض الإمداد كثير النفع للعباد رفيقا بالحاضر والباد كأنما
الناس كلهم أبناؤه وإخوانه وأوداؤه لا يزال حريصا على نفعهم وزجهم إلى الله ودفعهم يستشهد
كثيرا بحديث الخلق كلهم عيال الله وأحبهم إليه أنفعهم لعياله ويلهج به فى كلامه لكون حالته
تذهب إليه فى كل شىء ويسوق الخلق إلى الله بما أمكن ويكتفى بما يجده فى الإنسان من قابلية الخير
ولو لم يكن فيه إلا وصف واحد ويقول العارف إذا وجد فيك خصلة واحدة من الخير كالحياء والسخاء
أو شيئا من المحبة مثلا أو سلامة الصدر أو صدق اللهجة أو نحو ذلك عاملك لأجله وأخذ بيدك وحن
عليك ويقول إن الله يرحم العبد بسبب وصف واحد ورحمة الله غالبة تلتمس السبب فاذا وجدت
أدنى شىء منه نزلت وإذا اشتكى له أحد نفسه وذكر له سوء حاله وقبيح فعاله جذبه من النظر إلى
ذلك للنظر إلى رحمة الله وعرفه أن الله يرحم بلا سبب ثم يذكر قول الشاذلى رضى الله عنه إن لم
نكن لرحمتك أهلا أن تنالنا فرحمتك أهل أن تنالنا ويقول فائدة تذكر العبد مساويه أن يعلم منة
ربه عليه ويتحقق بفضله وإحسانه حيث يجد نفسه لا يعمل خيرا وهو مع ذلك معافى منعم عليه سابحا
فى بحر الفضل والإحسان فتلك أثواب منحها من الحق من محض الكرم والامتنان وإذا تكلم

صورة الصفحة (١٠٨) من كتاب جواهر المعاني

أخذ عما يشير إلى الدعوى وثناء منه على نفسه قابله بالعكس وجعل يتكلم فى عيوب النفس ودسائسها ويظهر له خسائسها ودقائقها وما اشتملت عليه العيوب والنقائص والرذائل التى هى شأنها ووصفها ولا تحب أن تتصف إلا بأوصاف الربوبية كالكبر والعظمة مع أنها لا تحصى معايبها ولها من النقص مثل مالله من الكمالات يعنى لا نهاية لها ولولا أن الله يحول بين المرء وبينها لهلك ولو أنها خلى سبيلها لكفر بالله كما كفر بأنعمه ويقول إذا أراد الله هلاك عبد وكله إليها ولم يزده شيئا وإذا أراد رحمته عرفه نعمته وألهمه شكرها وجنبه كفرها وذلك هو أصل كل خير وما جاء أحد مظهرا للرجا غافلا عن اللجا إلا خوفه من سطوة الله وقهره وسرعة نفوذ قضائه وأمره حتى يذهب خائبا مذعورا وماجاءه خائف أولاهف إلا سلاه ورجاه وعرفه فضل مولاه حتى يذهب فرحا مسرورا يريد بذلك جمع العبد فى الحالتين على مولاه وأن لا يقف مع شيء سواه وإذا ادعى أحد بين يديه المحبة قال له من علامات المحبة السعى فى رضا المحبوب والوقوف عند أمره ونهيه واتباع قوله وفعله وينشد قول القائل :

تعصى الإله وأنت تظهر حبه ... هذا محال فى القياس بديع

لو كان حبك صادقا لأطعته ... إن المحب لمن يحب مطيع

إذا ذكر له أحد عن نفسه عملا صالحا لامه على ذكره أوعرفه بما جهل من أمره فأخرج له دسائس ذلك العمل وعلاته حتى يتبين له أنه معلول مدخول. لا يترك لأحد شيئا يعتمد عليه ولا عملا يستند إليه ولا حالة يأنس بها ولا الركون لشيء إلا لفضل الله ورحمته وكثيرا مايستشهد بقوله ماعندنا إلا فضل الله ورحمته وشفاعة رسوله صلى الله عليه وسلم ويدل على الله بصحبة أهل الله الدالين على الله الجامعين عليه والموصلين إليه ويذكر قوله تعالى « واصبر نفسك مع الذين

صوره الصفحة (١٠٩) من كتاب جواهر المعاني

يدعون ربهم بالغداة والعشي» الآية وحديث «المرء على دين خليله» ويقول أصل كل خير المخالطة واللقمة كل ما شئت فمثله تعمل وخالط من شئت فمثله تفعل، وشكوته يوما سوء حالي فقال لي لا تكلمني الآن في شيء من ذلك وافعل ما آمرك به وأشار علي بمجالسته رضي الله عنه فقلت له ياسيدي ما أفضل هل النوافل والأذكار وغير ذلك أم مجالسة الأشياخ فقال بل مجالسة الأشياخ أفضل لا يعادلها شيء فجلستك بين يدي ولي أفضل من الدنيا وما فيها لما ورد جلوسك بين يدي ولي قدر حلب شاة الخ. ولا شك أن مجالسته رضي الله عنه ترياق مجرب للأمراض القلبية والعلل النفسية وكم تعرض لنا ولغيرنا أمراض معنوية وتتراكم على القلب ظلمات ردية فتنجلي بسبب مجالسته والحمد لله حق حمده وكما ينبغي لجلاله لا أحصي ثناء عليه ويقال في المعنى النظر في التقي استقامة وفي المخصوص كرامة. ومن رحمة الله بعبده وعنايته أن يسخر له قلب مخصوص من أهل ولايته ويقال كل الناس يحبون المخصوص والحكمة أن يحبك المخصوص ومن لم يلق صاحب بصيرة لم تفتح له بصيرة وليس شيخك من تجعل بينك وبينه عهدا بلسانك وتعتقد مشيخته بجنانك إنما شيخك من جذبك بقلبك وأخذ بمجامع لبك ونفعتك نظرته وحاطتك همته ويخاطب كل واحد على قدر فهمه وعلى حسب علمه وبما يليق من حاله وينبغي لأمثاله فيخاطب الجاهل بالتعلم والعامل بالعمل وذا المعصية بالتوبة وذا الطاعة بعدم النظر إليها ورجاء رحمة الله فيها ويعجبه المشفق من عصيانه ويرق له ويحن عليه ويدل على الله بكل حال وفي كل حال وفي كل من الطاعة والمعصية دلالة على الله فالطاعة تدعو إلى شكر الله والمعصية تلجىء إلى التوبة إلى الله والنعمة والنقمة كذلك هذه تفرحك بمولاك والأخرى ترفع بها إليه شكواك ويذكر قولهم رضي الله عنهم من لم يقبل على الله بسوابغ الامتنان سيق إليه

صورة الصفحة (١١٠) من كتاب جواهر المعاني